السيد نور الدين الجزائري

الخصائص الزينبية



[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الخصائص الزينبية

تأليف

السيد نور الدين الجزائري





الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

دار الحوراء

بيروت - لبنان - حارة حريك

الإهداء :

اليكِ يا سليلة النبوة ، وبضعة الرسالة ، وعقيلة الولاية والإمامة .

اليكِ يا رضيعة ثدي الإيمان ، وربيبة الوحي والقرآن .

اليكِ يا حليفة التقوىٰ ، وقدوة الصبر والصمود .

اليكِ يا معلّمة الخير ، وملهمة الفضائل والمكرمات .

اليكِ يا من حملتي رسالة الطف ودعمتيه بمعالم الغريّ ، وابلغتيه مشارق الدنيا ومغاربها مدىٰ العصور والأجيال .

اليكِ يا من طُفتي بمشعل كربلاء وأسندتيه براية الغريّ ، فأنرتي به أطراف الأرض وأقاصي البلاد .

اليكِ يا من أحييتي بسبيك نهضة الإمام الحسين عليه السلام وسجلتيه في أعماق التاريخ وسرّ العوالم والأكوان .

اليكِ يا من أثبتّي بأسرك تراث عاشوراء ، وخلّدتيه على ممرّ الدهور والأعوام .

اليكِ يا من حرستي مصلحة الإسلام ، وحميتيه بالصبر ، والتجلّد ، وفصل الخطاب وحسن الخصام .

اليكِ يا من تكفّلتي اليتامىٰ ، ورعيتي ودائع الرسالة فاحسنت الكفالة والرعاية والاداء .

اليكِ يا من حفظتي اخاك الامام الحسين عليه السلام ، وأقمتي نهضته واهدافه بالدمع والدم ، والنّوح والعزاء .

اليكِ يا من قمتي بوظائف الاخوّة ، فأحييتي الشعور والعواطف ، وأدّيتي واجب المأموم تجاه الإمام ، فأحييتي به العقل والضمير ورسالة الأنبياء .

اليكِ يا من وقفتي بوجه الطغيان ، وكشفتي عن يزيد واتباعه قناع المكر والنفاق .

اليكِ يا من صرختي على الظالمين ، فدكدكتي صروحهم التي اقاموها على أنين المظلومين ، وفوق اشلاء الفقراء .

اليكِ يا زينب الكبرىٰ ، ويا بطلة كربلاء ويارمز التجلّد والثبات ، منا ألف تحية وثناء .

اليكِ يا سيدتي اهدي ترجمة هذا الكتاب وكلي امل بأنّك تتقبليه على ما فيه من نقص او ضياع ، فانّك من أهل بيت يقبلون اليسير ولا يردّون البضاعة المزجاة ، ويوفون الكيل ، ويجزلون الصدقات ، والله يجزي المتصدّقين .

المترجم

المؤلف في سطور

هو آية الله العظمیٰ الحاج السيد نورالدين الجزائري طاب ثراه ، ابن الحاج السيد محمد جعفر ، ابن الحاج السيد عبدالصمد ، ابن الحاج السيد احمد ، ابن الحاج السيد محمد ، ابن السيد طيّب ، ابن السيد محمد ، ابن السيد نورالدين ، ابن العلامة السيد نعمة الله الجزائري قدّست أسرارهم ، علماً بان نَسَبَه ينتهي الى الإمام موسى بن جعفر عليه‌السلام ، فهو اذن من السادات الموسويّين ، وهو من البيوتات العلمية العريقة ، التي لها سوابق حسنة ، وخدمات اجتماعية خيّرة في منطقة خوزستان ، وذلك فيما يقرب من اربعة قرون .

[ولادته ومسقط رأسه]

ولد سماحته في ليلة الجمعة ١٣ / رجب الحرام / ١٣١٣ من الهجرة النبوية المباركة ، في مدينة شوشتر ، اشتغل في السنة السابعة من عمره بتعلم الكتابة والقراءة الفارسية عند السيد على محمد آل طيب ، والشيخ محمد حسين ، وتعلم الصلاة ، وقسماً من القرآن الكريم .

وفي سنة ١٣٢٤ هجرية هاجر سماحته بصحبة اسرته الى النجف الأشرف ، واشتغل فيها بتحصيل العلوم الدينية والحوزوية ، فقرأ الصرف ، والنحو ، والمنطق ، والبلاغة ، عند عمّه الحاج السيد محمد حسين ، وعمه الآخر السيد محمد علي ، والشيخ باقر الشوشتري ، والشيخ اسماعيل الشوشتري ، واكمل سطوحه عند الشيخ حسين الشرشتي الحائري ، وغيره من العلماء .

ثم ورد سماحته حوزة درس الخارج ، وقرأ على مراجع عصره مثل الآيات

العظام : السيد ابو الحسن الاصفهاني ، والميرزا محمد حسين النائيني ، والشيخ ضياء الدين العراقي ، والسيد محمد الفيروزآبادي ، والميرزا أبو الحسن المشكيني ، واشترك في البحث الخاص الذي كان يبحثه المشكيني في الكفاية ، حتى بلغ درجة الاجتهاد ، وبعدها انتقل من النجف الأشرف الى الأهواز ، واشتغل فيها كأبيه واعمامه واخوته باداء الوظائف الدينية من تدريس ، وامامة جماعة ، وحلّ مشكلات الناس ، وفصل قضاياهم ، وغير ذلك ، حتى اعلن البهلوي الأول عام ١٣١٤ شمسي عن السفور الاجباري ، ورفع الستر والحجاب عن النساء ، فاضطرّ سماحته للهجرة من ايران الى العراق ومجاورة العتبات المشرفة ، حيث انتخب البقاء في كربلاء المقدسة وبقي الى آخر عمره هناك مجاوراً للحائر الحسيني ، مشتغلاً بالامور العلمية والدينية ، والقضايا الاجتماعية والخيريّة من مساعدة الزوار والفقراء وغير ذلك ، وكان الى جنب علميّته عابداً زاهداً ايضاً ، بحيث اشتهرت عبادته على السن الناس ، فقد كان لا ينام بالليل الا قليلاً ثم يقضي اكثر ليله بالتهجّد وتلاوة القرآن ، وفي النهار كان يتشرف بزيارة الإمام الحسين عليه السلام مرتين : مرة قبل الظهر ، ومرة قبل المغرب ، ويبقىٰ في كل مرة ساعة او ساعتين في الروضة المباركة مشتغلاً بالزيارة والصلاة والدعاء .

[اجازاته الفقهية والحديثية]

لقد حصل سماحته على عدة اجازات فقهية وحديثية من مراجع عصره وزمانه ، كالشيخ محمد باقر البيرجندي صاحب كتاب : الكبريت الأحمر ، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وصاحب كتاب : الذريعة ، واستاذه الشيخ ضياء الدين العراقي ، وغيرهم ، كما وأجاز هو عدة من تلاميذه ، وسيأتي انشاء الله تعالىٰ بعض اجازاته الفقهية والحديثية .

[مؤلّفاته]

لقد برع سماحته في الكتابة والتأليف ، وابقىٰ من بعده تأليفات قيّمة ، وكتب مفيدة ، وهي كالتالي :

١ ـ احسن المقال في تفسير الآل .

٢ ـ اصلاحات خوزستان ـ مطبوع .

٣ ـ ربيع العمر وخريفه ، وهو كشكول باللغة الفارسية جامع ومفيد ـ مطبوع .

٤ ـ تعريب الكبرى في المنطق ، وهو اول تأليفاته ، كتبه ايام دراسته بامر من جدّه آية الله الحاج السيد عبدالصمد .

٥ ـ الاسرار الخفية من تاريخ الاسلام ، ذكره الذريعة ج ١ / ص ٥٩ .

٦ ـ ايضاح الحق والحقيقة ، وهي : رسالة في الأذان والاقامة كتبها رداً على من لا يرى جواز الشهادة الثالثة في الأذان طبعت في هامش كشكوله : ربيع العمر وخريفه .

٧ ـ نشأة المدنيّة ، طبع ولكن الحكومة المعاصرة لسماحته ـ حيث رأت انه يمسّها ـ جمعت نُسخه من الأسواق .

٨ ـ تعليقة على العروة الوثقىٰ .

٩ ـ الخصائص الزينبية ، وهو الكتاب الحاضر بين يديك ، علماً بانه ترجمة لكتاب الخصائص الزينبية الفارسي الذي طبع عدة مرات ، وقد تم اول طبعة منه عام ١٣٤١ هجرية في النجف الأشرف في المطبعة المرتضوية لصاحبها المغفور له الحاج محمد صادق الكتبي وباللغة الفارسية ، وذلك بعد أن زيّنه مراجع عصره بتقاريض قيّمة جاءت في مقدمة الكتاب ، وتمّ آخر طبعة منه عام / ١٤٠٤ هجرية في قم المقدّسة وذلك بعد أن نسّقه ونمّقه ، وقدّم عليه فضيلة العلامة الشيخ محمد تقي تاج الدين رحمه الله ، وهو كتاب فريد في بحثه ، جميل في اسلوبه ، يدلّ على قوّة

علمية مؤلفه ، وحسن استنباطه واستخراجه ، وكبير اخلاصه ومحبته لاهل بيت نبيّه صلوات الله عليهم اجمعين ، وخاصة عقيلتهم وبليغتهم السيدة زينب عليها السلام ، ولذلك اصبح مورداً لاقبال الفضلاء والخطباء ، ومرجعاً معتبراً ، ومصدراً أميناً لهم فيما يخصّ العقيلة عليها السلام من الحديث حول جلالها وكمالها ، ومقامها ودرجتها عند الله تبارك وتعالىٰ ، وقد نقل منه العلامة الشيخ جعفر النقدي في كتابه الذي كتبه في السيدة زينب عليها السلام .

[وفاته ومثواه الأخير]

ابتلي سماحته في أواخر عمره بسكته ناقصة ، ادّت الى ضعفه ونقاهته ، وجعلته جليس داره وبيته ، ولكن مع ذلك كان لا يفوته زيارة الإمام الحسين عليه السلام مرتين في كل يوم ، وذلك على كرسي طبي خاصٍ به ، ذي اربع عجلات ، وكان في كل ذلك شاكراً صابراً مسلّماً راضياً ، حتى وافاه الأجل عصر يوم الجمعة ٢٣ جمادى الاولى عام ١٣٨٤ هجرية ، وانتقل الى رحمة ربّه ، والتحق بمرافقة اجداده الطاهرين في جنات النعيم ، وشُيّع جثمانه من قبل جماهير كربلاء المقدسة تشييعاً ضخماً ، ودفن في صحن الإمام الحسين عليه السلام في الحجرة الثانية من علىٰ يمين الداخل من باب الزينبيّة ، وكان المشيّعون يردّدون في تشييعه البيت التالي :

نائب المهدي نور الدين وافاه الحِمام حُق ان يبكي له الاسلام حزناً كالغمام

[اجازة اجتهاد اولى]

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق اجمعين رافع اقدار العلماء العاملين
المثنى عليهم في كتابه المبين بما يغني عن مدح المادحين ولو وصفوا
والصلوة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين
الطاهرين المعصومين وبعد فممن منحه الله بتحصيل العلوم الشرعية وتنقيح مبانيها
النظرية جناب العالم العامل الكامل المحقق المدقق التقي النقي الجزيل المعتمد الحاج
السيد محمد جعفر ايده الله تعالى نجل فريد عصره ووحيد دهره المرحوم المبرور
حجة الاسلام الحاج السيد عبد الصمد الشوشتري الجزائري طيب الله مضجعه السعيد
المرتضى قد حضر لدى جملة من العلماء وثلة من الاركان باحثا فاحصا محققا
مدققا اصاب في مباحث العلوم مدارجها سالكا في طرق الاستنباط
مسالكها فحقق ودقق وافاد واستفاد الى ان فاز بالمرتبة من بلوغ
رتبة الاجتهاد فله العمل بما يستنبطه من الاحكام على النهج المألوف
بين الاعلام وله التصدي للامور الحسبية والوظائف الشرعية وقد اجزت
له ان يروي عني ما صح لي روايته من كتب الاخبار سيما الاربعة التي عليها
المدار الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار وغيرها من الجوامع المعتبرة
واوصيه بملازمة التقوى والاحتياط وان لا ينساني من صالح الدعاء
والله ولي التوفيق

الاحقر ابو الحسن الموسوي
الاصفهاني



[اجازة اجتهاد ثانية]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وآله

الطيبين الطاهرين المعصومين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من

الآن إلى يوم الدين وبعد فإن العالم العامل والفاضل

الكامل فخر المجتهدين ومختار المدققين الأفقه الأسعد السيد

ذا الركن المعتمد من أكابر المجتهدين محمود حجة

الإسلام والمسلمين السيد نور الدين أدام الله أيامه من المفاخر

قد صرف برهة من الزمان في تحصيل العلوم الدينية

حتى بلغ من الكمال حظاً وافراً وقد نال مرتبة

الاجتهاد فصار مجتهداً وصاحب قوة قدسية

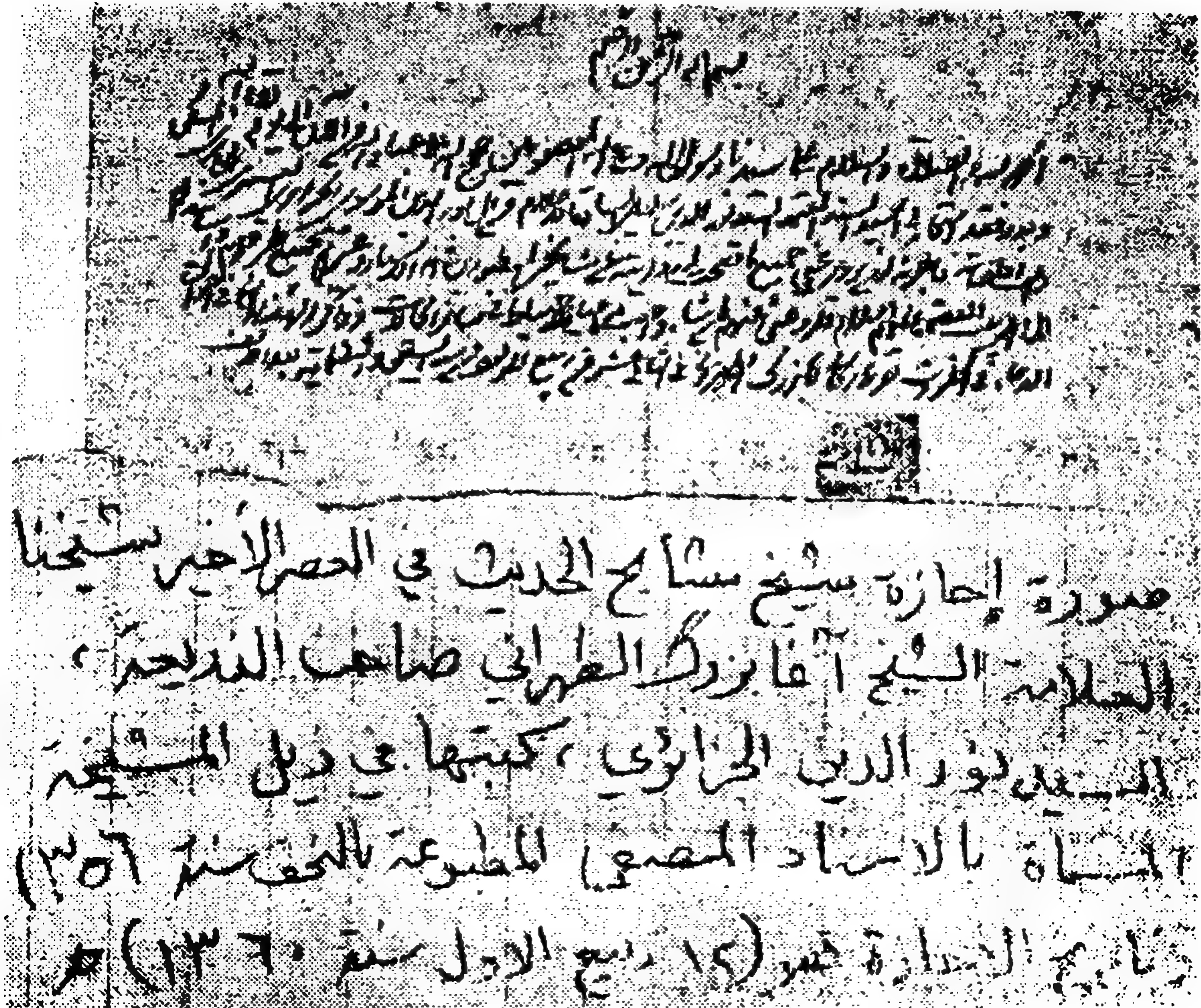
فله العمل بما استنبط من الأحكام على الطريقة المعروفة

ويحرم عليه التقليد كما هو شأن المجتهدين

حرره الأحقر حسام الدين ... العراقي

[illegible]

[اجازة رواية الحديث]



صورة إجازة شيخ مشايخ الحديث في العصر الأخير شيخنا العلامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة، السيد نور الدين الجزائري، كتبها في ذيل المشيخة المسماة بالاسناد المصفى المطبوعة بالنجف سنة ١٣٥٦ تاريخ الاجازة شهر (١٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٠) هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله المعصومين حجج الله على عبادالله من الان الى يوم لقاء الله.

وبعد فقد استجازني السيد السند المعتمد السيد نور الدين سليل الساده الاعلام من آل نور الدين الموسوي الجزائري التستري الحائري المسكن، دامت افاضاته فاجزته ان يروي عني جميع ماصحت لي روايته عن مشايخي المسطورين في هذه الاسناد وغيرهم بجميع طرقهم واسانيدهم الى اهل البيت العصمة عليهم السلام ويروي عني وعنهم لمن شاء وأحب مراعياً للاحتياط في سائر الحالات وذاكراً لهذا الجاني في احوال الدعاء في الخلوات. حررها الحاج آقا بزرك الطهراني في الثاني عشر من ربيع المولود من سنة الستين والثلثمائه بعد الالف. [١٣٦٠ هـ]

تقاريض العلماء على الكتاب

[تقريض آية الله العظمىٰ السيد ابو الحسن الاصفهاني]

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما رشح به قلم فضل السيّد الفاضل الجليل والحبر الماهر النبيل والناقد البصير والمتتبّع الخبير عماد الأعلام وصفوة الفضلاء الفخام السيد نورالدين نوّر الله قلبه وشرح صدره في مناقب عقيلة خدر الرسالة وشمسة قلادة الجلالة ونجمة سماء النبالة المعصومة الصغرىٰ زينب الكبرىٰ عليها السلام وهو كاشف عن كثرة تتبعه وسعة باعه ووفور اطلاعه فللّه درّه حيث انّه قد اوفى حق المقام وانهى المامول الى غاية المرام فجزاه الله تعالى افضل الجزاء وحباه اكمل الحباء فانّه ولي الاعطاء .

حرّره الأحقر ابو الحسن الموسوي الاصفهاني

[تقريض آية الله العظمىٰ الميرزا محمد علي الشهرستاني]

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي فضّل مداد العلماء على دماء الشهداء وصلّى الله على محمد وآله الاتقياء النقباء ، وبعد فلقد امعنت النظر وأجَلْت الفكر في هذا التأليف المنيف والتصنيف الشريف الذي احتوى على بعض فضايل من رُبّيت في حجرة النبوّة ورضعت من ثدي الفتوّة . وتضمن شرذمة من خصائص وليدة العصمة وحقيقة العفة فوجدته كتاباً يحكي ببياضه آية النور وجبهة الحور وقلب العبد الشكور . وبسواده ليلة القدر ومحور البدر والحجر الأسود ومقلة الخود الخرد . ولا غرو فانّه نشأ من معدن الحكمة والأدب والفضل والأرب جامع العلوم وحاوي الرسوم مخزن الفواضل الجليّة والفضائل المعنوية صاحب الأخلاق

المحمودة والخصال المسعودة الحاوي لشرفي العلم والرياسة الجامع لطرفي الفضل والكياسة ذي المرتبة العليا والمنقبة الكبرى السيد السند المسدّد المؤيّد العالم الكامل والمدقّق الفاضل ذي الفكرة الوقّادة ، والقريحة النقّادة والفهم القويم ، والذهن المستقيم والملكة القدسيّة والمنحة الربانيّة التقيّ المتقي والمهذّب الصفي مروّج الشرع المتين ولدنا الاعزّ السيد نور الدين ايّده الله وابقاه وزاد في كماله وعلاه واساله ان لا ينساني من الدعاء في اوقات الخلوة ومظان الاستجابة والله ولي الاجابة .

حرّره الأقل الجاني الشهرستاني محمد علي الحسيني المرعشي
عشيّة يوم الأربعاء ثاني عشرين شهر رجب المرجّب
من الأربعين بعد الثلاث مأة والألف من الهجرة النبوية
على مهاجرها الف ثناء وتحية في بلدة كربلاء المشرفة

[تقريض لأحد العلماء الأعلام]

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله على عظيم نعمائه وحسن بلائه وافضل تحيّاته وصلواته على افضل انبيائه وسيّد اصفيائه وعلى عترته واوصيائه سلام الله عليهم جميعاً ، وبعد : فان حقا ما يقال من ان تأليف كل امرء عنوان فضله ومرآة عقله ومن اراد ان يعرف مقدار فضل هذا السيد المهذّب والفاضل المدرّب السيد نورالدين انار الله عرفانه وبرهانه فلينظر الى مؤلّفه هذا فانّه يعرف مقدار فضله وجودة قريحته وسعة تتبّعه واطلاعه فشكّر الله سعيه واجزل برّه واعظم اجره على هذه الخدمة الجليلة والمائرة الجميلة والفكرة البكر واليد الغراء في خدمة سليلة الزهراء عليها السلام فهينئاً له هذه الفضيلة ونسئله تعالى توفيقه لاتمامها ولظهور امثالها منه انشاء الله تعالىٰ .

٢٧ صفر / سنة ١٣٤١

[تقريض آية الله العظمىٰ العراقي]

بسمه تعالى ، ان هذا الكتاب الذي هو لجناب عمدة الفضلاء العظام ، وفخر العلماء الأعلام ، مروّج شريعة سيد الأنام ، ومصباح طريق الحلال والحرام حاوي الفروع والاصول ، جامع المعقول والمنقول ، الركن المعتمد ، والسليل الأمجد ، مقياس معالم الدين ، ومعراج مدارج الحق واليقين ، الحاج السيد نورالدين ، نجل الزكي الافخم الامجد ، سليل العلماء الأطياب ، وركن الاسلام والمسلمين الحاج السيد محمد جعفر مدّ ظله ، نجل المرحوم المغفور له حجة الاسلام الحاج السيد عبدالصمد طاب ثراه وجعل الله الجنّه مثواه ، كتبه في احوال صاحبة العصمة الصغرىٰ ، والشفيعة في يوم المحشر ، وقد افتخرت بمطالعته فرأيته قوي التعبير ، متين المطالب ، رصين المقاصد ، بحيث لا يستطيع القلم ولا اللسان من تحرير الشكر ولا بيان التقدير والتكريم ، فهل شبل الاسد الا كالأسد ؟ ، وشكّر الله سعيه وجعله الأمثل وهو المرجوّ منه ، وجعله لدنياه واخرته ووفقنا الله تعالى بالاستفاضة من فيوضاته آمين آمين .

حرّر في ١٢ شهر شوّال المكرم / سنة ١٣٤٠
الاحقر ضياءالدين العراقي

[تقريض آية الله العظمىٰ السيد محمد الفيروزآبادي]

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي خصّ العلم بالرفعة والثناء فكان نوراً يقذفه فيه في قلب من يشاء وجعل اهله ورثة الأنبياء وفضّل مدادهم على دماء الشهداء . والصلاة على خير خلقه محمد افصح من نطق بالضاد وابلغ من اوتى الكتاب ، فاروى كل قلب صاد وعلى أهل بيته المختصّين بارث الحكمة وفصل الخطاب والمقرونين في الخلافة بأمّ الكتاب الذين هم معجزة نبوّته وآية رسالته وقِران قرآنه وعِدل فرقانه وبعد : فقد اجلت في هذه الأوراق الناظرة وسرحت في

رياض حدايقها الناضرة وبدايع اشجارها المثمرة فاذا هي في ساحل بحر لا ينال ساحله ويغرق نائله كتاب يشفى صدور قوم مؤمنين ويزداد منه غيظ قلوب المنافقين فيا له من كتاب حسنت اساليبه وعمّت شآبيبه اذا وقف عليه ارباب التبحّر يقفون منه على موارد لم يكونوا وردوها وعلى حقايق لم يكونوا وصلوها الموقظ للجاهل عن رقدته والمنبّه للغافل عن غفلته الحسام القاطع للمعاند والصاعقة المحرقة للجاحد وكيف وهو من افاضات العالم النبيل والفاضل الكامل الجليل معدن التقى والسداد ومركز الهداية والرشاد فرع شجرة النبوّة وثمرة دوحة الامامة جمّ المفاخر حميد المزايا والمآثر وارث العلم الزاخر عن اكابر بعد اكابر مؤيّد الشرع المبين السيد نورالدين .كتاب قد اضائت شوارق نجومه الثواقب حتى ما ابقيت خفاء من غياهب وهو في شأن بضعة الرسول وصنو البتول اخت الكمال والجلال وبنت ولي الله الملك المتعال العفيفة الجليلة التقيّة النقيّة الرضيّة الزكيّة المرضيّة رضيعة العصمة فاضلة عالمة غير معلّمة صدّيقة معصومة مظلومة عليها صلاة زاكية متّصلة دائمة .

قد صيّر الدين قرير العين	سحاب فيض العِلم نورالدين
وهو مضيء تقتضي آثاره	نعم وتتلى في الورى اخباره
احيى بها مهجور علم مدّخر	له بتسديد الامام المنتظر
لا زال راشداً قرير العين	بكلّ ما يرجوه في الدارين
جزاه ربّ الفيض احسن الجزاء	من حسن تبيان يباهي المعجزا
بكل حرف بهجةً ونوراً	وكل سطرٍ جنّةً وحوراً
حرّره الغريق في الأيادي	سمّى جدّه النبي الهادي

محمد الحسيني اليزدي الفيروزآبادي

وقال بعض العلماء أيضاً :

نسخة فيها شفاء وهدى	وضياء لقلوب العارفين
درّةٌ بيضاء والكأس الذي	جاء فيها لذّة للشاربين



الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

هدف التأليف

وبعد : يقول العبد العاصي نور الدين بن محمد جعفر بن عبدالصمد الموسوي الجزائري غفر الله له ولوالديه وجده ، واصلح امرهم ، وحقق املهم ومناهم : انه لما رأيت قد انقضىٰ عمري وتصرمت ايامي ولم اتزود منها لآخرتي ، طفقت افكر في الأمر وابحث عن زاد ينفعني لآخرتي ، فلم أر انفع زاداً من التوسل بالنبي وأهل بيته الطيّبين الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ، غير اني بقيت متفكراً في انتخاب من اتوسل به الى الله تعالى من عترة النبي ﷺ فألهمت ان اكتب ما يحضرني مختصراً عن بعض الأحوال والشؤون ، والخصائص والمناقب لصدف بحر الامامة ، ودرّ محيطات العصمة والطهارة ، وكوكب سماء العفة والفضيلة ، وممثّلة الطاهرات : آسية وهاجر ، ومريم وسارة ، وخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام ، وريثتهن في النبل والكرامة ، عقيلة قريش ، وربيبة الوحي ، صاحبة العصمة الصغرىٰ ، وكاملة اللب والحجىٰ ، محبوبة المصطفىٰ ، وقرة عين المرتضىٰ ، شقيقة الحسن المجتبىٰ والحسين الشهيد بكربلاء ، بنت خديجة الكبرىٰ وفاطمة الزهراء عليها السلام ، ام المصائب ، وقرينة النوائب ، زينب الكبرىٰ سلام الله وصلواتها عليها .

فسوّدت هذه الأوراق بقلمي القاصر وسميته : « **الخصائص الزينبيّة** » وضمّنته

مقدمات وأربعين خصيصة وبعض الإشارات والبشارات ، وأنا متوسّل بذيل عنايتها ، وراج من جودها وسماحتها ، ان تتقبل مني هذه الهدية المتواضعة ، وان تسأل الله لي ولإخواني في الدين ، التوفيق والسعادة في الدنيا والآخرة ، والأمن من الهلكات ، والبرائة من النار ، والحشر معهم في دار القرار .

المقدّمة الأولى:

اعتبار الكتاب

استناد الكتاب الى مصادر صحيحة ومشهورة يجعل الكتاب معتبراً وموثوقاً من حيث المطالب المندرجة فيه ، كما ان شخص المؤلف له الدور الكبير في اعتبار ووثاقة الكتاب الذي يؤلّفه ويكتبه ، وخاصة اذا كان عالماً وعرض كتابه على العلماء ورجال الدين ، ونظراً الى كثرة ما يصدر الى الاسواق من كتب في هذه المجالات من مؤلّفين غير معروفين وما فيها من مطالب غير مستندة الى مصادر معتبرة ، حاول المؤلّف على شهرته ووثاقته في الأوساط العلمية ، ومعروفيّته لدى الجماهير الشعبية ، ان يجمع في كتابه كل مواد الاعتبار والوثاقة : من قوة الشخصية ، وقوة المصادر ، وقوة التقريض من العلماء الأعلام المعاصرين له ، فجاء كتابه هذا قويّاً وموثوقاً ، والحمد لله .

* * *

المقدمة الثانية

تكريم الإنسان

قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً** ﴾ (سورة بني اسرائيل / الآية ٧٠) .

ومن الواضح : ان تكريم الانسان وتفضيله انما هو لأجل ما يتحلّى به الانسان من الكمال الذي اودع الله تعالى استعداده فيه ، وقد بحث عنه العلماء مفصلاً في كتبهم ، ولكن الذي يبدو لي هنا بالنظر القاصر ، وهو ما استفاده اهل الفضل والتحقيق من الأدلة العقلية والآثار النقلية هو : ان التكريم الذي خصّ الله تعالىٰ به الانسان ووهبه اياه ، انما هو لأجل النفس الانسانية الناطقة التي اودعها تعالىٰ فيه والتي لها القابلية بسبب العقل السليم على اكتساب الصفات الحسنة والملكات الخيّرة .

وعليه : فكل انسان استطاع ان يجعل من نفسه مجمعاً للكمالات ومنبعاً للملكات الحسنة ، كان بلا ريب ولا شك ، أفضل من كثير من المخلوقات التي خلقها الله تعالىٰ ، كما انه لو اصبح فاقداً لتلك الكمالات والملكات صار كالأنعام بل هو اضلّ وذلك على ما يقوله تعالىٰ واصفاً بعض الناس : ﴿ **اولئك كالأنعام بل هم أضلّ ...** ﴾ .

ثم ان الكمالات طبقاً لبعض الاصطلاحات العلمية على نوعين : تكوينيّة وتشريعيّة ، وكل من هذين النوعين ينقسم الىٰ قسمين : داخلية وخارجية ، فالأقسام اربعة على ما يلي :

١ ـ تكوينيّة خارجية : وهي عبارة عن الكمالات الخارجية البارزة المظهر ، وهي التي ليس للانسان فيها اختيار وانتخاب ، كالحسن والجمال ، والكمال

الجسماني .

٢ ـ تكوينية داخلية : وهي عبارة عن الكمالات الداخلية المخفية الظهور ، وهي ايضاً كالقسم الأول ليس للانسان فيها اختيار وانتخاب ، كانتظام دقات القلب وجريان الدم .

٣ ـ تشريعية داخلية : وهي عبارة عن الكمالات الداخلية الكامنة في القلب ، والتي للانسان فيها اختيار وانتخاب ، كالتطبّع على حب الله والأنبياء والأولياء ، وحب الخير للآخرين .

٤ ـ تشريعية خارجية : وهي عبارة عن الكمالات الخارجية الظاهرة على الجوارح والأعمال الخارجية ، والتي للانسان فيها اختيار وانتخاب ، كالبشاشة وحسن العشرة .

اذن : فالقسمين الأولين ليس للانسان فيهما حق الانتخاب والاختيار ، بينما في القسمين الأخيرين له الحق في الانتخاب والاختيار . وله القدرة على اكتساب ما شاء منهما من الفضائل والكمالات الداخلية والخارجية ، كما وله القابلية لان يدرج نفسه بذلك فيمن عنته الآية الكريمة بالتكريم ، ولان يشمله قوله تعالى : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ وذلك بلا فرق بين الذكر والأُنثىٰ .

نعم ، الذي يستطيع ان يرقىٰ سلّم الكمال ويترفع الى اقاصيه هو دائماً القلّة من الناس كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ وخاصة بين النساء ، فان الذي بلغ منهن اقصى درجات الكمال قليل جدّاً ، ومن ذلك القليل بعد المعصومين الأطهار عليهم السلام هي السيدة الجليلة والمخصوصة ببحثنا في هذا الكتاب ، أعني : سلالة النبوّة المحمدية ، والولاية العلوية ، والعصمة الفاطمية ، وصاحبة العصمة الصغرىٰ : زينب الكبرىٰ سلام الله عليها ، فان من لاحظ تاريخها ، ودقق في حالاتها وكمالاتها ، علم يقيناً بأنها قد بلغت القمّة في الكمال الانساني ، وصارت نموذجاً جيداً لقول الشاعر :

فلو كنّ النساء بمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال
فما التأنيث عيب للشموس ولا التذكير فخر للهلال

اما كراماتها من حيث النسب ، فانّها من بيت النبوّة والإمامة ، ولا يخفىٰ فضل هذا البيت على أحد من الأولين والآخرين ، كيف لا وهي من ثمرة الشجرة المباركة التي : « اصلها ثابت وفرعها في السماء » ومن سلالة من قال : « انا سيد ولد آدم ، ولا فخر » ومن النسب المبارك غير المنقطع الذي تجلّىٰ في قوله ﷺ : « كل نسب منقطع يوم القيامة الاّ نسبي » فجدّها اشرف الأنبياء وخاتمهم ، وأبوها سيد الأوصياء وأشرفهم ، وأمّها الانسيّة الحوراء سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وجدّتها ملكة البطحاء خديجة الكبرىٰ ، وأخواها سبطا رسول الله ﷺ وسيّدا شباب أهل الجنة ، وبكلمة واحدة : « لها النسب الوضّاح يشرق نورها » .

وأما كراماتها من حيث الأدب ، فهي ربيبة الوحي والعصمة ، ولا يخفىٰ فضلها وكمالها على من راجع شيئاً من تاريخها وسيرتها ، فان المدقّق في ذلك يطمئن الى انها السباقة في هذا المضمار ايضاً ، ونحن نريد في هذا المجال ان نذكر باختصار بعضاً منه ، وذلك في اطار خصائصها سلام الله عليها ، بفضل الله وتأييده انشاء الله تعالىٰ .

❊ ❊ ❊

المقدمة الثالثة

ذرّيّة الزهراء عليها السلام هم ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله

لقد خصّ الله وليّه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحبيبة حبيبه فاطمة الزهراء عليها السلام بالكرامة الكبرىٰ حيث جعل ذرّية رسوله صلى الله عليه وآله من صلب علي عليه السلام وبطن فاطمة عليها السلام ، وهذه مزية ميّز الله تعالىٰ به خاتم رسله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله عن سائر الأنبياء ، وكرامة منحها الله تعالىٰ ذرية فاطمة عليها السلام الى يوم القيامة .

والدليل على ذلك ـ مع غض النظر عن العرف الذي ينسب اولاد البنت الىٰ الجدّ ايضاً ـ القرآن الحكيم ، والروايات الكثيرة المنقولة في هذا المجال عن عامة المسلمين شيعة وسنّة ، ونحن نشير الى بعض تلك الروايات :

في كتاب ينابيع المودّة ، عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الاّ سببي ونسبي ، وكلّ ولد اُم فان عصبته لأبيهم ما خلا ولد فاطمة ، فاني انا ابوهم وعصبتهم ».

وفي هذا الخبر اشارة الى فضيلتين :

١ ـ ان ذرية فاطمة عليها السلام هم ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ، ويُنسبون اليه في الدنيا والآخرة .

٢ ـ انه اعتراف صريح من مثل عمر لفاطمة عليها السلام وذريتها بهذه الفضيلة العظمىٰ.

وأيضاً في ينابيع المودّة ، عن جابر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي ».

ويظهر من هذا الخبر انه مما خصّ الله تعالىٰ به نبيّه صلى الله عليه وآله ان جعل ذريته من صلب علي بن ابي طالب عليه السلام .

وفي ينابيع المودّة عن جواهر العقدين ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها ، عن جدّتها فاطمة الكبرىٰ سلام الله عليها قالت : « قال ابي رسول الله صلى الله عليه وآله : كل بني أم ينتمون الى عصبته ، الا ولد فاطمة ، فانا وليهم وعصبتهم » .

وأيضاً في ينابيع المودّة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : « كنت أنا والعباس جالسين عند النبي صلى الله عليه وآله اذ دخل علي عليه السلام فسلّم ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وآله السلام وقام اليه وعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه ، فقال العباس : يا رسول الله أتحبّه ؟ فقال : يا عم ! والله ، والله اشد حبّاً له مني ، ان الله عزّوجلّ جعل ذرّية كل نبي في صلبه ، وجعل ذرّيتي في صلب هذا » .

اذن : فمن هذه الأخبار وغيرها مما رواها الفريقان ، او اختص بها العامة فقط ظهر : ان ذرية فاطمة عليها السلام هم ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي في هذا المجال احتجاج مسهب ومناظرة مفصلة دارت بين الامام موسى بن جعفر عليه السلام وهارون ، ننقل منها ما يخص بحثنا كدليل على ما نحن فيه ، وعلى من اراد الاطلاع عليها كاملة مراجعة الكتاب المذكور :

« قال عليه السلام : « ثم قال لي هارون : لم جوّزتم للعامة والخاصة ان ينسبوكم الى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولوا لكم : يا بني رسول الله صلى الله عليه وآله وانتم بنوا علي عليه السلام وانما ينسب المرء الى ابيه ، وفاطمة عليها السلام انما هي وعاء والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل امكم ؟

فقلت : يا (هذا) لو ان النبي صلى الله عليه وآله نشر ، فخطب اليك كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله ، ولم لا اجيبه ؟ بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ، فقلت له : لكنه لا يخطب اليّ ولا ازوّجه ، فقال : ولم ؟ فقلت : لانه ولدني ولم يلدك . فقال : احسنت يا موسىٰ . ثم قال : كيف قلتم : انا ذرية النبي صلى الله عليه وآله والنبي لم يعقّب ، وانما العقب الذكر ، لا الانثىٰ ، وانتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقباً له ؟ فقلت : اسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه ، الاّ اعفيتني عن هذه المسألة . فقال : لا ،

أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي ، وانت يا موسىٰ يعسوبهم وامام زمانهم ، كذا أنهي اليَّ ، ولست اعفيك في كل ما اسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله ، وانتم تدعون معشر ولد علي انه لا يسقط عنكم من شيء الف ولا واو ، الا تأويله عندكم ، واحتججتم بقوله عزّوجلّ : ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾ واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم : فقلت : تأذن لي في الجواب ؟ قال : هات . فقلت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **ومن ذرّيته : داود ، وسليمان ، وايوب ، ويوسف ، وموسىٰ ، وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ، ويحيىٰ ، وعيسى** ﴾ من أبو عيسىٰ يا (هذا) ؟ فقال : ليس لعيسىٰ أب . فقتل : انما أُلحق بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك أُلحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل امنا فاطمة عليها السلام .ازيدك يا (هذا) ؟ قال : هات . قلت : قول الله عزّوجلّ : ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ ولم يدّع احد انه ادخله النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارىٰ الا علي بن ابي طالب عليه السلام وفاطمة ، والحسن والحسين ، ابناءنا : الحسن والحسين ، ونساءنا : فاطمة ، وأنفسنا : علي بن ابي طالب عليه السلام على ان العلماء قد اجمعوا على ان جبرئيل قال يوم أُحد : « يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي » قال صلى الله عليه وآله : لانه مني وانا منه ، فقال جبرئيل : وانا منكما يا رسول الله ، ثم قال : « لا سيف الا ذو الفقار ولا فتىٰ الا علي » الى آخر الحديث » ـ الاحتجاج للطبرسي ج ٢ / ص ٣٩١ مطبعة سعيد مشهد المقدسة ـ.

وهكذا استدل الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهارون ولكل من اشتبه له الأمر ، بان ذرية فاطمة عليها السلام هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله بكتاب الله العزيز الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فان « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

المقدمة الرابعة

بدء خلقة الزهراء عليها السلام والأئمة الطاهرين من ذريّتها

لا يخفىٰ : ان هناك في روايات الفريقين روايات كثيرة ومتواترة قد تعرضت للحديث عن كيفية خلق الله تبارك وتعالى انوار المعصومين الأربعة عشر ، وهم اصحاب الكساء الخمسة : محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وابنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام واخوه وابن عمه وابو ذريته علي بن ابي طالب عليه السلام ، وسبطاه الحسن والحسين عليهما السلام ، والتسعةالمعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام : علي بن الحسين السجاد ، ومحمد بن علي الباقر ، وجعفر بن محمد الصادق ، وموسى بن جعفر الكاظم ، وعلي بن موسى الرضا ، ومحمد بن علي الجواد ، وعلي بن محمد الهادي ، والحسن بن علي العسكري ، والحجة بن الحسن المهدي عليهم السلام ، ونحن نكتفي هنا بذكر حديث منها ننقله من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجسي ج ٢٥ / ص١٦ / ح ٣٠ ، والحديث هو كما يلي :

« عن أنس بن مالك قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى صلاة الفجر ، ثم استوىٰ في محرابه كالبدر في تمامه ، فقلنا : يا رسول الله ان رأيت ان تفسّر لنا هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقاً** ﴾ ـ سورة النساء آية ٦٨ ـ . فقال النبي صلى الله عليه وآله : اما النبيّون : فانا ، واما الصدّيقون : فعلي بن ابي طالب ، واما الشهداء : فعمي حمزة ، واما الصالحون : فابنتي فاطمة والحسن والحسين .

فنهض العباس من زاوية المسجد الى بين يديه صلى الله عليه وآله وقال : يا رسول الله ! الستُ أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد ؟ قال صلى الله عليه وآله : وما

وراء ذلك يا عمّاه ؟ قال : لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم ، ولم تشرّفني حين شرّفتهم .

فقال النبي ﷺ : يا عماه ! اما قولك انا وانت وعلي والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت ، ولكن يا عم ان الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل ان يخلق آدم ، حيث لا سماء مبنيّة ، ولا أرض مدحيّة ، ولا ظملة ولا نور ، ولا جنّة ولا نار ، ولا شمس ولا قمر .

قال العباس : وكيف كان بدو خلقتكم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : يا عم لما اراد الله ان يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً ، ثم تكلم بكلمة فخلق منها روحاً ، فمزج النور بالروح فخلقني ، واخي علياً ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، فكنا بكلمة نسبّحه حين لا تسبيح ، ونقدّسه حين لا تقديس ، فلما أراد الله ان ينشئ الصنعة فتق نوري ، فخلق منه العرش ، فنور العرش من نوري ، ونوري من نور الله ، وانا افضل من العرش .

ثم فتق نور أخي علي بن أبي طالب فخلق منه الملائكة ، فنور الملائكة من نور علي بن ابي طالب ، ونور علي بن ابي طالب من نور الله ، ونور علي بن ابي طالب افضل من الملائكة .

ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرض ، فنور السماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ، وفاطمة من نور الله ، وفاطمة افضل من السماوات والأرض .

ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر ، فنور الشمس والقمر من نور الحسن ، ونور الحسن من نور الله ، والحسن افضل من الشمس والقمر .

ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين ، فنور الجنة والحور العين من نور الحسين ونور الحسين من نور الله ، والحسين افضل من الجنة والحور العين .

ثم أمر الله الظلمات ان تمر على السماوات ، فاظلمت السماوات على

الملائكة ، فضجّت الملائكة بالتسبيح والتقديس ، وقالت : الهنا وسيدنا منذ خلقتنا وعرّفتنا هذه الأشباح لم نر بؤساً ، فبحق هذه الأشباح الا كشفت عنا هذه الظلمة ، فاخرج الله من نور ابنتي فاطمة قناديل معلقة في بطنان العرش ، فازهرت السماوات والأرض ، ثم اشرقت بنورها ، فلأجل ذلك سميت زهراء ، فقالت الملائكة : الهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر ، الذي قد أزهرت منه السماوات والأرض ؟ فاوحىٰ الله اليهم : هذا نور اخترعته من نور جلالي لامتي فاطمة ابنة حبيبي ، وزوجة وليّـي ، واخي نبيّي ، وابي حججي على عبادي ، اشهدكم ملائكتي اني قد جعلت ثواب تسبيحكم لهذه المرأة وشيعتها ، ثم لمحبّيها الى يوم القيامة ، فلما سمع العباس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك نهض الى علي بن ابي طالب عليه السلام وقبّل ما بين عينيه وقال : يا علي لقد جعلك الله حجّة بالغة على العباد الى يوم القيامة » .

وهذا الحديث الشريف الذي هو واحد من عشرات الأحاديث الواردة فـي هذا المجال يكشف لنا عن بعض الجوانب من أسرار الخلقة وبدء تكوين العالم ، كما ويوقفنا على بعض الجهات من أسرار عظمة المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين ، الذين خلق الله تعالى الكون من أجلهم ولمحبتهم ، ويطلعنا على بعض ما لهم عند الله من منزلة عظيمة وجاه رفيع ، كما ويدلّنا على عظمة من وضعنا الكتاب للبحث حوله والتشرف بذكره ، الا وهي فرع هذا الأصل الشامخ ، وثمرة هذا الدوح الكريم ، صاحبة العصمة الصغرىٰ اعني : زينب الكبرىٰ صلوات الله وسلامه عليها ، التي تربّت في أحضان الرسالة والإمامة والعصمة ، وترعرعت على موائـد الوحي والقرآن والتنزيل ، فهي جديرة بالمدح والثناء ، ومستحقة للشكر والتقدير ، وحيث لا بضاعة وافية لنا في هذا المجال ، نقدم هذا الشيء القليل والنادر اليسير من البضاعة المزجاة بذكر بعض الخصائص المتعلقة بـهذه السـيدة الكـريمة ، راجـين عفوها وقبولها ، ووفاء الكيل والتصدق منها علينا ، ان الله يجزي المتصدّقين .

الخصيصة الأولى:

« في مميّزات ولادتها عليها السلام »

يمتاز العظماء من الرجال وكذلك العظيمات من النساء على من سواهم بمميزات خصّهم الله تعالى بها ومنحهم اياها دون سائر الناس ، وهذه المميزات تكون علامة لهم من الله تعالى وآية علىٰ تفوّقهم ورفعتهم ، وهي تلازمهم حتى قبل حملهم وولادتهم ، وزينب الكبرىٰ عليها السلام هي احدىٰ تلك العظيمات التي لم تكن لتفترق عنهم بشيء من تلك المكرمات ، ولذلك امتازت في حملها وولادتها عليها السلام عن الآخرين بامور :

[أيام الحمل]

١ ـ انها منذ انعقاد نطفتها واستقرارها في رحم امها فاطمة الزهراء عليها السلام ، قارن امها الزهراء عليها السلام هموماً وغموماً لا تقاس ، كما كان يقارنها مثل ذلك في حملها باخويها من قبلها الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام ، ومِن بعدها بام كلثوم عليها السلام والمحسن عليه السلام ، بينما المتعارف بين الامّهات في الأُسر العادية ان يقارنهنّ الفرح والسرور حتى يضعن حملهن ، لكن الزهراء عليها السلام كانت كلما تحمل بواحد من اولادها الخمسة صلوات الله عليهم ، كانت لكرامتها وكرامة ذريتها على الله تعالىٰ ، تُخبر بما سيجري على ولدها ذلك من بعدها ، وما سيلاقيه من مصائب وبلايا في حياته الاجتماعية ، وحب الاولاد والعطف عليهم والتأثر بما يجري عليهم فطري كل انسان ، وخاصة مثل الزهراء عليها السلام التي هي من قمم الانسانية عطفاً ومحبة وحناناً ،

ولذلك كانت عليها السلام رأفة باولادها وعطفاً منها عليهم تزداد هماً وغماً كلما اقترب زمان وضع حملها بواحد منهم .

فقد أُخبرت عن ابنها الامام الحسن عليه السلام السبط الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته ، وسيد شباب اهل الجنة ، بانه سيلاقي بعدها ما يلاقيه من معاوية وامثاله ، وسيتسلّل اليه معاوية بن ابي سفيان بمكر وشيطنة حتى يصل عقر داره ويدس اليه عبر زوجته بنت الأشعث سماً فتّاكاً ، فيقتله به مظلوماً مهضوماً ، كما واخبرت عند حملها بالامام الحسين عليه السلام السبط الأصغر لرسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب اهل الجنة ، بما يجري عليه من بعدها من بني امية عامة ومن يزيد بن معاوية خاصة ، حيث المجزرة الكبرىٰ التي سينزلها بـه وبـاهل بـيته واصـحابه ، وبـحر الدم الذي سيغرقهم فيه ، وغير ذلك من الفجائع الفادحة ، مما زاد في همّ الزهراء عليها السلام وغمها عليه ، حتىٰ تحدث عنها القرآن الكريم كما قال تعالىٰ : « حملته امه كُرهاً ووضعته كُرها .. » وهكذا أخبرت الزهراء عليها السلام عندما حملت بزينب الكبرىٰ عليها السلام بما يجري عليها من الاسر والسبي وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعزيزته ، كما وأُخبرت عليها السلام بعدها بما يشابهه عند حملها بام كلثوم عليها السلام ومن بعدها بالمحسن عليه السلام .

[كيفيّة الولادة]

٢ ـ إنها عليها السلام ـ وكذلك اختها ام كلثوم ـ اختصت بهذه الكرامة المباركة وهي بان كانت ولادتها عليها السلام من امها فاطمة عليها السلام عبر انفتاح في القسم الأعـلى مـن الرجل اليسرىٰ ـ وهذا بالنسبة اليهم عليهم السلام ليس شيئاً عجيباً مع ارادة الله تعالىٰ لهـم الطهارة والرفعة ، خاصة وقد تطور اليوم العـلم وتـقدم الطب ، واسـتطاع ان يـولّد الأطفال عبر عمليات جراحية من خاصرة الام ، فكشف بذلك عن صحة تحقق هكذا كرامات مذكورة في التاريخ عن هؤلاء العظماء ـ هذا وقد ذكر العلامة الشيخ البهائي في كشكوله في حديث عن فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها قالت : ولدتُ الحسن والحسين

من الفخذ الايمن ، وزينب وام كلثوم من الفخذ الأيسر .

[في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم]

٣ ـ انها عليها السلام اختصت ـ كاختصاص أخيها الامام الحسين عليه السلام ـ بهذه المكرمة الكبيرة ، والمنزلة الرفيعة ، وهي انها عليها السلام لما وُلدت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبارك بها قُدمت الى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما اخذها جدّها وهي في قماط ابيض ترقرقت عيناه الشريفتان بالدموع واجهش بالبكاء ، كما قد ترقرقت من قبل واجهش بالبكاء عندما أخذ سبطه الامام الحسين عليه السلام ، ففي الخبر ما يلي :

« روي ان زينب بنت علي بن ابي طالب عليهما السلام لما ولدت اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء الى منزل فاطمة عليها السلام وقال : يا بنتاه ! ايتيني بُنيّتك المولودة ، فلما احضرتها اخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمّها الى صدره الشريف ، ووضع خدّه المنيف على خدها فبكىٰ بكاءاً عالياً ، وسال الدمع حتى جرى على كريمته الشريفة . فقالت فاطمة عليها السلام : ممّ بكاؤك ، لا ابكىٰ الله عينيك يا أبتاه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا بنيّة يا فاطمة ! اعلمي ان هذه البنت بعدك وبعدي تبتلىٰ ببلايا فادحه ، وترد عليها مصائب ورزايا مفجعة ، فبكت فاطمة سلام الله عليها عند ذلك ، ثم قالت : يا أبه ! فما ثواب من يبكي عليها وعلى مصائبها ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا بضعتي ويا قرة عيني ! ان من بكىٰ عليها وعلى مصائبها كان ثواب بكائه كثواب من بكىٰ على اخويها ، ثم اختار لها اسم : زينب » .

وفي هذا الخبر من الفضائل والمناقب لسيدتنا زينب عليها السلام ما لا يخفىٰ على اولي الألباب والنُّهىٰ .

[عزاء جبرئيل عليه السلام]

٤ ـ انها عليها السلام اختصت ـ كما اختص اخوها الامام الحسين عليه السلام من

قبلها ـ بهذه المنقبة الكبرىٰ ، والفضيلة العظمىٰ ، ألا وهي : إخبار أمين الوحي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالىٰ جدها رسول الله صلى الله عليه وآله عن مصائبها ، وما سيجري عليها من البلايا ، وما ستلقاه من ظلم بني امية على يدي طاغيتهم يزيد بن معاوية بن ابي سفيان .

الخصيصة الثانية

« في تسميتها عليها السلام وكناها وألقابها »

لا يخفىٰ ان رضيعة ثدي الرسالة والعصمة ، وربيبة الوحي والقرآن ، وأول ابنة لقسيم الجنة والنار ، وساقي الكوثر يوم الحشر والنشر ، كان اسمها : زينب عليها السلام ، لكن تاريخ ولادتها وكذلك تاريخ وفاتها عليها السلام لم يكن معلوماً بالضبط ففي ايّ يوم ، وفي ايّ شهر ، وفي ايّ سنة ، ولدت هذه السيدة المباركة ، فهو بالدقّة غير واضح رغم التتبّع الكثير والفحص الكافي الذي قمت به ، وذلك بحثاً في الكتب وسؤالاً عن الشخصيات العلمية ورجال التحقيق ، حيث لم ينته ذلك كلّه الاّ على الوقوف بما في كتاب : « بحر المصائب » من ان ولادتها عليها السلام في اول ، أو في اوائل شهر شعبان المعظم في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة ، وذلك بعد سنتين من ولادة اخيها الامام الحسين عليه السلام .

والاّ علىٰ ما جاء في كتاب : « الطراز المذهب » من ان ولادتها عليها السلام كان في شهر رمضان وفي الأيام الأخيرة منه في السنة التاسعة من الهجرة النبوية المباركة ، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سافر حينها من المدينة الى تبوك ، نعم كان علي عليه السلام حاضراً آنذاك في المدينة .

ومن المعلوم : ان ما جاء في كتاب : « الطراز المذهب » من تعيين السنة التاسعة للهجرة سنة ولادتها عليها السلام لا يتناسب مع الحقائق التاريخية الواضحة ، فان السنة التاسعة مع السنة العاشرة الذي ارتحل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدنيا ، لم يكن الفصل بينهما كثيراً حتى يصح ان تكون الزهراء عليها السلام قد انجبت خمسة اولاد بهذا

الترتيب : اولهم : الامام الحسن عليه السلام ، وثانيهم : الامام الحسين عليه السلام ، وثالثهم من حيث الترتيب : زينب الكبرىٰ عليها السلام ، ورابعهم : ام كلثوم عليها السلام ، وخامسهم : محسن عليه السلام .

ولذلك لا يمكن الجمع بين ما اشتهر وبين ما ذكره كتاب : « الطراز المذهب » .

بل حتى لو قلنا : بانه لم يكن للزهراء عليها السلام من البنات الا واحدة ـ كما يظهر هذا القول من البعض ، ومؤرخ الكتاب المذكور هو أيضاً ممن يقول بهذا القول ـ لم يتناسب ايضاً من جهة اخرىٰ مع ما اشتهر من بعض الأخبار التي نقل بعضها مؤرخ الكتاب المذكور نفسه ، والتي منها : ان زينب الكبرىٰ عليها السلام كانت في عهد جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدرك الأشياء وتميز بينها ، بان كانت عليها السلام في سنّ التمييز ، وهو يتنافىٰ تماماً مع ما ذكره من سنة الولادة ، ومن تلك الأخبار الدالة على تمييزها عليها السلام : هو الخبر الذي يتحدث عن رؤياها العجيبة التي رأتها عليها السلام فيما يتعلق ببعض ما يجري عليها وعلى أهل البيت عليهم السلام والذي قد نقله المؤرخ نفسه في كتابه المذكور .

وعليه : فان ما جاء في كتاب : « بحر المصائب » هو الأولىٰ بالانتخاب ، مما جاء في كتاب « الطراز المذهب » وذلك لصحة اجتماعه مع بقية ما اشتهر من الأخبار الأُخرىٰ ـ على ما عرفت ـ .

[زينب في اللغة]

وكيف كان : فان اسمها المبارك مما اتفق على انه هو : زينب ، وزينب لغة : اسم شجر حسن المنظر ، طيّب الرائحة ، وبه سمّيت المرأة ـ لسان العرب ج ٦ / ص ٨٨ .

او نقول : ان زينب مأخوذ من : زَنِبَ ، بمعنىٰ : سَمِنَ ، على وزن : فَرِحَ ، او مأخوذ من : زَين أب . يعني زينة ابيها ، وبهذا الاعتبار عبّر البعض عنها بانها عليها السلام : زين أبيها ، كما ان امها الزهراء عليها السلام كانت على ما اشتهر قد كنّاها ابوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بام ابيها ، وهو تقابل جيد وحسن .

وعليه : فلو أُخذ زينب من : زين أب ، بعد سقوط الألف منها للتخفيف ، او لكثرة الاستعمال ، فهو مما يناسبها عليها السلام لأنها كانت بايمانها وتقواها ، وعلمها وفضلها زينة وفخراً في التاريخ لأبيها أمير المؤمنين عليه السلام ، بل لأهل البيت عليهم السلام اجميعن ، حيث دافعت وحمت حريمهم ، وضحّت وفدّت بنفسها عنهم ، حتى استطاعت ان تُبقي ذكر اخيها الامام الحسين عليه السلام وتحيى نهضته الاصلاحية رغم تباعد الدهور ، وتبقي بذلك ذكر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وتحيي به الاسلام وتعاليمه الانسانية العادلة، ولذلك على اثر تضحيتها عليها السلام وتفديتها بنفسها لم تعمّر طويلاً ، وانما ودعت الحياة بعد أن اكملت مهمتها ورجعت بالاسرى الى مدينة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث لم يَدم بقاؤها عليها السلام بعد شهادة اخيها الامام الحسين عليه السلام السنة الواحدة .

هذا ان كان زينب مأخوذ من : زين أب ، وان كان مأخوذ من : زَنِبَ بمعنىٰ : سَمِنَ ، فهو أيضاً يدل على سموها ورفعتها عليها السلام ، لان السِّمَن من الأُمور الاضافية التي تعطي ظلالاً خاصاً ومتفاوتاً كلما تبدّلت اضافتها ، فلو اضيفت الى الجماد كان معناها غير المعنى الذي ينعكس اذا اضيفت الى النبات ، واذا اضيفت الى الحيوان كان معناها غير المعنىٰ الذي يظهر منها حين تضاف الى الانسان ، فَسِمَن الجماد : صلابته ومقاومته . وسِمَن النبات : كثرة اغصانه وثمره ، وسِمَن الحيوان : وفرة لحمه وشحمه . وسِمَن الانسان : قوة عقله ، وكثرة كماله ، ووفرة اخلاقه ، وحسن سيرته ، وحيث كانت عقيلة بيت الرسالة والإمامة جامعة لقوة العقل ، وكثرة الكمال ، ووفرة الأخلاق ، وحسن السيرة اختصت بهذا الاسم الشريف يعني : زينب .

وان كان زينب بالمعنىٰ اللغوي المنقول من اسم شجر حسن المنظر طيب الرائحة ، فهو أيضاً مما يناسبها عليها السلام ، لان في الكنايات اللغوية والاستعارات الأدبية قد تعارف اطلاق اسم الشجرة على ذوي الشخصيات الكبيرة والنفسيات العظيمة ، بل اطلاقها على كل شيء نفيس وذو خير كثير ، ومنه قوله صلى الله عليه وآله : « انا وعلي من شجرة واحدة » وفي الآية الكريمة : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » وحيث انها عليها السلام

من ذوي الشخصيات والبيوتات ، واولي الأيدي والخير الكثير سميت باسم : زينب ، فهي اذن اسم على مسمّىٰ .

وقال بعض : ان اسم زينب يعني : ام المصائب ، علماً بما ستتحمله عليها السلام من بلايا ورزايا ، ومن سبي وأسر ، ولذلك سميت باسم زينب .

هذا ولكن اجمل المعاني وافضلها لاسم زينب هو انه بمعنى : زينة الأب المأخوذة من : زين اب ، فانها عليها السلام كانت ولا تزال زينة لأبيها حقاً ، كما ان لأبيها عليه السلام الحق في أن يفتخر ويباهي بها العالم ، لانها زينة العالم حقاً وحقيقة .

« اشارة »

[من اسرار اسم زينب عليها السلام]

يقال : ان كل حرف من حروف الهجاء الأربعة لاسم : زينب ، يرمز الى عظيم من العظماء ، ويشير اليه ، وينبئ عن انها عليها السلام قد ورثت العظمة منهم ، فكانت خير وارث لمحاسنهم ، والخلف الصالح لهم ، والدليل الصادق على مآثرهم .

فالزاء : يرمز الى امها الزهراء عليها السلام ، لما ورثتها من امها عليها السلام من الصبر والصمود والتضحية والفداء .

والياء : يرمز الى ابيها علي عليه السلام لما ورثتها منه عليه السلام من الشجاعة والشهامة ، والعلم والحلم .

والنون : يرمز الى أخويها الهمامين : الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام لما ورثتها منهما عليهما السلام من فضائل ومكارم ، واخلاق وآداب .

والباء : يرمز الى النبي جدها المختار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لما ورثتها منه صلى الله عليه وآله من عزّ وشرف ، وسؤدد وسيادة .

وحيث ان الله تبارك وتعالى أراد بيان فضل هذه السيدة الكريمة : بضعة الرسالة ، وربيبة الامامة ، عقيلة بني هاشم ، وكريمة أهل البيت ، اصطفاها واختار لها

اسم : زينب ، وتسميتها عليها السلام باسم : زينب ، من قِبَل الله تبارك وتعالى هي منقبة كبيرة وفضيلة عظيمة ، لم ينلها الا خاصة من عباد الله المقربين ، ولم يبلغها الا عباقرة حظوا على جاه عظيم ، وتأييداً لذلك سأعرض بعض النماذج مما يحضرني في هذه العجالة ممن قد تولّى الله تبارك وتعالى تعيين اسمائهم مِن عباده المكرمين ، وصفوته المنتجبين ، وصرّح في كتابه باسمائهم ، واطلقها عليهم :

[اسماء تعيّنها السماء]

١ ـ الملائكة المقرّبون مثل جبرائيل وميكائيل واسرافيل ، وغيرهم من الملائكة العظام .

٢ ـ آدم عليه السلام صفوة الله وأبو البشر وكذلك : حواء عليها السلام ام البشر فقد قال : ﴿ **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنّة** ﴾ وقال تعالى يخاطب الناس ويذكّرهم بأبيهم وما جرىٰ عليه : ﴿ يا بني آدم ... ﴾ وقال تعالى : ﴿ **انّا خلقناكم من ذكر وانثىٰ** ﴾ يعنى : آدم وحواء .

٣ ـ يحيىٰ عليه السلام نبي الله ، حيث قال تعالىٰ : ﴿ **يا زكريا انا نبشّرك بغلام اسمه يحيىٰ** ﴾ .

٤ ـ عيسىٰ عليه السلام روح الله وكلمته ، فقد قال تعالىٰ : « يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة منه اسمه : المسيح عيسىٰ بن مريم » آل عمران / ٤٥ .

٥ ـ خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى عن لسان عيسىٰ عليه السلام : ﴿ **ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ الصف / ٦ .

٦ ـ سيد الأوصياء ووصيّ رسول ربّ العالمين علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث قال تعالىٰ وهو يصف خلاصة آثار الأنبياء ومجسّد تراثهم وثقافاتهم : ﴿ **وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً** ﴾ مريم / ٥٠ ففي كمال الدين وتمام النعمة ـ ج ١ / ص ١٣٩ / ح ٧ ـ : يعني به علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي تفسير علي بن ابراهيم ـ ج ٢ / ص ٥١ ـ هو أمير

المؤمنين عليه السلام . وقال تعالىٰ : ﴿ **وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ ففي معاني الأخبار - ص ٣٢ / ح ٣ - هو أمير المؤمنين عليه السلام في ام الكتاب في قوله تعالىٰ : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ . وفي كتاب تأويل الآيات الظاهرة - ص ٥٣٧ - : علي بن أبي طالب عليه السلام . هذا في الكتاب واما في الروايات فقد ورد ما فيه الكفاية من انه عليه السلام وليد الكعبة ، وقد نزل اسمه من الله تعالىٰ على امه ، وكذلك على ابيه بأن يسمّياه عليّاً .

٧ - فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين والأئمة الأحد عشر عليهم السلام من ذرّيتها حيث قال تعالىٰ : ﴿ **واذ ابتلىٰ ابراهيم ربه بكلمات فاتمّهنّ** ﴾ البقرة / ١٢٤ . ففي كمال الدين - ج ١ / ٢٠٤ و ٢٠٥ - عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال : سألته ما هذه الكلمات ؟ قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، وهو انه قال : اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الاّ تبت عليَّ ، فتاب الله عليه . قلت له : يا ابن رسول الله فما يعني عزّوجلّ بقوله : ﴿ **فأتمّهنّ** ﴾ ؟ قال : يعني فاتمهن الى القائم عليه السلام اثنا عشر اماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها** ﴾ ففي تفسير العياشي - ج ٢ / ص ٤٢ / ح ١١٩ - : « نحن والله الاسماء الحسنىٰ الذي لا يقبل الله عملاً الا بمعرفتنا » . وقال تعالىٰ : ﴿ **سلام على آل ياسين** ﴾ ففي تفسير البيضاوي - ج ٢ / ص ٢٩٩ - : « وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان » وفي عيون أخبار الرضا - ج ١ ص ١٨٥ / ح ١ - : يعني : آل محمّد صلى الله عليه وآله وفي كتاب معاني الأخبار - ص ١٢٢ / ح ٢ - : عن الصادق عليه السلام : « ياسين : محمد صلى الله عليه وآله ونحن آل ياسين » . هذا ما جاء عن اسمائهم عليهم السلام في الكتاب ، وفي الروايات ما قد تواتر في التصريح باسمائهم من قبل ولادتهم عليهم السلام مما يظهر منه ان الله تعالىٰ هو الذي تولّىٰ تسميتهم ، وشرّفهم بهذه المنقبة الكبرىٰ على الناس اجمعين .

[الشيعة وتسميتهم في القرآن]

٨ ـ الشيعة هم أيضاً ممن اختار الله تعالىٰ لهم هذا الاسم ، وسماهم به رسول الله ﷺ عندما نزلت الآية : ﴿ **اولئك هم خير البريّة** ﴾ حيث التفت الى علي عليه السلام وقال له : « هم والله انت وشيعتك يا علي » ـ امالي الطوسي ج ٢ / ص ١٩ و ٢٠ ـ وروضة الواعظين ج ١ / ص ١٠٥ ـ، والشيعة هم من شايع علياً عليه السلام والأئمة من بنيه ، وبعبارة اخرىٰ : هم أتباع المذهب الحق مذهب أهل البيت عليهم السلام فان الله تبارك وتعالى سمّاهم بهذا الاسم ومنحهم اياه وكفىٰ به فضلاً ، وذلك حيث قال سبحانه : ﴿ **وان من شيعته لابراهيم** ﴾ الصافات / ٨٣ ، ففي تفسير مجمع البيان ـ ج ٧ ـ ٨ / ص ٤٤٨ ـ روى ابو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليهنّئكم الاسم ، قلت : وما هو ؟ قال : الشيعة ، قلت : ان الناس يعيّروننا بذلك ، قال : اما تسمع قوله سبحانه : ﴿ **وان من شيعته لابراهيم** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه** ﴾ . وفي كتاب تأويل الآيات الظاهرة ـ ص ٤٨٥ ـ عن الصادق عليه السلام : اي : ان ابراهيم عليه السلام من شيعة علي .. ويؤيده ما روي عنه عليه السلام من : « ان الله سبحانه لما خلق ابراهيم عليه السلام كشف عن بصره فنظر فرأىٰ نوراً الى جنب العرش فقال : الهي ما هذا النور ؟ فقيل له : هذا نور محمد ﷺ صفوتي من خلقي ، ورأىٰ نوراً الى جنبه ، فقال : الهي وما هذا النور ؟ فقيل له : هذا نور علي بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني ، ورأىٰ الى جنبيهم ثلاثة أنوار ، فقال : الهي وما هذه الأنوار ؟ فقيل له : هذا نور فاطمة فطمت محبّيها من النار ، ونور ولديها الحسن والحسين عليهما السلام فقال : الهي وأرىٰ تسعة انوار قد أحدقوا بهم ؟ قيل: يا ابراهيم هؤلاء الائمة من ولد علي وفاطمة فقال ابراهيم : الهي بحق هؤلاء الخمسة الا عرفتني مَن التسعة ؟ قيل : يا ابراهيم اولهم : علي بن الحسين ، وابنه محمد ، وابنه جعفر ، وابنه موسىٰ ، وابنه علي ، وابنه محمد ، وابنه علي ، وابنه الحسن ، والحجّة القائم ابنه ، فقال ابراهيم : الهي وسيدي ارىٰ انواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم الا انت ؟ قيل : يا ابراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين علي

بن ابي طالب عليه السلام فقال ابراهيم : وبما تعرف شيعته ؟ قال : بصلاة احدىٰ وخمسين ، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والقنوت قبل الركوع ، والتختّم في اليمين ، فعند ذلك قال ابراهيم : اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، فاخبر الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ وان من شيعته لابراهيم ﴾ ـ تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٨٥ ـ.

[جبرئيل عليه السلام نزل باسم زينب]

٩ ـ زينب عليها السلام فانها ممن امتازت بهذه المنقبة العظمىٰ والفضيلة الكبرىٰ ، اعني : تولّي الله تعالىٰ تسميتها ، ففي الخبر : ان فاطمة الزهراء عليها السلام لما وضعت ابنتها الكبرىٰ ، ومضىٰ على ذلك أيام التفتت الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وقالت : يا أمير المؤمنين ألا تختار لابنتك هذه اسماً ؟ فقال عليه السلام : يا بنت الصفوة ان ذلك الى رسول الله ﷺ واني لا اسبقه بها ، فجائت فاطمة الزهراء عليها السلام بطفلتها الى أبيها رسول الله ﷺ وقدمتها له وحكت له قصة تسميتها ، فاخذها رسول الله ﷺ وضمها الى صدره وقبلها فيما بين عينيها ودموعه تتقاطر ، واذا بجبرئيل ينزل من عند الجليل ويقرئ رسول الله ﷺ السلام ويقول [illegible] السلام يخصك بالسلام ويقول لك : سمها باسم زينب ، فسماها رسول الله ﷺ باسم : زينب .

وفي خبر آخر : ان فاطمة الزهراء عليها السلام لما كانت حاملة بابنتها الكبرىٰ لم يكن رسول الله ﷺ حاضراً في المدينة ، وانما كان في سفر ، فلما وضعتها سألت أمير المؤمنين عليه السلام ان يختار لوليدتها اسماً ، مخافة ان يُبطئ رسول الله ﷺ ويتأخر في القدوم من سفره ، فقال عليه السلام : اني لا اسبق اباك رسول الله ﷺ في ذلك ، واني آمل ان يرجع من سفره قريباً انشاء الله ويختار لها اسماً ، فما انقضت الا ثلاثة ايام حتى قدم رسول الله ﷺ من سفره ، واتىٰ دار ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام على عادته ـ فقد كان ﷺ من عادته انه اذا قدم من سفره كان أول من زاره هي ابنته فاطمة عليها السلام ـ فقال له امير المؤمنين عليه السلام : يا رسول الله ان الله قد وهب لابنتك فاطمة بنتاً فاختر لها اسماً ،

فقال ﷺ : ان ذرية فاطمة وان كانوا ذريتي ، الا ان امرهم الى الله تعالىٰ ، واني انتظر وحي ربي في تسميتها ، واذا بجبرئيل ينزل من السماء على رسول الله ﷺ ويقول له : السلام يخصك بالسلام ويقول لك : سمّ هذا المولود باسم : زينب ، فقد كتبناه لها في اللوح المحفوظ ، فضمّها رسول الله ﷺ الى صدره وقبل ما بين عينيها وسماها باسم : زينب ، ثم قال : ليبلغ الحاضر من امتي الغائب منهم بكرامة ابنتي هذه : زينب ، فانها شبيهة جدتها خديجة الكبرىٰ ، وفي رواية : انها شبيهة خالتها ام كلثوم .

« اشارة »

وهنا امور لابدّ من الإشارة اليها وهي كالتالي :

[التسمية من الله]

١ ـ لا تنافي بين الأخبار المذكورة في تسمية السيدة زينب سلام الله بزينب ، مع انه كان في بعضها : ان رسول الله ﷺ هو الذي سماها به ، وفي البعض الآخر : ان جبرئيل عليه السلام اتىٰ به من عند الله تبارك وتعالىٰ ، وذلك لان رسول الله ﷺ حيث كان هو المباشر في وضع الاسم عليها ـ وان كان الاسم قد اتىٰ به جبرئيل من السماء ـ صح ان ننسب تسميتها عليها السلام اليه ﷺ .

[من علائم الشخصيّة]

٢ ـ انّ من قد اختار الله تبارك وتعالىٰ له اسماً ، واثبت اسمه في اللوح المحفوظ ـ كما في الخبر الأخير وذلك قبل ان يُخلق وقبل ان يولد ـ ليدل دلالة واضحة على ان هذا الانسان عظيم عند الله ، عزيز عليه ، متميّز الشخصية ، كريم النفسية وكبيرها .

[زينة اللوح المحفوظ]

٣ ـ كما ان الله عزّوجلّ ـ وذلك حسب روايات متواترة ـ قد زيّن عرشه باسم الخمسة الطيّبة ، خمسة اصحاب الكساء الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً : محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام ، كذلك قد زيّن الله تبارك وتعالىٰ اللوح المحفوظ باسم : زينب عليها السلام .

[التوصية واسرارها]

٤ ـ تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على تكريم السيدة زينب عليها السلام والوصية في حقها بذلك ، ان دلّ على شيء ، فانه يدل على علوّ مقام زينب صلى الله عليه وآله ورفيع منزلتها عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله واهل بيته ، وذلك لان الرسول صلى الله عليه وآله لا يأمر بشيء ، ولا ينهىٰ عن شيء الا بامر من الله عزّوجلّ كما يقول تعالىٰ : ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ ان هو الاّ وحيٌ يوحىٰ** ﴾ .

نعم لقد شابهت وصيته صلى الله عليه وآله في حقها وصيته صلى الله عليه وآله في حق ابيها امير المؤمنين عليه السلام وامها فاطمة الزهراء عليها السلام واخويها الامامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام من ذي قبل ، ولكن الناس ـ ومع الأسف الشديد ـ لم يراعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم ، ولم يصغوا لما قاله في حقهم ، بل انقلبوا بعده على اهل بيته وذريته الطاهرين الذين جعل الله تعالىٰ مودّتهم أجر رسالة نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال تعالىٰ مخاطباً نبيه : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربىٰ** ﴾ واقترفوا في حقّهم كل ما لا يجوز اقترافه في حق انسان عادي ، فكيف بهم وهم ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله في امته ؟ كما واجتهدوا في اذاهم بما ليس فوقه اذىٰ ، حتى انه لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أوصىٰ امته باذاهم لما استطاعوا ان يرتكبوا في حقهم اكثر مما ارتكبوه بالنسبة اليهم ، وقد اشار الامام السجاد زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام الى ذلك ايضاً ، فانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم ، وسيعلم الذين

ظلموا ايّ منقلب ينقلبون .

[بين البنت وأمها]

٥ ـ تشبيه رسول الله ﷺ حبيبة حبيبته زينب عليها السلام بامها خديجة عليها السلام ـ كما في الخبر الأخير ـ اشارة منه ﷺ الى فضل زينب عليها السلام ومنقبتها عليها السلام ، والدور الذي سيكون لها مع اخيها الامام الحسين عليه السلام في نصرة الاسلام واعلاء كلمة التوحيد ، كما كان لامها خديجة عليها السلام مع رسول الله ﷺ من قبل حتى اشتهر : انه لولا مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام لم يقم للاسلام عمود ، وغير ذلك من الفضائل الجمة لها عليها السلام ، فان فضائل خديجة الكبرىٰ عليها السلام غير خاف على أحد ، ومن فضائلها ما اتفق على روايته الخاصة والعامة عن رسول الله ﷺ من انه قال : « ان الله اختار من النساء اربعة : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » .

وقد كتب عنها كثير من مؤرّخي العامة قائلين : « وكانت سيدتنا خديجة من أجمل نساء قريش واعقلها ، وكانت تسمّىٰ بمليكة العرب ، وتعرف بسيّدة البطحاء » .

فزينب عليها السلام شابهت امها خديجة عليها السلام في الصورة والسيرة ، والمواقف والمآثر .

فخديجة عليها السلام واست بنفسها ومالها رسول الله ﷺ ، وزينب عليها السلام واست اخيها الامام الحسين عليه السلام بنفسها واولادها .

وخديجة عليها السلام كانت المشاطرة لرسول الله ﷺ فيما يلقاه في طريق رسالته ، وزينب عليها السلام كانت المشاطرة لأخيها الامام الحسين عليه السلام فيما تلقاه في طريق شهادته لنصرة دين الله .

وخديجة عليها السلام قدمت كل اموالها لنصرة دين الله ، وزينب عليها السلام قدمت كل ما تملك حتى قناعها وقرطها ، وفلذتي كبدها ولديها عليهما السلام في سبيل الله .

وخديجة كانت قد وقفت نفسها لخدمة رسول الله ﷺ ، وزينب عليها السلام كانت

قد وقفت نفسها لخدمة اخيها الامام الحسين عليه السلام .

وخديجة عليها السلام شاركت رسول الله صلى الله عليه وآله شدائده ومصائبه ، وزينب عليها السلام شاركت أخاها الحسين عليه السلام نوائبه ومتاعبه .

وخديجة لما سمعت تعرّض المشركين لرسول الله صلى الله عليه وآله ورميهم له بالحجارة وادمائه ، خرجت مع امير المؤمنين عليه السلام في طلبه الى غار حراء تحمل اليه الخبز والماء لاسعافه ، وزينب عليها السلام لما علمت بمصرع اخيها الامام الحسين عليه السلام وما ناله من الجراحات ونزيف الدم ، خرجت تطلبه في مصرعه وحدها ، فقد قتل بنو امية كل رجالها ، وتوجّهت الى مقتله لاسعافه ، ولكن حيث لم يكن لها يومذاك خبز ولا ماء ، فقد منعهما عنهم بنو اميّه وآل ابي سفيان ، صعدت على التل الذي عُرف فيما بعد : بتلّ الزينبية ، وشبّكت عشرها على رأسها واخذت تنادي برفيع صوتها : واغربتاه ، ثم التفتت الى ابن سعد وصرخت به مزمجرة : يا ابن سعد ! أيُقتل ابو عبدالله وانت تنظر اليه ؟ ولما لم تر منه انفعالاً ، ولم تسمع منه جواباً ، توجهت نحو المدينة تشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تقول منادية : « يا جدّاه يا رسول الله ، هذا حسينك بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مقطّع الاعضاء ، مسلوب العمامة والرداء » فقد كان من عادة العرب اذا انقطع املهم من كل شيء ان يتوجهوا الى كبير قومهم ويستغيثوا به .

« اشارة »

[الامام الحسين عليه السلام يبشّر اباه]

ان من طبيعة كل اب ـ حسب المتعارف ـ انه اذا بشّروه بولادة مولود له ، ان يبتهج بذلك ويمتلئ فرحاً وسروراً ، وغبطة ونشاطاً ، ولكن الامام أمير المؤمنين عليه السلام كان كلما بشر بمولود له حمله علمه ـ الذي اخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالىٰ ـ بما يجري على هذا المولود من بعده على ان يأسف له ويتأثر عليه ، وأيّ أبٍ اكثر محبة لا ولاده واعطف واحنىٰ عليهم من أمير المؤمنين عليه السلام معلّم العطف

والحنان والمحبة مع الابناء ؟

وقد جاء في بعض الكتب مأثوراً : انه لما وُلدت السيدة زينب عليها السلام وكان قد آن توجّه أمير المؤمنين عليه السلام نحو البيت ، استقبله ولده الامام الحسين عليه السلام وقال يبشّر اباه بالمولود الجديد : ابه يا ابه ! ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي اختاً ، ثم نظر في وجه ابيه امير المؤمنين عليه السلام ليرىٰ اثر البشارة عليه ، فاذا به يرىٰ عيني ابيه قد اغرورقت بالدموع ثم اخذت حبّات الدمع تتقاطر على خدّيه تقاطر الندىٰ على صفحات الورد ، تأثر الامام الحسين عليه السلام بتأثر ابيه وجرت دموعه على خديه وقال متنصلاً : فديتك نفسي يا ابه ، لقد جئتكم بالبشارة فرددتم بشارتي بالبكاء ؟ فما سبب بكائكم وعلىٰ من تبكون يا ابه ، لا ابكىٰ الله عينيكم ؟

كفكف امير المؤمنين عليه السلام دموعه بيديه الكريمتين ثم اخذ ولده الامام الحسين عليه السلام وضمه الى صدره واخذ يمسح الدمع عن عينيه وخديه ويقول له : نور عيني يا حسين سأكشف لك بعد قليل سرّ هذا البكاء واعلمك بآثاره ، ثم أخذ عليه السلام يقص عليه ما سيكون من قصّة كربلاء ووقعة الطفوف في يوم عاشوراء : من قتل الرجال وسبي النساء وفيهم هذه السيدة الوليدة زينب عليها السلام .

[سلمان يبشّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]

ولقد جاء في الخبر : ان سلمان الفارسي لما اطلع على ولادة هذه السيدة : عقيلة بني هاشم اقبل الىٰ المسجد واتجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيّاه بالسلام ، ثم بشّره بولادة العقيلة وهنّأه بها ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من سلمان بكىٰ وقال له : يا سلمان ! ان جبرئيل اخبرني عن الجليل بما يجري على هذه السيدة من بعدي من المصائب الجمّة ، التي لا تعد ولا تحصىٰ ، حتى توافي كربلاء وتلاقي هناك من البلايا ما تلاقيه . ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان جانباً من أخبار كربلاء ويوم عاشوراء، وسبي هذه السيدة وأسرها .

[التوفيق بين الخبرين]

ومن المعلوم : انه لا منافاة بين هذا الخبر ، وبين ما مضىٰ من الخبر القائل : بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن حين ولادة هذه السيدة في المدينة المنورة ، وانه لما قدم صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ابتدء بزيارة ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام في بيتها واطلع على ولادة هذه السيدة ، وانما لا منافاة بينهما لاحتمال ان سلمان الفارسي لم يكن مسبوقاً باطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الولادة الجديدة ، كما يحتمل ان قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان بن جبرئيل اخبره عن الجليل بما يجري من المصائب الجمة على هذه السيدة من بعده وما ستلاقيه في كربلاء من السبي والأسر ، انما هو نفس ما اخبر به ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام عندما دخل عليها قادماً من سفره فبشرته بولادتها ، والله العالم بحقيقة الحال .

[كنية السيّدة زينب عليها السلام]

الكنية في اللغة العربية تصطلح على الاسم الذي يصدّر بالاب : ابو طالب ، أو الام : ام سلمة ، واضاف بعضهم المصدّر بالابن والابنة ايضاً مثل : ابن الرضا ، وابنة علي عليه السلام ، واشترط البعض في الكنية ان يكون مشعراً بالمدح والذم ، وجعلوا حكمة الكنية التعظيم أو التحقير ، فبعض لا يذكرونه باسمه بل بالكنية مدحاً وتعظيماً ، وبعض بالعكس .

وكيف كان : فقد اختلف في كنية عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام ، فبعض قال : ان كنيتها : ام الحسن ، وبعض قال : ان كنيتها : ام كلثوم ، كما يظهر من نسبة بعض الخُطَب الى ام كلثوم ، انها عليها السلام هي المعنيّه بها .

وعليه : فان القول الثاني هو الأقوىٰ ، ويؤيده : الخبر الذي سبق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث شبّهها فيه بخالتها ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه يحتمل انّ رسول الله لما رآها تشبه خالتها ام كلثوم كناها بكنيتها ، وذلك على ما هو المتعارف

لدىٰ العرف من جعل الاسم والكنية على احد بسبب الشبه الموجود بينه وبين صاحب الاسم والكنية .

[اتحاد الاسم والكنية]

وهذا لا يتنافىٰ ايضاً مع تسمية اختها باسم ام كلثوم ، اذ كثيراً ما يُجعل الاسم الواحد ، أو الكنية الواحدة ، أو اللقب الواحد ، لعدة من الاخوة والأخوات لحكمةٍ مّا ، كما يذكر عن الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام : بانه لشدة علاقته بأبيه وحبّه واخلاصه له كان قد سمّى كلّ اولاده الذكور باسم ابيه علي عليه السلام ، غير انه لأجل رفع الاشتباه فيما بينهم قيّدها : بالأكبر ، والاوسط ، والأصغر ، حتى ان البعض لما انتقد الامام الحسين عليه السلام على ذلك ، اجابه عليه السلام : بان الله تعالى لو وهب له مائة ولد ذكر ، لسمّاهم جميعاً باسم ابيه على عليه السلام وذلك لفرط حبه له وشدّ علاقته به .

[كنيتها عليها السلام يشعر بالمدح والتعظيم]

وعلى كل حال : فان كان كنيتها عليها السلام ام كلثوم ، فهو لا يخلو من المدح والتعظيم ، لان « كلثوم » بضم الكاف ، وسكون اللام ، وضم الثاء المثلثة ، والواو والميم الساكنتين . يقال ـ من حيث اللغة ـ لمن له وجه باسم منبسط ، وفير اللحم وكثيره ، فيشبه معناه معنىٰ زينب المأخوذ لغة من : « زنب » على ما سبق ، ولا يخفىٰ لطف هذا التشابه بين الاسم والكنية .

نعم ، ان عقيلة بني هاشم ، وكريمة آل أبي طالب : زينب الكبرىٰ عليها السلام كانت تكنّىٰ بام كلثوم حتى ما قبل واقعة كربلاء المفجعة ، ولكن بعد واقعة كربلاء الدامية ، تبدل كنيتها لكثرة ما أصابها من المصائب والمحن ، وما تجرعته من الهموم والغموم ، من ام كلثوم الى : ام المصائب ، فصارت تكنّىٰ بعد ذلك بـ : « ام المصائب » سلام الله عليها .

« اشارة اخرىٰ »

[صدىٰ الإسم]

ان للسيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام ـ كما عرفت ـ امتيازات اختصت ببعضها ، كما واشتركت في بعض منها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام ، ومن تلك التي اشتركت فيها مع اخيها ما يلي :

١ ـ ان صدىٰ اسمها الكريم كصدى اسم اخيها الإمام الحسين عليه السلام له تاثير كبير في انكسار القلب وتأثّر النفس ، فليس هناك من يسمع اسمها وهو يعرف شيئاً عنها الا وانكسر قلبه وتأثّر في نفسه عليها .

[ملامح الوجه المبارك]

٢ ـ ان ملامح وجهها المبارك كملامح وجه اخيها الإمام الحسين عليه السلام لها تأثير كبير فيى تهييج الحزن وتسييل الدموع ، كما ويذكر ذلك عن جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وعن امها الزهراء عليها السلام بانه كلما وقع نظرهم عليها ، او احتضنوها ، او قبلوها اغرورقت اعينهم بالدموع ، وتقاطرت على خدودهم ، حتى كأنهم عليهم السلام كانوا يرون برؤيتها ما يسجري من المصائب عليها ، او كانوا يرون منها مواضع ضرب السياط ، وغمد السيوف ، وكعب الرماح ، فيتذكرون اسرها وسبيها من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام .

[ذكريات حزينة]

٣ ـ ان تذكر ما جرىٰ عليها من المصائب الجمّة كتذكر ما جرىٰ على اخيها الإمام الحسين عليه السلام يبكي العين ويجرح القلب ، وينشر الحزن في ضمير الإنسان ونفسه مهما كان الانسان قاسياً وجافياً ، وحتى اذا لم يكن شيعياً ومسلماً ، اذ أليس يحفظ المرء في ولده ، وهؤلاء هم اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته ؟ فكيف وثبت

عليهم امته من بعده يجزّرون رجالهم جزر الاضاحي ، ويسبون نسائهم سبي الترك والديلم ، لا يرحمون لهم صغيراً ولا كبيراً ، يمنعون عنهم الماء والطعام حتى امات اطفالهم العطش ، وصيّر كبارهم في جلد منكمش ؟

[ايحاءات المرقد الشريف]

٤ ـ ان مشاهدة مرقدها وضريحها كمشاهدة مرقد اخيها الامام الحسين عليه السلام وضريحه ، يهيج في الانسان خواطر عاشوراء ، ويجسّد عنده ذكريات السبي والأسر، وكفالتها ايتام اخيها الإمام الحسين عليه السلام وحُرم جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك في طول الطريق وعلى بعد المسافة ، حيث النياق بلا وطاء ولا غطاء ، يزجرها شمر وزجر بالسياط وكعب الرماح ، كما ويذكّر بابتعادها عن وطن جدها ، ووحدتها في بلاد الأعداء ، وغربتها في دمشق الشام حيث تقضي نحبها هناك في محلة الخراب غريبة وحيدة .

[من علامات كرامتها عليها السلام]

٥ ـ ان العزم على الله بها ، والسؤال من الله بحقها ، كالعزم على الله باخيها الإمام الحسين عليه السلام والسؤال منه بحقه يفعل المعجزات ، حيث ان له اثراً كبيراً في انجاز المهمات ، ومفعولاً غريباً في قضاء الحوائج ، وقد اشتهر عن الميرزا القمي رحمه الله صاحب القوانين انه هو الذي ألفت الانظار الى هذه الكرامة للسيدة زينب عليها السلام ، وقد ثبت ذلك عبر التجارب وليس هو عنها ببعيد وذلك لما يلي :

١ ـ انه مضافاً الى ما مضىٰ من عظم الشخصية وعلو المقام وسمو الدرجات التي حظيت بها سيدتنا زينب الكبرىٰ عليها السلام عند الله تبارك وتعالىٰ فان الله شاكر عليم يشكر على القليل ، وانجاح المطالب بسبب العزم على الله تعالى بها هو ادنىٰ ما قد تفضّل الله تعالى به عليها ازاء ما أسدته من خدمات خالصة لله تعالى تجاه دينه

واحياء شريعته ، فانه مضافاً الى ذلك كله ، قد جعل الله تبارك وتعالى كما في الروايات المتواترة استجابة الدعاء تحت قبة الإمام الحسين عليه السلام والمصداق الحقيقي والمعنوي لقبّة الإمام الحسين عليه السلام هي سيدتنا زينب الكبرىٰ عليها السلام ، اذ كما ان قبته تحيط بضريحه وتظلّل عليه ، فكذلك هي عليها السلام قد احاطت بأهل بيته وظلّلت عليهم ، وكما ان القبة تقي من الاذىٰ والهلاك ، فكذلك هي عليها السلام وقت نهضته الاصلاحية من الذبول والضياع ، ولذلك صار لاسمها المبارك ذلك التأثير الكبير ، اصبح للعزم على الله تعالى بها هذا الانجاح العظيم .

٢ ـ سبق ان قلنا : ان اسم زينب عليها السلام مؤلف من حروف يرمز الى اسماء الخمسة الطاهرة من اصحاب الكساء ، واسماء اولئك الأطهار كان من خصوصياته : استجابة الدعاء بسبب العزم على الله بها ، فورثت زينب عليها السلام تلك الخصوصيات في الاسم من اسمائهم عليهم السلام ولا غرو فان طينتها من طينتهم .

٣ ـ ان اسم زينب عليها السلام كما مرّ من الأسماء المباركة التي قد اثبتها الله تعالى في اللوح المحفوظ ، فاكتسب من العالم الاعلىٰ آثاراً طيبة من جملتها : استجابة الدعاء اذا سئل الله تعالى بها ، ولا عجب فان اسمها من الأسماء الحسنى التي امر الله تعالى ان يدعوه بها حيث قال تعالىٰ : ﴿ **ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها** ﴾ .

وهناك وجوه اخرىٰ يبدو للنظر نعرض عنها مخافة التطويل .

[القاب السيدة زينب عليها السلام]

اللقب : هو ما يسمّىٰ به الانسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح أو الذم ، ولما كانت هذه السيدة المباركة جامعة لكل الفضائل والكمالات وحاوية على الخلال الحميدة والصفات الخيّرة ، كان البيان عاجزاً والقلم قاصراً عن ذكر قليل من كثير ما اتصفت به سلام الله عليها من الفضائل والمناقب ، فالمدح في حقها عليها السلام يكون كما قال الشاعر :

الا ان ثوباً خيط من نسج تسعةٍ وعشرين حرفاً عن معاليه قاصر

لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولذلك نذكر بعض الألقاب التي اشتهرت عليها بها ، ونترك البعض الآخر لنذكره ضمن الخصائص الآتية انشاء الله تعالىٰ ، واما الذي نذكره هنا من القابها عليها فهو كالتالي :

الصديقة الصغرىٰ .

العقيلة الكبرىٰ .

وليّة الله العظمىٰ .

الراضية بالقدر والقضاء .

امينة الله .

محبوبة المصطفىٰ .

قرّة عين المرتضىٰ .

نائبة الزهراء عليها .

شقيقة الحسن المجتبىٰ .

شريكة الحسين سيد الشهداء .

العالمة غير المعلّمة .

الفهمة غير المفهّمة .

الزاهدة .

الفاضلة .

العاقلة .

الكاملة .

العاملة .

العابدة .

المحدّثة .

المخبرة .

الموثّقة .

المظلومة .

الوحيدة .

الفصيحة .

البليغة .

الشجاعة .

كعبة الرزايا .

عقيلة حيدر .

عقيلة قريش .

عقيلة بني هاشم .

عقيلة خدر الرسالة .

رضيعة ثدي الولاية .

الخصيصة الثالثة
« في كونها عليها السلام صدّيقة »

الصدّيقة مؤنث الصدّيق ، والصدّيق : مبالغة في الصدق ، وهو الذي يتّصف في كل حركاته وسكناته واقواله وافعاله بالصدق ، والذي يصدّق عمله قوله ، والمصدّق بما جاءت به الرسل من عند الله ، علماً بان الصدّيق على اقسام ثلاثة : صدّيق يكون نبياً ، وصدّيق يكون اماماً ، وصدّيق يكون عبداً صالحاً ، اوامة صالحة .

وزينب عليها السلام كما مرّ في ألقابها صدّيقة ومن جملة الصدّيقين والصدّيقات ، والصدّيق منصب الهي لا يناله الا ذو حظ عظيم ، ولا يحصل عليه الا الاوحدي من الناس الذين لهم عندالله جاه عظيم وشأن كبير ، فقد وصف الله تعالىٰ بعض عباده المكرمين بالصدّيق ، فمن الرجال وصف مثل نبيه ادريس جدّ ابي نوح اول من خطّ بالقلم وخاط الثياب فقد قال تعالى عنه : ﴿ **واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقاً نبيّاً** ﴾ مريم / ٥٦ .

ومثل خليله ونبيه ابراهيم عليه السلام حيث قال تعالى عنه : ﴿ **واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقاً نبيّاً** ﴾ مريم / ٤١ .

ومثل نبيه يوسف عليه السلام حيث قال تعالىٰ في قصته عن لسان ساقي العزيز وهو يستفتيه في رؤيا الملك : ﴿ **يوسف ايها الصدّيق أفتنا ...** ﴾ يوسف / ٤٦ .

ومثل وليه واخي حبيبه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله سيد الصدّيقين الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والأئمة الاحد عشر من ولده عليهم السلام وشيعتهم ، حيث جاء في روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يطع الله**

ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مـن النـبيّين والصـدّيقين ... ﴾ النسـاء / ٦٩ انه صلى الله عليه وآله قال : « اما النبيّون : فأنا ، واما الصدّيقون : فأخي علي ... » ـ تـفسير كـنز الدقائق ج ٢ / ص ٥٢٤ ـ وقال صلى الله عليه وآله : « لكل امة صدّيق وفاروق ، وصدّيق هذه الامة وفاروقها علي بن ابي طالب عليه السلام ـ كنز الدقائق ج ٢ / ص ٥٢٤ عن عيون الأخبار ـ وقال حفيده الامام الصادق عليه السلام في نفس هذه الآية : « فرسول الله صلى الله عليه وآله في الآية : النبيّون ، ونحن في هذا الموضع : الصدّيقون والشهداء ... » ـ كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٢٣ ـ وقال سبطه الاصغر الامام الحسين عليه السلام : « ما من شيعتنا الا من صدّيق شهيد ، قال : قلت : جعلت فداك انّىٰ يكون ذلك وعامّتهم يموتون على فراشهم ؟ فقال : اما تتلو كتاب الله في الحديد : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ﴾ » ـ كنز الدقائق ج ١٠ / ٢٦٢ ـ.

هذا كان بالنسبة الى الرجال ، واما بالنسبة الى النساء فهناك من النسـاء مـن وصفها الله تعالىٰ بالصدّيقة ، مثل : مريم العذراء حيث قال تعالىٰ عنها وعن ابـنها المسـيح عليه السلام : ﴿ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خـلت مـن قـبله الرسـل ، وامـه صدّيقة ... ﴾ ـ المائدة / آية ٧٥ ـ.

هذه بالنسبة الى الامم السالفة ، واما بالنسبة الى هذه الأمة ففاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الصدّيقة الكبرىٰ ، وزينب عليها السلام التي اشبهت امها عليها السلام واقتدت بها في كل حركاتها وسكناتها بلغت هذه المرتبة ايضاً ، وحصلت على هذا المنصب الالهي العظيم ، فهي الصدّيقة الصغرىٰ ، وانما قيّدت بالصغرىٰ تعظيماً لمقام امها فاطمة عليها السلام .

وقد روي عن الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام انه قال : « ان فاطمة عليها السلام صـدّيقة شهيدة . وان بنات الأنبياء لا يطمئن » ـ الوافي ، الجزء الثاني ، المجلد الثالث ، باب ما جاء في فاطمة عليها السلام ص ٧٤٥ ـ.

الخصيصة الرابعة

« في عصمتها عليها السلام الصغرىٰ »

لا يخفىٰ : ان العصمة وسام عظيم ، ودرجة راقية ، ومقام شامخ ، اختص به خواص عبادالله من الأنبياء والأوصياء ، علماً بان العصمة لغة : الحفظ والوقاية ، والمنع والاباء ، واصطلاحاً : قوة معنوية ، وملكة ربانية يهبها الله من يشاء من عباده يحفظه بها من الخطأ والزلل ، والسهو والنسيان ، وذلك على وجه لا يسلب منه الاختيار الذي هو من لوازم التكليف .

ولا يخفىٰ : حكمة منح العصمة ـ هذه الموهبة الالهية ـ للأنبياء وأوصياء الأنبياء ، فان الله تعالىٰ لما خوّل انبيائه واوصيائهم حقه ، وفوّض اليهم ولايته ، وجعلهم بالمؤمنين اولىٰ من انفسهم ، وامر الناس باطاعتهم والانقياد لهم ، كان من اللازم تزويدهم بالعصمة ، وحفظهم بها من الخطأ والزلل ، والسهو والنسيان ، والا لاختل النظام ، وفسد الانام ، كيف لا ، والناس على دين ملوكهم وكبرائهم ؟

ولذلك لما جعل الله تعالىٰ خليله ابراهيم بعد النبوة والخلّة اماماً للناس ، وسأل ابراهيم من الله تعالىٰ ان يجعل الامامة مستمرة في ذريته قال له تعالىٰ : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ فان النبوّة والامامة عهد الله ولا يناله غير معصوم .

اضف الى ذلك معنىٰ اداء النبي الرسالة ، وحفظ الامام ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أحكام وشرايع ، فاذا لم يكن النبي أو الامام حائزاً على العصمة ، لاحتمل الاشتباه والنسيان ، والزيادة والنقصان فيما بلّغه النبي عن الله تعالىٰ ، والامام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك تنعدم الثقة والاطمئنان ، وتبطل الشرائع والأديان ، وحاش لله

تعالىٰ ان يُخلّ بدينه ويُبطل آياته وحججه .

ثم لا يخفىٰ : ان العصمة على مراتب ودرجات ، وقد جعل الله تبارك وتعالىٰ اعلى درجات العصمة واسمى مراتبها خاصاً برسوله الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيّبين الطاهرين حيث قال تعالىٰ : ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ .

ولما كانت السيدة زينب عليها السلام عقيلة خدر الرسالة من سلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته ، وقد هذّبت نفسها وروّضتها على العبادة والتقوىٰ ، والخير والاحسان ، تأهلت لان تنال حظاً من العصمة المعبّر عنه بـ : العصمة الصغرىٰ ، وقد اشار الى ذلك الامام زين العابدين عليه السلام في بعض كلامه لها ، كما واشارت هي عليها السلام الى ذلك في بعض خطبها .

ثم انه من المعلوم : ان الملائكة معصومون أيضاً ، لكن عصمتهم ليست كعصمة الأنبياء وأوصيائهم ، وذلك لان الملائكة خلقهم الله تعالى بلا شهوة ولا غضب ، بينما الأنبياء وأوصياؤهم ليسوا كذلك ، فقد خلق الله تعالىٰ فيهم ذلك ، اذ هم بشر والبشر مخلوق يحمل العقل والفكر ، والشهوة والغضب ، ومن هنا يتضح شرافة الأنبياء والأوصياء على الملائكة كما يتضح ان سيدتنا زينب عليها السلام هي الاخرىٰ التي تفوق الملائكة شرفاً وفضلاً .

الخصيصة الخامسة

« في أنها عليها السلام من أولياء الله تعالىٰ »

مرّ في فصل ألقاب السيدة زينب عليها السلام بأن من ألقابها : « ولية الله العظمىٰ » ولا غرو فقد استحقت هذا اللقب من جهات تالية :

١ ـ انها عليها السلام حصلت علىٰ هذا اللقب للمقام الشامخ الذي وصلت اليه بسبب العبادة الكثيرة والانقياد التام لله تعالى .

٢ ـ انها عليها السلام حازت هذا اللقب لتحمّلها الكبير ـ وبواسع الصدر ـ لما أصابها من مصائب كثيرة في سبيل احياء تعاليم جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابقاء الدين الحنيف .

٣ ـ انها عليها السلام استأهلت هذا اللقب لحبّها الشديد ومودتها الصادقة لجدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابيها امير المؤمنين عليه السلام وامها فاطمة الزهراء عليها السلام واخويها سبطي رسول الله الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام ، يعني : حبها للخمسة الطيبة اصحاب الكساء الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وكذلك حبهم عليهم السلام لها ، وقد ثبت ان كل من يحبهم عليهم السلام ويحبونه فهو مشمول للالطاف الالهية والمواهب الربانيّة .

٤ ـ انها عليها السلام استحقت هذا اللقب لعلقتها الخاصة باخيها الشهيد ريحانة رسول الله الامام الحسين عليه السلام فانها بالاضافة الى حبها للخمسة الطيبة اصحاب الكساء عليهم السلام امتازت بحبها المتميّز لاخيها الامام الحسين عليه السلام وحب الامام الحسين عليه السلام يحبّب الانسان الى الله تبارك وتعالىٰ كما ورد في الخبر ، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « احبّ الله من احب حسيناً » ومعلوم : انه كلما كان حب الانسان للامام الحسين عليه السلام اكثر ازداد حب الله تعالىٰ له وارتفع بذلك المقدار مقاماً عند الله تعالىٰ ، وحيث ان السيدة

زينب عليها السلام حازت السبق في حبّها للامام الحسين عليه السلام فازت لذلك بالمقام الأكمل عند الله تبارك وتعالى .

٥ ـ انها عليها السلام فازت بهذا اللقب لأنها هي الاخرىٰ ـ كواحد من اسرتها الطيبين الطاهرين الذين باها الله تعالىٰ بهم ملائكته ـ من آيات الله تعالىٰ البيّنات وكلماته التامات ، وذلك هو من مقتضيات المحبّة والمودّة أيضاً .

ولقد اجاد القائل فيها حيث قال :

« بجلال احمد في مهابة حيدرٍ قد انجبت ام الأئمة زينبا »

الخصيصة السادسة

« في أنها عليها السلام من الراضين بقضاء الله تعالىٰ »

سبق في ألقاب السيدة زينب عليها السلام لقب : « الراضية بالقدر والقضاء » فهو من حيث المعنى الظاهري واضح . واما من حيث المصداق الحقيقي لهذا المعنى ، فقد كانت عليها السلام من أكمل مصاديقه ، وقد تجلّىٰ ذلك فيها عند وقوفها مع أخيها الامام الحسين عليه السلام في نهضة كربلاء المقدسة جنباً الى جنب ، تشاطره كل المصائب والرزايا ، وتقاسمه همومه واحزانه ، وذلك برحابة صدر ، وطلاقة وجه ، بل زادت الاخت على اخيها الامام الحسين عليه السلام بتحملها اعباء ما بعد الشهادة ، واستسلامها بعده للسبي والأسر مع قافلة من النساء والأطفال ليس لهم كبير سواها ، ولا من يلم شعثهم ، ويجمع شملهم غيرها ، وقد لاقت في طول هذه المدة ، وايام هذه الرحلة المضنية مصائب جليلة يذوب لها الصمّ الصياخيد ، وتتلاشى منه الجبال الراسيات ، لكنها عليها السلام تلقتها بفارغ من الصبر والثبات ، وتطاولت عليها بعزّة وشموخ ، فكانت امام كل تلك العواصف العاتية والأمواج المدمّرة كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، غير انها عليها السلام كانت في طول تلك الرحلة الشاقة وحيدة فريدة ، مظلومة محرومة ، مع انها كانت في منزلة كبيرة عند الله تعالىٰ بحيث لو سألت الله تعالىٰ ان يسهّل لها الصعب ، ويذلّل لها العقبات ، وان يهلك الظالمين ويقطع دابرهم قبل ان يصلوا اليها والى اسرتها الكريمة بسوء ، لاستجاب الله تعالىٰ لها دعاءها ، وكشف عنها ضرها ، وأقر عينها بابادة الظالمين والانتقام منهم ، ولكنها لم تقترح شيئاً من ذلك على الله تعالىٰ استسلاماً منها بقضاء الله ورضاها بقدره .

ولو تأمل الانسان مواقفها عليها السلام في كربلاء وبعد كربلاء ، لأعجبه صبرها وحلمها ، ولأكبرها في قلبه ونفسه ، ولاستعبر من وحدتها والعبئ الثقيل عليها ، ولبكىٰ على مظلوميتها وشدة المصائب المحدقة بها ، فهي حقاً المصداق الأكمل في الفوز بهذا اللقب الكريم : « الراضية بالقدر والقضاء » وحيث ان لنا كلاماً في مقام رضاها عليها السلام وذلك عند التعرض لخصالها الاخلاقية ، وصفاتها النفسية السامية ، نترك التفصيل الى هناك انشاء الله تعالىٰ .

الخصيصة السابعة

« في أنها عليها السلام امينة الله تعالىٰ »

مضىٰ في فصل ألقاب السيدة زينب عليها السلام بان من ألقابها : « امينة الله » وكانت حقاً كذلك ، فقد احتفظت عليها السلام بما اودعت من الودائع الالهية حتى نالت ـ وبجدارة ـ هذا اللقب العظيم ، فانها عليها السلام لو لم تكن امينة الله لم تصبح مخزناً لاسرار الله تعالى وموضعاً لغيبه ، وانها عليها السلام لو لم تكن امينة الله لم يستودعها اخوها الامام الحسين عليه السلام ودايع الله ، وذراري رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم سر الوجود ولأجلهم خلق الله تعالىٰ ما خلق .

وخلاصة القول : ان الله تعالىٰ لما كتب الشهادة على سبط حبيبه وابن خاتم رسله ابي عبدالله الحسين عليه السلام لم يكن هناك بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام من هو أهل لتحمل أسرار النبوة وودائع الامامة ، بل ولا من يصلح لحفظ دَوح الرسالة وشجر الولاية احد ، فخلق الله تعالىٰ ـ ابقاءاً على هذا الكون من الخسف والطمس ـ عقيلة بني هاشم ، وأهّلها لهذا المقام الشامخ ، ومنحها هذه الدرجة الرفيعة ، حتىٰ تكون هي المستودَع الأمين لاسرار الامامة وودائعها من اخيها الامام الحسين عليه السلام في ذلك الظرف العصيب ، والمؤدّي الوفي لتلك الودائع والاسرار في الظرف المناسب والمنفرج الىٰ ابن اخيها الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام .

وكيف كان : فلولا خوف الاتهام بالمبالغة ، والقذف بالغلو ، لتوسعت في شرح ما للسيدة زينب عليها السلام من المقام عند الله تعالىٰ ، ولبسطت الكلام في كمالاتها المعنوية والأخلاقية التي كانت تتمتع عليها السلام بها بما تتحير منه الألباب والعقول ، كيف لا وقد

شاركت عليها السلام ابن اخيها الامام السجّاد عليه السلام الوصية ، وشاطرته بعد اخيها الامام الحسين عليه السلام المصاب والبلاء ، وواسته بنفسها وروحها ما دامت هي على قيد الحياة ؟ وهذا المقام هو مما لا يتسنّىٰ الاّ للاوحدي من الناس ، والعبقري منهم ، وقد تسنّىٰ لها عليها السلام من بين كل الناس ، وسنشير الى ذلك بتفصيل في خصيصة نيابتها عليها السلام انشاء الله تعالىٰ .

« اشارة »

[التشابه الكبير بين البنت وأمّها]

قد شابهت زينب عليها السلام في هذه الخصيصة ، اعني : انفرادها بالتأهل لحمل الأسرار بعد أخيها الإمام الحسين عليه السلام ومشاركتها ابن اخيها الامام السجاد عليه السلام في الوصيّة ، امها فاطمة الزهراء عليها السلام في انفرادها بالتأهل لتكون كفواً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومُشاركتها له في الوصيّه ، فقد جاء في الخبر انه لولا فاطمة عليها السلام لم يكن لعلي أمير المؤمنين عليه السلام كفو ، كما انه لو لم يكن امير المؤمنين علي عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفو ، وقد أوصى اليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما اوصىٰ ، وأخبرها بانها اول من يلتحق به من أهل بيته ، مما كشف هذا الخبر عن بعض أسرار الوصية ، وهو : ان عليها ان تقف الى جنب علي أمير المؤمنين عليه السلام وتدافع عنه ، وانه لو استدعىٰ ذلك شهادتها والتضحية بنفسها من أجل احقاق حقه عليه السلام في الخلافة وسلب شرعية المتقدمين عليه ان تضحي بنفسها له ، وقد فعلت عليها السلام ما اوصىٰ اليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصرخت في وجه الغاصبين ودافعت عن حقّ بعلها أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يتحملوها وخافوا منها على مناصبهم ، فتخلصوا منها ولم يراعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها .

الخصيصة الثامنة

« في أنها عليها السلام عالمة غير معلّمة »

مرّ فيما سبق : ان من ألقاب السيدة زينب عليها السلام كونها « عالمة غير معلّمة » وهذا اللقب منحها الإمام زين العابدين عليه السلام ووصفها به ، وذلك حينما اراد تسليتها وتعزيتها ، وتكريمها وتزكيتها عليها السلام على مرأىٰ من الناس ومسمع ، ليعلمهم اولاً بالمقام الرفيع الذي وهبه الله تعالىٰ لها سلام الله عليها ، وليهوّن من وقع المصائب العظيمة عليها ثانياً ، فان الإمام زين العابدين عليه السلام لما رأىٰ عمته زينب عليها السلام وهي في أسرها تخطب على الجماهير المتجمعة من أهل الكوفة ، الذين قد خرجوا للتفرّج عليهم ، والتفت الى انها عليها السلام قد استعادت في ذاكرتها كل المصائب العظيمة التي جرت عليها ، واستعرضت كل انتهاكات القوم امام مخيلتها ، خاف عليها ان تموت حسرة وغصة ، فخاطبها قائلاً : « يا عمّه ! اسكتي ، ففي الباقي من الماضي اعتبار ، وانت بحمد الله عالمة غير معلّمة ، وفهمة غير مفهّمة ... » وبهذا أبقىٰ على حياتها ، وأبان للناس فضلها وقدرها .

« اشارة »

[فوائد]

يمكن ان يستفاد من كلام الإمام السجاد عليه السلام المزبور في حقّ عمته زينب عليها السلام اموراً تالية :

١ ـ ان السيدة زينب عليها السلام كانت قد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرفيع

عند الله ، والا لما نَعَتَها ابن اخيها الإمام السجاد عليه السلام وهو معصوم بهذا النعت ، ولما وصفها بهذه الصفة .

٢ ـ ان الإمام السجاد عليه السلام اراد بكلامه المزبور في حق عمته زينب عليها السلام بيان شأنها واظهار عظمتها .

٣ ـ ان الإمام السجاد عليه السلام اراد أن يشكر عمته زينب عليها السلام بكلامه المزبور ، على ما أسدته عليها السلام اليه في كربلاء من خدمة كبرىٰ حيث رأته يجود بنفسه من عظم المصاب فعزّته بمصابه وصبّرته عليه ، فقام عليه السلام في الكوفة بعمل مماثل لما قامت به عليها السلام تجاهه ، وهنا لا بأس ببسط شيء من الكلام حول ما قاله الامام السجاد عليه السلام في حق عمته زينب عليها السلام علماً بان من أهم الكمالات النفسية ، والمقامات الانسانية ، هو مقام العلم ، فان العلم هو قمة كل شرف ، وافضل كل الملكات ، وغذاء الروح ، وبه استمرار الحياة المعنوية ، وشرفه ذاتي ، وهذا ما لا يستطيع احد انكاره ، اذ علوّ مقام العلم لا يخفىٰ على احد ، واقامة البراهين العقلية والادلة النقلية عليه توضيح للواضحات ، ولكن لا بأس بذكر بعض الآيات والروايات في ذلك تيمّناً وتبرّكاً ...

فمن الآيات قوله تعالىٰ : ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ على نحو الاستفهام التقريري ـ لا التوبيخي كما تخيّله بعض ـ يعني : لو راجع الانسان وجدانه لأقرّ بالفرق الشاسع بين العالم والجاهل ، ولأذعن بعدم سواسيّتهما .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **شهد الله انه لا الـه الا هو ، والملائكة ، واولوا العلم** ﴾ حيث قرن تعالىٰ شهادة العلماء بشهادة الملائكة ، مع ان الملائكة من المجرّدات ومن الملأ الأعلىٰ .

وقوله سبحانه وهو يعلّم نبيه اشرف الكل ، وخاتم الرسل ، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ماذا يسأل ربه ، حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾ فلو كان هناك شيء اشرف من العلم وأفضل منه لعلّم نبيه الكريم ان يسأله منه ، فيظهر من هذا انه لم يكن هناك شيء يليق بمقام النبوة والاصطفاء غير العلم ، وهو دليل على

ارتفاع درجة العلم وعلو مقامه .

واما الأخبار فقد جازت حدّ التواتر وبلغت درجة الضرورة والبداهة ، ونحن نذكر بعضها ...

منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .

ومنها ما نسب الى أمير المؤمنين عليه السلام من قوله :

رضينا قسمة الجبار فينا ` لنا علم وللأعداء مال

وهذا البيت مأخوذ من معنى قوله تعالىٰ : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ كما لا يخفىٰ .

[اقسام العلم]

اذا عرفت بالوجدان شيئاً مجملاً من فضيلة العلم فاعلم ان العلم على قسمين : اكتسابي وموهوبي ، وبعبارة اخرىٰ : تحصيلي ولدنّي .

أما الاكتسابي والتحصيلي : فهو ان يسعى الانسان في طلب العلم ويجدّ في تحصيله ، وبقدر سعيه وجدّه يستطيع الانسان ان ينال من درجات العلم وينتفع من بركاته ، وذلك كما قال تعالىٰ : ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعىٰ ﴾ .

وأما الموهوبي واللدنّي : فهو العلم الذي يمنحه الله تعالىٰ خالق الانسان بعض عباده ممن له أهلية ذلك ، ويقذفه في قلب من هو كفو لها ، وذلك من غير تجشم عناء التعليم ، ولا تحمل اتعاب التحصيل ، فبعض يلهمه الله تعالى العلم الهاماً غيبياً ومن دون واسطة ، وبعض يلهمه بواسطة الملائكة ويريه الملائكة ايضاً ويسمّىٰ بالوحي ، وبعض لا يريه الملائكة ويسمّىٰ هذا الذي يوجى اليه بواسطة الملائكة ولا يرى الملائكة بالمحدَّث ، وبعض يوحى اليه في المنام على صورة الأحلام ، ولكل من هؤلاء مقام خاص ودرجة خاصة تتفاوت رفعة وعلواً .

[الحصول علىٰ العلم اللدنّي]

والحصول على هذه المقامات الرفيعة من العلم اللدنّي صعب جداً ، ولا يتسنّىٰ لأحد من الناس الوصول اليها الا للانبياء والرسل ، والأوصياء والأولياء كما قال سبحانه : ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلها** ﴾ ـ البقرة / ٣١ ـ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهرعلى غيبه احداً الا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ ـ الجن / ٢٦ ـ ٢٧ ـ ، وكما قال سبحانه : ﴿ **وكل شيء احصيناه في إمام مبين** ﴾ ـ يَس / ١٢ ـ ، وكما تحدث سبحانه عن نبيه : الخضر حيث قال تعالىٰ : ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلّمناه من لدنّا علماً** ﴾ ـ الكهف / ٦٥ ـ نعم ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ .

ثم ان الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء الذين هم وحدهم المختصون بالعلم اللدنّي يكونون بالنسبة الى هذا العلم على درجات ، فمنهم من قد حاز على درجة منه ، ومنهم على درجتين ، ومنهم ثلاث درجات ، والذي قد حاز على كامل الدرجات واعلى المراتب ، هو اكمل المخلوقات ، واشرف الكائنات ، سيد الأنبياء وأشرف المرسلين ، حبيب إله العالمين ، محمد واهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين .

والسيدة زينب عليها السلام هي من هذا البيت الرفيع : بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومعدن العلم ، واهل بيت الوحي ، فلا عجب أن تكون قد نالت درجة الالهام فهي اذن ملهمة بصريح كلام ابن اخيها الإمام السجاد عليه السلام حين قال لها : « يا عمة ... انت بحمد الله عالمة غير معلّمة » اذ لا يكون العلم بلا تعلّم الا عن طريق الالهام .

واذا كانت السيدة زينب عليها السلام « ملهمة » فهي بطريق اولىٰ تكون « محدَّثة » كما مر في القابها عليها السلام بانها « محدّثة » اذ كون الانسان محدّثاً اقل مقاماً من كونه ملهماً ، فان مقام الالهام ارقىٰ درجة وارفع رتبة من مقام التحديث ، كيف لا تكون كذلك والحال ان مثل سلمان الفارسي الذي من افتخاراته خدمة اهل البيت عليهم السلام بما فيهم السيدة زينب عليها السلام يكون محدّثاً ، ومثل فضة خادمة فاطمة الزهراء عليها السلام تكون محدّثة ، علماً

بان الخدمة في بيت فاطمة عليها السلام خدمة لمن في البيت أيضاً ، وان من جملة من كان في البيت هي السيدة زينب عليها السلام .

[ادلة على علم زينب عليها السلام اللدنّي]

وقد ظهر من السيدة زينب عليها السلام ما يدل على علمها وفهمها وذلك في مواقع ومواقف :

[الموقف الأوّل]

ما كان منها عليها السلام حينما كانت حاضرة عند ابيها الامام أمير المؤمنين عليه السلام وقد اجلس العباس وهو صبي في حجره وقال له : قل واحد فقال : واحد ، فقال له : قل اثنين ، فامتنع وقال : اني استحيي ان اقول اثنين بلسان قلت به واحداً ، وهنا التفتت زينب عليها السلام الى ابيها وكانت هي ايضاً صغيرة وقالت : اتحبنا يا أبه ؟ فاجابها أمير المؤمنين عليه السلام برأفة : بلىٰ يا بنيّة . فقالت : لا يجتمع حبان في قلب مؤمن : حب الله ، وحب الأولاد ، وان كان ولابدّ فالحب لله تعالىٰ والشفقة للأولاد ، فاعجبه عليه السلام كلامها وزاد في حبّه وعطفه عليهما » .

[الموقف الثاني]

ما كان منها في زمن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام من مجلس درسها في الكوفة ، فقد جاء في بعض المصادر انها عليها السلام كانت تدير في بيتها ايام خلافة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية في الكوفة مجلساً نسائياً يحضره نساء أهل الكوفة تفسّر لهن فيه القرآن ، وقد كان درسها في أحد الأيام تفسير قوله تعالى : ﴿ كهيعص ﴾ وفي الأثناء دخل عليها أمير المؤمنين عليه السلام واطلع على موضوع تفسيرها ، فقال لها بعد ذلك : نور عيني زينب سمعتك تفسّرين قوله تعالى : ﴿ كهيعص ﴾ للنساء ، فقالت :

نعم يا أبه فدتك ابنتك . فقال لها : يا نور عيني ان هذه الآية الكريمة ترمز الى المصائب التي سوف ترد عليكم أهل البيت ، ثم ذكر لها بعض ما سيجري عليهم من المصائب والرزايا فضجّت السيدة زينب عليها السلام بالصراخ والعويل واجهشت بالبكاء والنحيب ، وهذا منها عليها السلام مع أنه كان فقط تذكاراً لعلمها بما سيجري عليهم ، يدل على عظم المصاب وشدّة وقعه ، فكيف بها عليها السلام وهي تواجه كل تلك المصائب العظيمة والرزايا الجليلة وجهاً بوجه .

[الموقف الثالث]

ما كان منها عليها السلام عندما مرّوا بالأسرىٰ على قتلاهن ، فانها عليها السلام صاحت من بين كل السبايا قائلة : « يا محمداه ! هذا حسين بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة » فابكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها ، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت : « الٰهي ! تقبل منا هذا القربان » ـ الكبريت الاحمر ج٣ / ص١٣ عن الطراز المذهب ـ وهذا ما لا يستطيع من قوله الا مثل زينب عليها السلام العالمة غير المعلمة ، والتي كانت قد تعهدت لله تباركَ وتعالىٰ ان تشارك نهضة أخيها الإمام الحسين عليه السلام وتكون معه جنباً الى جنب :

وتشاطرت هي والحسين بدعوة   حتم القضاء عليهما ان يندبا
هذا بمشتبك النصول وهذه   في حيث معترك المكاره في السبا

[الموقف الرابع]

ما كان منها عليها السلام عندما رأت ابن أخيها الامام السجاد عليه السلام ـ وهو إمام الصبر ومعلّمه ـ يجود بنفسه لما نظر الى أهله كالأضاحي مجزّرين وبينهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحالة تنفطر لها السماوات ، وتنشق الأرض ، وتخرّ منه الجبال هدّاً ، فقالت

له تسلّيه وتصبّره قائلة : « مالي اراك تجود بنفسك يا بقيّة جدي وأبي واخوتي ، فوالله ان هذا لعهد من الله الى جدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق اناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة ، والجسوم المضرّجة ، فيوارونها ، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء ، لا يدرس اثره ، ولا يمحىٰ رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن ائمة الكفر ، واشياع الضلال في محوه وتطميسه ، فلا يزداد الا علواً » ـ كامل الزيارات / ص٢٦١ ـ وقد تحقق كل ما قالته عليها‌السلام مع انها ـ كما عرفت ـ امور غيبيّة لا يطّلع عليها أحد الا من كان ملهماً من الله تعالىٰ .

[الموقف الخامس]

ما كان من خطبتها عليها‌السلام على أهل الكوفة ، واحتجاجها على عبيدالله بن زياد بما اخزته وارغمت انفه وكشفت للدنيا خداعه ونفاقه ، ونفاق أميره يزيد وبني امية ، وذلك حين قالت له في جواب شماتته بها وقوله لها : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم ، صارخة به : « الحمد لله الذي اكرمنا بنبيّه محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وطهرنا من الرجس تطهيراً ، انما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا » . فقال ابن زياد وهو يراوغ لاستعادة بعض ماء وجهه وماء وجه بني امية : كيف رايتِ فعل الله بأهل بيتك ؟ فقالت عليها‌السلام وبكل انشراح ورضا كلمات وقعت على رأس ابن زياد كالصاعقة وحَرقت شخصيته المزعومة : « ما رأيت الا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة » ـ اللهوف / ص٩٠ ـ ، وهل يقدر على مثل هذا الجواب الذي بقي خالداً على مرّ الزمان يكشف واقع بني امية الأسود الاّ من كان ملهماً من عند الله تبارك وتعالى .

[الموقف السادس]

ما كان منها عليها السلام في مجلس يزيد العام الذي عقده احتفالاً منه بالانتصار المزعوم ، مستقبلاً فيه اسرى آل محمد صلى الله عليه وآله وروْس شهداء آل الرسول ، حيث القت عليها السلام وفي احرج موقف تاريخي خطبتها المعروفة وحاججته بحجج دامغة وذلك لما رأته ينكت بقضيبه ثنايا أبي عبدالله عليه السلام ويتمثل بأبيات ابن الزبعري ويقول :

لعبت هاشم بالملك فلا   خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

فقالت عليها السلام مزمجرة وصارخة في وجهه : « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأىٰ ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون** ﴾ اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فاصبحنا نساق كما تساق الاسارىٰ : ان بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة ؟ ثم قالت عليها السلام : انسيت قوله سبحانه : ﴿ **ولا تحسبنّ الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين** ﴾ الى ان قالت عليها السلام : فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند ، وايامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ... » ـ تاريخ الطبري ج٦ / ص٢٦٦ ـ فكان كل ما قالته عليها السلام له اذ لم يستطع يزيد ان يمحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام ، ولا ان يميت وحيهم ، كما انه لم يذهب عنه وعن بني امية عار المجزرة التي اقامها عليهم عليهم السلام والابادة التي شنها ضدّهم ، ووقع ما اخبرته عليها السلام به من فند الرأي ، وفلول الجمع ، وغروب سلطان بني امية ، واضمحلال دولتهم الغاشمة بموت يزيد ، وما الى ذلك من اسرار غيبيّة لا يمكن لأحد التنبؤ لها ، والتفوّه بها ، الا من كان ملهماً من عند الله تبارك وتعالىٰ .

« اشارة »

[مواقف كمواقف الزهراء عليها السلام]

لقد اشبهت زينب عليها السلام في احتجاجها على يزيد وابن زياد احتجاج امها فاطمة الزهراء عليها السلام على ابي بكر وعمر في قصة فدك ، وقضية خلافة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام حيث بذلك بان كبير فضلها ، وغزارة علمها ، ووفور عقلها ، وكثرة فهمها ، وحسن معرفتها بالأحكام والقرآن ، مما لم يتسنّى لأحد الا لمن هو ملهم من عند الله تعالىٰ .

الخصيصة التاسعة
« في كونها عليها السلام محبوبة المصطفىٰ »

سبق في فصل ألقاب السيدة زينب عليها السلام بان من ألقابها : « محبوبة المصطفىٰ » وهي قد حازت هذا اللقب بجدارة لجهات عديدة :

الجهة الاولىٰ : انها عليها السلام وكما مرّ في فصل كونها من اولياء الله تعالى قد أسدت ما لا يوصف من خدماتٍ خالصة لله ولدينه ، وقدمت ما لا يقدّر من تضحيات كبيرة لإحياء القرآن وتعاليمه ، فأصبحت بذلك محبوبة الله ، ومن الواضح : ان من كان محبوباً لله فهو محبوب عند الرسول أيضاً .

الجهة الثانية : انها عليها السلام من ذريّة الحبيب المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وولده ، وحب الذريّة والأولاد أمر تكويني وعاطفي لكل احد ، فكيف بالمصطفىٰ صلى الله عليه وآله الذي هو قمة العاطفة ومعلم البشرية دروس الرأفة والرحمة .

الجهة الثالثة : انها عليها السلام كانت محبوبة عند امها فاطمة الزهراء عليها السلام وعند ابيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب ابنته فاطمة عليها السلام حباً خاصاً ، ويكنّ لابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام محبة مخصوصة ، ولما كانت زينب عليها السلام محبوبة الام والاب ، وهما محبوبا رسول الله صلى الله عليه وآله فهي محبوبة رسول الله صلى الله عليه وآله بقياس المساواة ، ولان المعروف : « ان الانسان اذا أحب شيئاً أحب آثاره ».

الجهة الرابعة : انها عليها السلام كانت محبوبة عند أخيها الإمام الحسن والامام الحسين عليهما السلام فانه على المعروف كان للامام الحسن وللامام الحسين عليهما السلام علاقة خاصة ، ومحبة لا توصف بشقيقتهما المكرمة السيدة زينب عليها السلام ، وحيث ان كلاً من

الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام هو محبوب رسول الله المصطفى صلى الله عليه وآله حتى اشتهر عنه صلى الله عليه وآله في حق الامام الحسن عليه السلام قوله: « اللهم اني احبّه، فأحبَّ من يحبّه » وفي حق الامام الحسين عليه السلام قوله المشهور: « حسين مني وانا من حسين احبَّ الله من احبَّ حسيناً » اصبحت زينب عليها السلام بالملازمة أيضاً محبوبة المصطفى صلى الله عليه وآله.

الجهة الخامسة: انها عليها السلام كانت من العوامل المبقية للاسلام، فان الاسلام ـ كما هو المعروف ـ محمّدي الوجود، حسيني البقاء، اذ لولا نهضة الإمام الحسين عليه السلام لما بقي الاسلام، ولذهب كل اتعاب النبي صلى الله عليه وآله على اثر استهتار بني امية ادراج الرياح، ومعلوم ان من دعائم نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي السيدة زينب عليها السلام، فهي اذن محبوبة المصطفى صلى الله عليه وآله.

الجهة السادسة: انها عليها السلام حافظت على ابن اخيها الإمام السجاد عليه السلام من التلف وصانته من القتل في مناسبات عديدة، وحيث ان الإمام السجاد عليه السلام كان هو الوحيد الباقي من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله وكان هو الوسيلة أيضاً لامتداد ذريّة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله الى يوم القيامة، وكان هو حجّة الله بعد أبيه الامام الحسين عليه السلام وفي ذريته ايضاً الحجج الباقون اوصياء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، اصبحت السيدة زينب عليها السلام التي حافظت على بقاء ذكر جدها المصطفى بحفاظها على ابن اخيها الامام السجاد عليه السلام محبوبة المصطفى صلى الله عليه وآله.

« اشارة »

[انها عليها السلام قرّة عين المرتضى]

ولنفس ما ذكرناه من الجهات، صارت السيدة زينب عليها السلام ملقبة ايضاً بقلب: « قرة عين المرتضى » كما مرّ ذلك في فصل القابها عليها السلام حيث قلنا: بان من القابها: « قرة عين المرتضى ».

الخصيصة العاشرة

« في كونها عليها السلام نائبة الزهراء »

كان ـ على ما سبق ـ من جملة ألقاب السيدة زينب عليها السلام لقب : « نائبة الزهراء » وهذا اللقب يحمل معنى كبيراً ، ويرمز الى ما هو طبيعة كل قضية في الدنيا وُجدت لتبقىٰ ، والاسلام هو أحد تلك القضايا والامور واهمها الذي وُجد ليبقىٰ ، فقد اراد الله تبارك وتعالىٰ للاسلام ان يوجد ، وقدّر له ان يبقىٰ ، ومعلوم : انه في وجوده بحاجة الى هيئة مؤسسة ، كما انه يحتاج في بقائه الى هيئة مبقية .

وبعبارة اخرىٰ : كل امر وبمقدار اهميته يتطلب تحققه الى من يؤسس اساسه ، ويقيم اركانه ويشيد بنيانه ، ويزيح عنه العوائق ، ويزيل عنه ما يهدد كيانه ، وبمقدار ذكاء المؤسّس وحسن تدبيره ، يكون تحقق ذلك الأمر موفقاً في الخارج ، ثم بعد تأسيس ذلك الأمر وتحققه فى الخارج يتطلب بقاؤه ايضاً الى من يدير شؤونه ، ويحافظ عليه ، ويدفع عنه بماله ومقامه وحتى بنفسه كل ما يهدد بقاءه بالخطر ، ويتحمل من اجل ذلك كل صعب ومكروه ، وذلك لأن الابقاء على الشيء ليس اقل خطراً من ايجاد الشيء وتأسيسه ، ان لم يكن اكثر خطورة .

والاسلام هو دين الله تعالىٰ ، الذي ارتضاه للبشرية الى يوم القيامة ، وجعله ناسخاً للشرايع التي كانت قبله ، ولذلك اختار الله له مؤسّساً معصوماً ، ومبقياً معصوماً ايضاً .

[دَور التأسيس]

اما المؤسّس ـ علماً بان تأسيس دين لا يكون الا على يدي رسول مؤيّد من عند الله تعالى بالمعجزة والبراهين القاطعة ، الدالة على نبوته ـ : فهو رسول الله ﷺ اشرف خلق الله تعالىٰ وسيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم ، وقد شاركته في التأسيس بأمر من الله تعالىٰ وتأييده بقية الخمسة الطاهرة من اهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وهم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، والذين فرض الله تعالىٰ مودتهم على عباده اجراً لرسالة نبيه ﷺ وما دام كان الرسول ﷺ حياً بين ظهرانيهم، كان دَور هؤلاء دَور المشاركين له ﷺ في التأسيس .

[دَور الابقاء]

واما المبقي ـ علماً بان مبقيَ دين لا يكون الا بوصاية من مؤسّس الدين ، وبنصّ من الله تعالىٰ على امامته ، وتأييد منه له بالمعجزة والبراهين الساطعة الدالة على صدقه ـ ، فهو امير المؤمنين عليه السلام ما دام كان حياً ، ثم الامام الحسن عليه السلام ما دام كان حياً ، ثم الامام الحسين عليه السلام ما دام كان حياً ، ثم التسعة المعصومون من ولد الامام الحسين عليه السلام واحداً تلو الآخر .

اذن : فدور الائمة المعصومين عليهم السلام كلهم كان هو : دَور الابقاء علىٰ الاسلام ، والحفاظ علىٰ نزاهته وقداسته ، واذا كان هذا دورهم جميعاً ، فلماذا اشتهر : ان الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء ؟ والجواب : ان دَور الامام الحسين عليه السلام كان يتطلب العطاء الاوفر ، والبذل الاسخىٰ ، والفداء الاعظم ، والتضحية الكبرىٰ ، والمظلومية العظمىٰ ، وقد فعل الامام الحسين عليه السلام كل ذلك باخلاص ، ويكفي للاطلاع عليه ، مراجعة عابرة لواقعة الطف المفجعة ، ومطالعة سريعة لحوادثها المؤلمة ، كي يُعلم انه عليه السلام هو وحده ـ من بين الأئمة الاطهار مع مصائبهم العظيمة ـ

الذي جرىٰ عليه ما جرىٰ ، واصيب بما اصيب ، واقتُرف في حقه ما اقتُرف في يوم عاشوراء ، حتىٰ قيل : « انه لا يوم كيومك يا ابا عبد الله » وقيل : « ان يوم الحسين عليه السلام اقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا » .

وعليه : فان مظلومية الامام الحسين عليه السلام الكبرىٰ ، هي وحدها التي استطاعت ولا تزال ان تهزّ مشاعر الناس ، كل الناس ، وان تأخذ بقلوبهم ، فتدفعهم الىٰ الهيام بحبه ، والانخراط في زمرته ، والانضواء تحت لوائه ، والدفاع عن اهدافه ، والاجتناب عن ظالميه ، وصبّ اللعن عليهم وعلىٰ ظلمهم وجورهم ، والوقوف بوجههم ومناهضتهم ، واعلان الغضب والثورة عليهم وعلىٰ تابعيهم .

وبكلمة واحدة : اصبحت مظلومية الامام الحسين عليه السلام ـ علىٰ مرّ العصور والأجيال ـ سراجاً وهاجاً يهدي الىٰ عدل الاسلام وقسطه ، ويرشد الىٰ أئمة اهل البيت عليهم السلام وهديهم ، وسلاحاً نافذاً يصدّ عن ظلم الكفر وجوره ، ويفتك بائمة الجور وضلالهم ، ولذلك اشتهر : « ان الاسلام محمدي الوجود ، حسيني البقاء » .

نعم كان لكل مُبقٍ من الائمة المعصومين عليهم السلام من يشاركه بامر الله تعالىٰ في الابقاء ، فأمير المؤمنين عليه السلام كان قد شاركه في الابقاء بقيّة الخمسة الطاهرة من اصحاب الكساء وهم : فاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام ، ففاطمة كان لها دَور المشاركة في التاسيس ودَور المشاركة في الإبقاء أيضاً .

[الدَور المشترك]

اما دَور مشاركة الزهراء عليها السلام في التأسيس : فانها قد شاركت أباها رسول الله صلى الله عليه وآله في مهمته وشاطرته ما اصابه في طريق رسالته وخاصة بعد ارتحال امها خديجة عليها السلام حتى لقّبها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله بـ : « أم أبيها » ، وكفاها ذلك سنداً وفخراً .

واما دَور مشاركتها في الابقاء : فانها عليها السلام قد شاركت بعلها امير المؤمنين عليه السلام

في مهمته ، وشاطرته ما اصابه في طريق امامته ، حتى قدمت نفسها ضحية عندما رأت ان بقاء الاسلام على يدي أمير المؤمنين عليه السلام بحاجة الى تضحية وتزريق الدم اليه ، فقد رأيت عليها السلام ان من تقمص مكان علي عليه السلام قميص الخلافة ، قد شكل خطراً كبيراً على حياة الاسلام وبقائه ، ونزاهته وطهارته ، وبركاته وقدسيته ، وخاصة بعد أن خلعوا على عمل التقمّص هذا لباس الشرعية ، والصبغة الدينية ، فرأت عليها السلام ان عليها ان ارادت ابقاء الاسلام على طهارته ونزاهته ، ان تسلب منهم شرعيتهم ، وتمحو عنهم صبغتهم الدينية ، وهو امر كبير ، كيف وكل الأمر والنهي قد صار اليهم ، والحل والعقد وقع في ايديهم وفي قبضتهم ؟ فلابدّ من امر أكبر يطغىٰ على تمويههم وتشويههم ، ولم يكن ذلك الأمر الأكبر الا ان تقدم نفسها ضحية ، ودمها وقاءاً ، وجنينها محسناً قرباناً ، ولأجل ان لا يمسّ هذا الفداء تمويههم وتشويههم ، اعلنت سخطها على المتقمصين للخلافة ، واوصت ان لا يحضروا جنازتها والصلاة عليها ، وان يعفىٰ اثر قبرها ، ليكون سنداً لمظلوميتها الى يوم القيامة ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلّف سواها ، فما الذي جرىٰ عليها حتى لم يُعرف لها قبراً ؟! نعم فعلت ذلك كلّه وهي صابرة محتسبة ، وابقت الاسلام ـ من بين كل تلك التشويهات والتمويهات ـ نزيهاً مباركاً ، وأورثت كل مواقفها المشرفة ابنتها السيدة زينب عليها السلام فورثته منها كاملة حتى لقبت بذلك : « نائبة الزهراء » .

[البنت تنوب أمّها]

نعم ورثت السيدة زينب عليها السلام امها ، ونابت عنها مواقفها ، واخذت على عاتقها دَورها : وهي صغيرة ، فان عمر امها لم يكن الا كعمر الورود في ايام الربيع ، وكعمر الكواكب في الأسحار ، وقد أوصت الى ابنتها زينب عليها السلام ان تشارك اباها واخوتها في ابقاء الاسلام ، وان تدّخر نفسها وبصورة خاصة لأخيها الإمام الحسين عليه السلام حين يأتي دَوره ويكون هو المبقي بامر الله تعالىٰ وتكون هي المشاركة حينئذ له والمشاطرة

لكل ما سيلاقيه في هذا الطريق ، والمستعدّة حتى للسبي والاسر ، فنفّذت البنت الوفية كل وصايا الام الحنون علىٰ احسن ما يرام ، وبأفضل ما يتصور ، حيث شاركت أباها امير المؤمنين عليه السلام بعد أُمها الزهراء عليها السلام في الابقاء على الاسلام بماكانت تعقده من مجالس نسائية لتفسير القرآن ، وتعليم اصول الدين وعقائد الاسلام ، وبيان المسائل والأحكام من الحلال والحرام .

وكذلك شاركت اخاها الإمام الحسن عليه السلام بمثل ذلك عندما انتقل دَور المبقي اليه ، وخاصة عندما رأىٰ الإمام الحسن عليه السلام ان ابقاء الاسلام لا يتم الا بمهادنة معاوية وسلب الشرعية عنه عن طريقها ، وكشف واقعه المزري وفضح حقيقة بني امية المخزية عبر بنود الصلح ، ومن خلال التثقيف الديني الذي تبنّاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من اهل بيته عليهم السلام ومنهم الامام الحسن عليه السلام في المجتمع البشري ، ونشر الوعي الاسلامي في الناس وخصوصاً في ايام الهدنة ، وتمهيد مقدمات النهضة لاخيه الإمام الحسين عليه السلام ، وكان لزينب عليها السلام الأثر الكبير في كل ذلك .

وكذلك شاركت اخاها الامام الحسين عليه السلام لما وصل دَور الابقاء على الاسلام اليه واصبح هو المبقي ، فقد انتهت ايام معاوية السوداء واقبلت ايام ابنه المشؤم يزيد ، وذلك بعد ان احيىٰ ابوه كل نزعات الجاهليّة الجهلاء من ظلم وشر ، وأمات كل معاني الخير والعدل الذي جاء به الاسلام ، وكان كل ذلك تحت شعار الاصلاح وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحت ستار الاسلام والقرآن ، حتى اشتبه على الناس امر الاسلام ، وتصوّروا ان الاسلام هو ما قد رسمه لهم معاوية ، وحيث بقيت هناك نواقص جاء ابنه يزيد ليكمل نواقص ما رسمه أبوه لهم .

وهنا رأىٰ الإمام الحسين عليه السلام ان لم يتدارك الاسلام ويجلي عنه غبار التمويه ، ويكشف عنه حجب التشويه لاندرس وانطمس ، وفي نفس الوقت رأىٰ ان القيام بذلك امر خطير يتطلب التضحية بكل غال ورخيص ، والتفدية بالروح والدم ، والمال والأهل ، وهذا ايضاً يتطلب وجود من يشاركه فيه ، ولابدّ ان يكون المشاركون

له في مهمّته من بقايا الصفوة الطاهرة ونسل الخمسة الطيّبة من أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، اضافة الى نخبة من الناس الكرام غيرهم ، ويلزم ان يكون كلّهم ممن اذن الله تعالىٰ لهم في المشاركة والابقاء ، اذ الأمر ليس عادياً حتى يكون لأحد من هؤلاء المشاركين الخيرة من أمرهم ، بل لابدّ من تعيين الهي واذن رباني مسبق .

[دَور علي الأكبر عليه السلام]

وكان كذلك فقد شاء الله تعالىٰ ان ينوب علي الأكبر عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون هو الممثل عنه في مهمّة الابقاء ، فقد كان من خاصّة طينة جدّه واشبه الناس به كما جاء في زيارته : « السلام على اول شهيد من نسل خير سليل ... » وكما قال عنه ابوه الإمام الحسين عليه السلام حينما برز نحو القوم : « اللهم اشهد علىٰ هؤلاء القوم فقد برز اليهم غلام اشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا اذا اشتقنا النظر الى رسولك نظرنا اليه » وذلك بعد ان البسه ملابس رسول الله صلى الله عليه وآله وعمّمه بعمامته ، واعطاه سلاحه ، وقدم له مركبه ، كما انه عليه السلام كان قد بلغ درجة الأولياء على ما جاء في زيارته : « السلام عليك يا ولي الله وابن وليّه » .

[دَور العباس بن علي عليه السلام]

وناب العبّاس عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وقام هو مقام ابيه في دور الابقاء وشارك أخاه الإمام الحسين عليه السلام في ذلك ، وقد اختاره امير المؤمنين بامر من الله تعالىٰ لهذه المهمة من ذلك اليوم الذي انتدب فيه اخاه عقيل بن أبي طالب وكان عالماً بانساب العرب ، وطلب منه ان ينتخب له امرأة من ذوي البيوتات حتّى تلد له ولداً شجاعاً شهماً ، كريماً وفياً ، يعضد أخاه الإمام الحسين عليه السلام وينصره ويشاركه مهمّته ، فدلّه عقيل على ام البنين فاطمة بنت حزام العامرية ، فتزوّجها عليه السلام لذلك ،

وولدت له اربعة بنين اكبرهم وافضلهم العباس عليه السلام .

وكان العباس ابن امير المؤمنين عليه السلام كما اراده ابو شجاعاً مقداماً ، اميناً ووفياً ، وخاصة بأخيه الإمام الحسين عليه السلام فقد ترصد خدمته ووقف نفسه لنصرته والذبّ عنه طيلة أيام حياته ، حتى ان اباه أمير المؤمنين عليه السلام لما اوصىٰ الى اولاده في اللحظات الأخيرة من عمره اوصىٰ العباس بالحسين وأوصىٰ الحسين به .

[دَور القاسم بن الحسن عليه السلام]

وناب القاسم بن الحسن عليه السلام عن أبيه الإمام المجتبىٰ وقام مقامه في مهمّه الابقاء ومشاركة عمه الإمام الحسين عليه السلام في ذلك ، والشاهد على هذه النيابة وانه هو المختار من طرف ابيه المجتبىٰ وبأمر من الله تعالىٰ للمشاركة في مهامّ الابقاء هو : ما ربطه ابوه الإمام الحسن عليه السلام على عضده الأيمن من العوذة ، ووصيّته فيها وتحريضه له بنصرة عمه الغريب في كربلاء ، والشهادة بين يديه .

[دَور السيدة زينب عليها السلام]

ونابت السيدة زينب عليها السلام امها فاطمة الزهراء عليها السلام في مهمّة الابقاء ، وقامت مقامها ـ وبأحسن وجه ـ لأداء دَور المشاركة في هذه المهمّة ، ويشهد لذلك مواقفها البطولية المشرّفة من بدء قيام اخيها الإمام الحسين عليه السلام باعباء الإمامة حتى شهادته عليه السلام وخاصة من بدء نهضته عليه السلام حتى انتهاء قضايا السبي والأسر ، والرجوع ببقايا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة ، ومنها حتى ارتحالها من هذه الدنيا الىٰ الدار الآخرة ، ففي كل هذه المدّة الطويلة والفترة العصيبة قامت السيدة زينب عليها السلام مقام امها فاطمة الزهراء عليها السلام في دَور المشاركة ونابت عنها في مهمّة الابقاء وقدمت في سبيل ذلك كل ما قدمته ، حتى لقّبت بكونها : « نائبة الزهراء عليها السلام » ، فكما ان الام شاركت زوجها وامامها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مهمّة الابقاء ، وقدمت نفسها

ضحيّة ، ودمها وقاءاً ، ومحسنها قرباناً ، ليبقىٰ الاسلام على نزاهته وقدسيته ، وطهارته وبرائته مما ارتكبه المتقمصون للخلافة ومما فعله الغاصبون لفدك باسم الاسلام ، فكذلك البنت شاركت أخاها وامامها الإمام الحسين عليه السلام في مهمّة الابقاء ، وقدمت ما قدّمت ، لتصون نزاهة الاسلام وتحفظ قدسيته وطهارته مما ارتكبه الطلقاء وابناء الطلقاء من تشويه وتمويه ، وجرائم وجنايات ضد الاسلام باسم الاسلام ، ولكن هذه المرّة كان القربان هو الإمام الحسين عليه السلام وزينب عليها السلام شاطرته بتقديم نفسها اسيرة ، ودم ولديها وقاءاً ، وراحت في موكب السبي من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام لتبلّغ دم الشهيد حتى في قصور الظالمين ، وتوصل اهداف الشهادة الى العالم اجمع ، والى كل الأجيال على مدىٰ التاريخ ومرّ العصور والزمان .

ولقد أجاد العلامة الميرزا محمد علي الاردوبادي وهو يصف في قصيدة له موقف زينب عليها السلام ومشاطرتها لأخيها الإمام الحسين عليه السلام مهمته قائلاً :

« وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما ان يندبا »
« هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معترك المكاره في السبا »

نعم شاطرت السيدة زينب عليها السلام أخاها الإمام الحسين عليه السلام في مهمّة الابقاء على الاسلام والحفاظ على نزاهته وطهارته ، ولولا مشاطرتها وتحملها في سبيل الله ما تحمّلته من البلايا والرزايا ، والمصائب والمحن لأبطل بنو امية دم الإمام الحسين عليه السلام ومَحَوا أثره ، ولاستطاعوا بعد ذلك من اجتثاث جذور الاسلام والقضاء عليه بالمرّة ، اذ ورثة المتقمصين للخلافة الطلقاء وابناء الطلقاء ، كانوا قد عرّفوا أنفسهم ـ كذباً وزوراً ـ بأنهم اولي الأمر الذين امر الله بطاعتهم ، وصوّروا بان جرائمهم وجناياتهم هو انعكاس عن الاسلام الصحيح ، وكان بيدهم السيف والسوط ، والدعاية والتبليغ وقد سخروها جميعاً لتثبيت سلطانهم ، فكانوا بسوطهم وسيفهم يقمعون الاحرار ، وبدعاياتهم وإعلامهم يضلّلون الجماهير ، فلم يكن احد من الناس يجرأ على مناجزتهم ومجابهتهم ، وكشف زيفهم وزيغهم ، وبيان كذبهم وغدرهم ،

والتنديد باستبدادهم ودكتاتوريتهم ،وفضح تآمرهم على الله ورسوله ، وعدائهم للاسلام والمسلمين ، سوى الامام الحسين عليه السلام ، وذلك باغلى ثمن وحتى بمثل سبي حرم رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، ووطّنت السيدة زينب عليها السلام نفسها على كل ذلك وتلقته بصدر رحب وبوجه منبسط ، وشاطرت اخاها الإمام الحسين عليه السلام في البقاء على الاسلام وطهارته ونزاهته ، وابلغت صوته عليه السلام الى مسامع التاريخ وفي آذان الأجيال حيث قال :

« ان كان دين محمّد لم يستقم   الا بقتلي يا سيوف خذيني »

الخصيصة الحادية عشرة

« في أنها عليها السلام شريكة الحسين عليه السلام »

كان من جملة ألقاب السيدة زينب عليها السلام ـ على ما سبق ـ شريكة الحسين عليه السلام ، وانها لكذلك ، فقد شاركت اخاها الإمام الحسين عليه السلام في مهمّة الابقاء على الاسلام وحفظه من الاندراس والانطماس وذلك من عدة وجوه :

١ ـ انها عليها السلام شاركت اخاها الإمام الحسين عليه السلام في صفقته الناجحة وتجارته الرابحة مع الله تعالىٰ ، كما اذنت به الآية الكريمة حيث تقول : « ان الله اشترىٰ من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ... » فان الإمام الحسين عليه السلام كان المصداق الاتم ، والنموذج الكامل لهذه الآية المباركة ، حيث انه سلام الله عليه قدّم نفسه وامواله ، وبذل دمه ومهجته ، وضحّىٰ بأهل بيته واصحابه ، وبكل ما لديه في سبيل الله تعالىٰ ، فعوّضه الله تعالىٰ عن ذلك بالجنة ، واعطاه الوسيلة ، وسلّمه لواء الشفاعة في يوم القيامة ، وذلك مضافاً الى ما منحه الله تعالىٰ في هذه الدنيا حيث جعل الأئمة من ذريته ، والاستجابة تحت قبته ، والشفاء في تربته ، وكانت زينب عليها السلام شريكته في نجاح هذه الصفقة ، وفوز هذه التجارة بالأرباح والفوائد العظيمة ، اذ لولاها لنجح بنو امية في تحجيمها وتحديد ثمارها وفوائدها .

٢ ـ انها عليها السلام شاركته في جميع الشدايد والمصائب من يوم خروجه عليه السلام من مدينة جده صلى الله عليه وآله وسلم وحتى شهادته في طف كربلاء ، وزادت عليه انها عليها السلام أُخذت اسيرة مع بقية آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام .

٣ ـ انها عليها السلام شاركته في الحصول على ما لا يقدر على احصائه احد الا الله

تعالىٰ من الأجر والثواب .

٤ ـ انها عليها السلام شاركته في نَيل مقام الشفاعة للمذنبين في يوم القيامة .

٥ ـ انها عليها السلام شاركته في مسئلة الوساطة في الافادة والافاضة من الله تعالىٰ على الخلق بجميع الفيوضات والفوائد ، وخاصة نعمة الحياة ، ونعمة الهداية ، فانهما من أعظم النعم وأفضلها ، وسيأتي توضيح ذلك انشاء الله تعالىٰ .

٦ ـ انها عليها السلام شاركته ـ كما مرّ ـ في مهمّة الابقاء على الاسلام والحفاظ على نزاهته وطهارته ، ولهذا ولغيره من موارد المشاركة لقّبت السيدة زينب عليها السلام بانها : شريكة الحسين عليه السلام .

الخصيصة الثانية عشرة

« في كونها عليها السلام الزاهدة »

مرّ ان من جملة ألقاب السيدة زينب عليها السلام كان هو : « الزاهدة » علماً بان الزهد هو من الصفات الحسنة ، والأخلاق الحميدة ، وانه يرفع الانسان المتصف بهذه الصفة والمتخلّق بها الى المقامات العالية والدرجات الرفيعة ، اذ بالزهد في هذه الدنيا الدنيّة يحصل الانسان على عظيم ما عند الله تعالىٰ في تلك الدار الآخرة : ولهذا رغّب الاسلام في الزهد وحث الناس عليه ، وقال الإمام امير المؤمنين عليه السلام في بيان الزهد وتعريفه : « الزهد في الدنيا ثلاثة احرف : زاء ، وهاء ، ودال ، فاما الزاء فترك الزينة ، واما الهاء فترك الهوىٰ ، واما الدال فترك الدنيا » ، وبهذا الكلام القصير عرف عليه السلام حقيقة الزهد ولخّص جوانبه وحدوده في ترك الدنيا وزينتها ومخالفة الهوىٰ .

واما ثواب الزاهدين فهو خارج عن حدّ الاحصاء ، ففيما ارويه باسنادي عن مشايخ الاجازة ، الموافق لرواية ارشاد القلوب للديلمي : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خوطب في ليلة المعراج بما يلي : « يا احمد ! هل تعرف ما للزاهدين عندي ؟ قال : لا يا رب ، قال : يُبعث الخلق ، ويُناقشون الحساب وهم من ذلك آمنون ، ان ادنىٰ ما اعطي الزاهدين في الآخرة أن اعطيهم مفاتيح الجنان كلها حتى يفتحوا ايّ باب شاءوا ، ولا احجب عنهم وجهي ، ولأنعمنّهم بالوان التلذذ من كلامي ، ولأجلسنّهم في مقعد صدق ، ولأذكّرنهم بما أتعبوا به انفسهم في الدنيا ابتغاء مرضاتي ، ولأفتحنّ لهم اربعة أبواب :

١ ـ باب يدخل عليهم الهدايا بكرة وعشياً من عندي .

٢ ـ وباب ينظرون منه الىٰ رحمتي كيف شاءوا بلا صعوبة .

٣ ـ وباب يطّلعون منه الى النار ، فينظرون الى الظالمين كيف يُعذّبون .

٤ ـ وباب يدخل عليهم الوصايف وحور العين ... » الى غير ذلك من الروايات الكثيرة .

[الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]

ان السيدة زينب عليها السلام كانت قد اقتدت بجدّها وأبيها وأمها واخوتها صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في الزهد ، وادركت حقيقته ، ويشهد لها ما يلي :

١ ـ قال تعالىٰ : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ وزينب عليها السلام كانت قد وطّنت نفسها على تركها ، فقد قدّمت ولديها فداءاً بين يدي اخيها الامام الحسين عليه السلام وذلك بكل سخاء ، حتى انها عليها السلام لم تخرج اليهما عند شهادتهما ، اثباتاً لسخائها بهما، وارفاقاً باخيها الإمام الحسين عليه السلام من المنّة عليه بهما ، كما انها عليها السلام قدّمت ما كانت تملكه من أموال واعطت حتىٰ قرطيها يوم عاشوراء ، وذلك حين انقضّ عليها اعداء الله واعداء الانسانية يسلبون حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينهبون ما لديهم .

٢ ـ قال تعالىٰ : ﴿ **واما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ ، فان الجنة هي المأوىٰ** ﴾ وزينب عليها السلام كانت قد تركت الهوىٰ ليس المحرّم منه فحسب فانها صاحبة العصمة الصغرىٰ ، بل حتى الهوى المباح ، فانها مع ما خوّلها الله تعالى من القدرة على التصرّف في الامور ، والتقلب في الأشياء ، استسلمت لله ولما فيه رضاه ، وصبرت على كلّ ما لاقته في الله ، ونصرة دينه ، وحفظ قداسة الاسلام ونزاهته ، بصدر رحب ، ونفس طيبة ، مقدمة رضاه تعالى على رضاها وهواها .

٣ ـ قال تعالىٰ : ﴿ **ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فاولئك كان سعيهم مشكوراً** ﴾ وزينب عليها السلام كانت من المصاديق الكاملة لهذه الآية المباركة ، فقد

ارادت الآخرة وسعت لها سعيها وهي مؤمنة بما وعدها الله تعالىٰ علىٰ سعيها، ولذلك قطعت عُلقتها بكل ما يرتبط نوع ارتباط بالدنيا: من وطن ودار، وزوج واثاث، واموال واولاد، فقد تركت بلدها ومسقط رأسها مهاجرة مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام الى الله تعالىٰ، وغضّت لذلك ايضاً الطرف عن دارها واثاثها، وزوجها وارحامها، واموالها واولادها، وبكلمة واحدة: تركت الدنيا وما فيها ابتغاء الدار الآخرة وما اعدّ الله تعالىٰ لها فيها، وهذا هو أفضل الزهد وأكمله.

«اشارة»

[المضاهاة مع المسيح]

اشتهر: ان الزهد هو من خصائص المسيح عيسىٰ بن مريم علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام وانه الباعث لمزيد شرافته وفضله، لكنا لو قارنّا زهد السيدة زينب عليها السلام مع زهد كل الزاهدين بما فيهم المسيح عيسىٰ بن مريم لظهر الفرق العظيم بينهم، ولأقرّ لها المسيح وغيره بتفوّقها عليهم، ولاعترفوا: بان زهدها بمنزلة من العظمة والرفعة حتى انه ليغطّي على زهدهم ويأتي عليه، ولأذعنوا بأنهم مدينون لها عليها السلام.

ومن هذا وغيره من المكرمات يعرف بعض اسرار عظمة السيدة زينب عليها السلام ويتّضح شيء من جلالة قدرها، وعلوّ مقامها، ورفعة منزلتها عند الله تبارك وتعالىٰ.

الخصيصة الثالثة عشرة

« في أن من ألقابها عليها السلام العاقلة »

مرّ أن من ألقاب السيدة زينب عليها السلام هو لقب : العاقلة يعني : صاحبة العقل الكبير ، واللب الكامل ، ولتوضيح هذا المعنىٰ لابد من الاشارة الى فضل العقل وشرفه لنعرف من خلاله فضل العاقل وشرفه ، حتى يتّضح لنا فضل زينب عليها السلام وشرفها .

ذكر في الوافي مرسلاً عن الخصال ، وفيه مسنداً عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي امير المؤمنين عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان الله تعالىٰ خلق العقل من نورٍ مخزون مكنون في سابق علمه ، الذي لا يطلع عليه نبي مرسل ، ولا ملك مقرّب ، فجعْل العلم نفسه ، والفهم روحه ، والزهد رأسه ، والحياء عينيه ، والحكمة لسانه ، والرأفة هامته ، والرحمة قلبه ، ثم حشاه وقوّاه بعشرة اشياء : باليقين ، والإيمان ، والصدق ، والسكينة ، والاخلاص ، والرفق ، والعطيّة ، والقنوع ، والتسليم ، والشكر . ثم قال عزّوجلّ له : ادبر ، فأدبر ، ثم قال : أقبل ، فأقبل ، ثم قال : تكلّم ، فقال : الحمد لله الذي ليس له ضدّ ولا ندّ ، ولا شبيه ولا كفو ، ولا عديل ولا مثل ، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل ، قال : فقال الرب تبارك وتعالىٰ : وعزّتي وجلالي ما خلقت احسن ولا اطوع لي منك ، ولا ارفع منك ، ولا اشرف منك ، ولا اعزّ منك ، بك أوٴاخِذ ، وبك اعطي ، وبك اوحّد ، وبك أعبَد ، وبك أدعىٰ ، وبك أرتجىٰ ، وبك أبتغىٰ ، وبك أخاف ، وبك أحذَر ، وبك الثواب ، وبك العقاب ، فخرّ العقل عند ذلك ساجداً ، فكان في سجوده الف عام ، فقال الرب تبارك وتعالىٰ : ارفع

رأسك وسل تعط ، واشفع تشفّع ، فرفع العقل رأسه فقال : الٰهي اسالك ان تشفّعني فيمن خلقتني فيه ، فقال الله عزّوجلّ لملائكته : اشهدكم اني قد شفّعته فيمن خلقته فيه ».

وفي الكافي مسنداً عن رسول الله ﷺ : « ما قسم الله للعباد شيئاً افضل من العقل ... ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله افضل من جميع عقول امته ... ».

وفي الكافي ايضاً مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما العقل ؟ قال : « ما عُبد به الرحمان ، واكتسب به الجنان » الى غير ذلك من الروايات في هذا المجال .

« اشارة »
[العقل وراثة واكتساباً]

ان السيدة زينب عليها السلام هي من بيت النبوّة ومعدن الرسالة الذين خصّهم الله تعالىٰ بالعقل الوافر ، واللب الكامل ، والفكر الكبير ، اضافة الى ما ورثته عليها السلام منهم واكتسبته عليهم ، ولذلك لقبت بلقب : « العاقلة » وكانت حقاً كذلك ، فان مواقفها المشرّفة ، وتصرفاتها الحكيمة ، كلها شاهد صدق على وفور عقلها ، وعظيم لبّها وفكرها ، حيث تركت الدنيا وما فيها ، وضحّت بكل ما تملكه ، في سبيل الله ، ونصرة دينه ، وهداية عباده ، وهل أحد غير السيدة زينب عليها السلام وما حوته من عقل وفكر ، كان يستطيع ان يحفظ دم الإمام الشهيد ، ويبلّغ اهدافه الانسانية الى العالم كله ، والى الأجيال كلها حتى يوم القيامة ، وهو في قبضة الطاغوت من مردة بني أميّة ، وتحت سلطة السّفّاكين من قتلة ذريّة رسول الله ﷺ وسَفَكة دماء احرار الأمّة ، بمثل ما حفظته وبلغته السيدة زينب عليها السلام ؟؟ فحقاً انها « العاقلة » .

الخصيصة الرابعة عشرة
« في أنها عليها السلام الموثقة »

سبق في فصل ألقاب السيدة زينب عليها السلام : بان من ألقابها : الموثقة ، وكانت حقاً كذلك ، فقد وثق بها اخوها الإمام الحسين عليه السلام وابن اخيها الإمام زين العابدين عليه السلام بعد ان وثق بها جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وابوها امير المؤمنين عليه السلام وامها فاطمة الزهراء عليها السلام واخوها الإمام الحسن عليه السلام ، كيف لا وقد أهّلها الله تعالى للوثاقة ، وانتجبها لذلك ، حيث جعلها « عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهّمة » كما قال عنها الإمام زين العابدين عليه السلام .

فكانت عليها السلام خازنة للأسرار ، حافظة للودائع ، مؤدية للأمانات ، مأمونة عند الناس ، مقبولة لديهم ، حتى ان الامام زين العابدين عليه السلام كان اذا أراد أن يقع ما ينقله للناس في قلوبهم ويأخذ منهم مأخذه اسند الخبر الى عمته السيدة زينب عليها السلام ، وكذلك كان ابن عباس مع جلالته ووجاهته بين الناس ، وشهرته بينهم بحبر الامة وصدق اللهجة ، فانه مع ذلك كان اذا أراد وقع الخبر في النفوس اسنده الى السيدة زينب عليها السلام وقال : « حدثتنا عقيلتنا ... » .

[نماذج من رواياتها عليها السلام]

ولا بأس هنا بالإشارة الى بعض الروايات التي اسندت الى السيدة زينب عليها السلام او كانت عليها السلام في اسنادها ، مثل رواية دلائل الإمامة للطبري / ٢٣ « عنه حدثني ابو عبدالله الحسين بن احمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابو بكر احمد بن ابراهيم

بن الحسن بن محمد بن شاذان قال : حدثنا ابو سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيىٰ بن عاصم بن زفر البصري ، قال : حدثنا عثمان بن عمرو الدباغ قال : حدثنا محمد بن القاسم الأسدي ، قال : حدثنا ابو الجارود ، قال : حدثنا ابو الحجاني ، عن زينب ابنة علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : اما انك يا علي وشيعتك في الجنة ».

ومثل خطبة فدك المروية في البحار نقلاً عن علل الشرائع للصدوق ، عن احمد بن محمد بن جابر ، عن زينب بنت علي عليها السلام وبسند آخر عن عبيدالله بن محمد العلوي ، عن رجال من أهل بيته ، عن زينب بنت علي عليها السلام ، عن أمها فاطمة عليها السلام ، وبسند آخر عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن عمته زينب بنت علي عليها السلام ، عن فاطمة عليها السلام ، وبسند آخركما في شرح النهج لابن ابي الحديد عن ابي بكر الجوهري قال : فحدثني محمد بن زكريا قال : حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي قال : حدثني ابي عن الحسين بن صالح بن حي قال : حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت علي بن ابي طالب عليه السلام ، ومثل خبر كامل الزيارة لابن قولويه ، عن زائدة ، عن زين العابدين عليه السلام عن زينب عليها السلام ، عن ام ايمن ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وغير ذلك مما لا يحضرني الآن ، فان في هذا القليل الذي تيسّر لنا ذكره كفاية في انها عليها السلام كانت موثقة عند الجميع ، ومعتمدة لديهم سلام الله وصلواته عليها .

الخصيصة الخامسة عشرة
« في أنها عليها السلام كعبة الرزايا »

مرّ فيما مضى ان من ألقاب السيدة زينب عليها السلام هو لقب : « كعبة الرزايا » وتشبيهها عليها السلام في ذلك بالكعبة ـ على ما قيل ـ لاجل انه كما ان الكعبة هي قبلة المسلمين ، واليها يتوجه المصلون ، ويقصدها الزائرون من كل صوب ومكان ، فكذلك السيدة زينب عليها السلام كانت قد اصبحت قبلة المصائب والنوائب ، واليها اخذت تتوجه البلايا ، وتقصدها الرزايا من كل الجوانب والجهات ، وذلك بدءاً من خروجها في موكب اخيها الإمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله خائفين مترقبين ، ومرورها بمكة المكرمة ، وورودها بكربلاء ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، ثم عودها الى كربلاء في أربعين أخيها الإمام الحسين عليه السلام وبقية الشهداء ، وانتهاءاً برجوعها الى المدينة في موكبٍ خال من اخيها الإمام الحسين عليه السلام ومن سائر رجال بني هاشم سوىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام .

بل الاولىٰ ان يقال : انها عليها السلام كانت كالكعبة هدفاً للبلايا ، وغرضاً للرزايا ، وكانت المصائب والنوائب تنحو نحوها من كل جانب وجهة ، ابتداءاً من ولادتها عليها السلام وانتهاءاً بوفاتها وارتحالها من هذه الدنيا ، ولذلك لقّبت بلقب « المظلومة » ايضاً ، وشاركت في هذا اللقب جدها واباها ، وامها واخوتها ، وخاصة الإمام الحسين عليه السلام حيث صار هذا اللقب له عليه السلام اسماً بالغلبة ، وصار عليه السلام هو المتبادر من اطلاق لقب : المظلوم ، كما انها عليها السلام صارت هي المتبادر من اطلاق لقب : المظلومة ، هذا مع ان اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كان جميعهم مظلومين مستضعفين ، مقهورين مطاردين .

[الوحيدة في كل شيء]

وقد جاء في بعض الكتب : ان من ألقاب السيدة زينب عليها السلام لقب : « الوحيدة » ووجه هذا اللقب بالنسبة اليها عليها السلام واضح ، اذ هي عليها السلام كانت الوحيدة في كل شيء : وحيدة في فكرها واعتقادها ، ووحيدة في صفاتها وخصالها ، ووحيدة في اخلاقها وكمالها ، ووحيدة في فضائلها ومناقبها ، ووحيدة في استقامتها وثباتها ، ووحيدة في تحملها للمصائب والنوائب ، وتلقيها للبلايا والرزايا ، وبكلمة واحدة : انها نسيج فريد ، وسبيكة خاصة وخالصة ، نسجتها يد الرسالة والنبوة ، وسبكتها بوتقة الإمامة والعصمة ، واخلصتها تجارب الحياة الرسالية وما تلقته في هذا الطريق من مصائب ونوائب ، فاصبحت بذلك جديرة بلقب : الوحيدة ، وحقيقة بحمل وسام اللقب الكبير ، الذي يخرق حجب القلوب وينفذ في الأعماق ، فيلاعب الهواجس ، ويناغي العواطف ، ويهزّ المشاعر ، ويحرّك الضمائر لقبول الحق والدفاع عنه ، ونصرة المظلوم والثورة على الظالم وعلىٰ كل الطغاة والمستبدين ، الا وهو لقب : المظلومة ، وكعبة الرزايا .

الخصيصة السادسة عشرة

« في أنها عليها السلام الفصيحة البليغة »

مرّ في فصل ألقاب السيدة زينب عليها السلام : ان من ألقابها : « الفصيحة البليغة » وكانت كذلك حقاً . ولايخفىٰ : ان البلاغة والفصاحة من الكمالات النفسية ، والفضائل المعنوية ، التي ترفع قدر صاحبها ، وتكسوه جمالاً وجلالاً ، وهيبة وعظمة ، ويكفي البلاغة والفصاحة فخراً ان الله تبارك وتعالىٰ جعلها أشرف معجزات رسوله صلى الله عليه وآله بل ومعجزته الخالدة التي كتب لها الخلود الى يوم القيامة ، الاٰ وهو القرآن العظيم ، والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد .

نعم ، كانت السيدة زينب عليها السلام جديرة بهذا اللقب وحقيقة به وذلك لأُمور :

١ ـ انها عليها السلام من أهل بيت الوحي الذين نزل القرآن في بيوتهم ، فزانها كبقية أهل البيت عليهم السلام نور القرآن ، وكساها جلاله وجماله ، وفصاحته وبلاغته .

٢ ـ انها عليها السلام عقيلة بني هاشم ، وبنو هاشم سادة البطحاء ، ولباب العرب ، ومن قد خصّوا بالفصاحة والبلاغة واشتهروا بها .

٣ ـ انها عليها السلام عقيلة خدر الرسالة ، وجدها رسول الله صلى الله عليه وآله القائل : « أنا أفصح من نطق بالضاد » .

٤ ـ انها عليها السلام رضيعة ثدي الولاية ، وابوها امير المؤمنين عليه السلام القائل عن نفسه وعن فاطمة الزهراء عليها السلام بل وعن كل المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام : « وانا لأُمراء الكلام ، وفينا تنشّبت عروقه ، وعلينا تهدّلت غصونه » ـ نهج البلاغة / الخطبة ٢٣٣ ـ .

ولا عجب بعد ذلك كله ان تكون السيدة زينب عليها السلام الفصيحة البليغة ، لانها قد ورثت الفصاحة والبلاغة من معدنه وأصله ، كما ويشهد لها ما ألقته من خُطب ومواعظ ، وما قالته من شعر ونثر ، وما افصحته من مناقشات ومخاصمات ، في مجلس يزيد وابن زياد ، وأسواق الكوفة والشام ، حتى قال عنها بشر بن خزيم الأسدي : ونظرت الى زينب بنت علي عليهما السلام يومئذ ، ولم ار خفرة قط انطق منها ، كأنها تفرغ عن لسان ابيها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وقد أومأت الى الناس ان اسكتوا ، فارتدّت الانفاس ، وسكنت الأجراس ، ثم قالت : الحمد لله ، والصلاة على ابي محمد وآله الطيّبين الأخيار ... الى آخر الخطبة .

« اشارة »
[زينب عليها السلام في الكوفة]

جاء فيما قاله بشر عن السيدة زينب عليها السلام وهي في الكوفة وفي وسط جماهيرها : « بأنها أومأت الى الناس ان اسكتوا ، فارتدت الأنفاس ، وسكنت الأجراس » فما هو وجه سكوتهم مع كثرة ازدحام الناس ، وشدّة ضوضاء الجيش الفاتح ـ بتصورهم ـ وكثرة صخبهم ، وما كانوا عليه من التطبيل والتزمير ، والهتاف والشعار ؟ قد يوجّه ذلك بما يلي :

١ ـ انها عليها السلام تصرّفت فيهم تصرّفاً تكوينياً ، يعني : اعملت فيهم ما منحها الله تعالىٰ من ولاية تكوينيّة ، وقدرة ربانية ، كما تصرّف اخوها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بذلك في معسكر أهل الكوفة ، حين استنصتهم ليعظهم ويتم عليهم الحجّة فأبوا أن ينصتوا ، واخذوا يثيرون الضوضاء والشغب ، فأومأ عليه السلام اليهم ان اسكتوا واسكنوا ، فسكتوا وسكنوا حتى خيولهم ودوابّهم ، وذلك بتصرّف تكويني منه عليه السلام فيهم .

٢ ـ انها عليها السلام ـ كما في التاريخ ـ كانت تفرغ عن لسان ابيها امير المؤمنين عليه السلام

حتى ان السامع كان يظن ان المتكلم هو امير المؤمنين عليه السلام ، وحيث ان اهل الكوفة كانوا قد سمعوا كلام امير المؤمنين عليه السلام وتأثروا بخطبه البليغة ايام كان عليه السلام بين ظهرانيهم في الكوفة ثم حرموا منها ، كانوا قد اشتدّ بهم الشوق الى استماعها وخاصّة بعد طول مدّة ويأس منها ، ولذلك لما فوجئوا بصوت امير المؤمنين عليه السلام يقرع مسامعهم اقبلوا على استماعه بكل وجودهم ، فارتدت في صدورهم انفاسهم ، وسكنت عن الحركة أجسامهم ، شوقاً اليه ، وتلهفاً عليه ، ويؤيد ذلك : التأثير الشديد الذي انطبع به اهل الكوفة من استماع خطبتها عليها السلام حتى ان الراوي يقول : واذا بشيخ كبير يبكي ويقول مكرّراً : بابي انتم وامي ، كهولكم خير الكهول ، ونساؤكم خير النساء .

٣ ـ انها عليها السلام لعظيم بلاغتها ، وكبير فصاحتها ، وجميل بيانها ، وعذب لسانها ، استطاعت ان تسخّر قلوب أهل الكوفة ، وان تشل ابدانهم من الحركة ، وانفاسهم من التردد والخلجان ، وذلك حرصاً منهم على الاصغاء لها والاستماع اليها فان من البيان لسحر كما ورد في الحديث الشريف .

٤ ـ انها عليها السلام حين خطبت على اهل الكوفة كانت قد عرفت تلهّفهم الى كلامها واشتياقهم الى بيانها وانهم سيُصغون اليها للتعرف عليها ، وكذلك كان اهل الكوفة ، فانهم لما فوجئوا بدخول قافلة الأسرى مع الرؤوس والسبايا ، احبوا ان يتعرفوا عليهم وخاصة مَع ما وجّهته الهيئة الحاكمة من تهمة الخوارج اليهم ، ومَن يكون اوثق عند التعريف من الشخص نفسه ؟ ولذلك لما اومأت عليها السلام اليهم بالسكوت ، وعرفوا انها تريد بيان ما يتمنّونه ، اصغوا الى كلامها بكل وجودهم ، حتى حُبست انفاسهم ، وسكنت حركاتهم .

٥ ـ وقد يوجّه اصغاء اهل الكوفة واستماعهم اليها عليها السلام بكل الوجوه الأربعة ، ولعله هو الأوجه اذ لا منافاة بينها .

« اشارة ثانية »

[زينب عليها السلام تشبه أباها]

يقول علماء النفس : ان قاعدة الوراثة الموجودة في الأولاد ووراثتهم عن الآباء والامهات تطبع عادة الاولاد الذكور على الشباهة بالأب ، والاناث على الشباهة بالام ، لكن هذه القاعدة الوراثية لم تنطبق بالنسبة الى فاطمة الزهراء عليها السلام حيث انها عليها السلام لم تشبه امها خديجة ، وانما اشبهت اباها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قيل عنها : « كانت مشيتها مشية ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنطقها كمنطقه » .

وكذلك كانت ابنتها زينب عليها السلام فانها اشبهت اباها امير المؤمنين عليه السلام حتى قيل عنها : « كانها تفرغ عن لسان ابيها امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام » .

« اشارة ثالثة »

[زينب عليها السلام تشبه أمها]

ان زينب عليها السلام في خطبتها اشبهت امها فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها وذلك من جهات وحيثيات تالية :

١ ـ من حيث الفصاحة والبلاغة ، فانهما من هذه الحيثيّة متشابهان كاملاً .

٢ ـ من حيث الشجب والتنديد ، فانهما عليهما السلام كانا معاً في مقام الاحتجاج والمخاصمة .

٣ ـ من حيث المظلومية ، فانهما عليهما السلام كانا معاً مظلومتين ، وبخطبتهما اثبتا للتاريخ والأجيال مظلوميتهما .

٤ ـ من حيث احقاق الحق واتمامه ، وابطال الباطل وكشفه ، فالخطبتان معاً متشابهتان في اظهار نفاق المنافقين وابطال مزاعم الذين صادروا الخلافة وغصبوا الحق الشرعي الذي جعله الله تعالىٰ للائمة من أهل البيت عليهم السلام .

[خطبة زينب عليها السلام في الملأ الأعلىٰ]

جاء في كشكول العالم الجليل، والثقة النبيل، والمحدّث الفقيه، صاحب التصانيف الكثيرة، والتآليف المنيفة، مولانا ابو الحسن الحاج الشيخ محمد باقر القائيني صاحب كتاب: «الكبريت الأحمر» القصة التالية قائلاً: «عندما كنت مشتغلاً بتحصيل العلوم الحوزويّة في العتبات المقدسة تعرّفت علىٰ احد السادة المتديّنين هناك، فاتفق له ان تشرّف يوماً الىٰ الروضة المباركة للزيارة، فجاء أحد الزائرين وكان من الأتراك الى الحرم المطهّر واتجه نحو الرأس الشريف واخذ مصحفاً واشتغل بتلاوة القرآن الكريم، فلما رآه ذلك السيد قال في نفسه مخاطباً لها ومعتباً عليها: ليس من الانصاف ان يكون مثل هذا يتلو القرآن وأنت سيد ومن ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بالقرآن من عند الله تعالىٰ، وتبقىٰ محروماً من بركات القرآن.

ثم عزم على تخصيص قسم من وقته للاشتغال بتحصيل العلوم الحوزويّة، وكان في القسم الثاني يكتسب لتأمين معاشه، فلم يمض عليه الا زمان يسير حتى نال ببركة آبائه واجداده الكرام المراتب العلمية العالية، وأخذ يحضر اخيراً بحث آية الله العظمىٰ الميرزا محمد حسن الشيرازي ـ صاحب قصة التنباك، المعروف بالميرزا الشيرازي الكبير ـ بل واصبح ممن يحتمل اجتهاده، اضافة الى ما اشتهر به من الفضل والتقوىٰ، والزهادة والعبادة، فكان من شأنه ان قصّ لي ذات مرّة: بانه رأىٰ في المنام امامنا المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف وهو كئيب حزين، مغبر مشعث، يقول السيد: فتقدمت اليه وسلمت عليه «صلوات الله وسلامه عليه» وسألته عن حاله وعن سبب حزنه وكآبته؟ فقال عليه السلام بعد ان ردّ عليَّ جواب السلام: اعلم ان هذا اليوم هو يوم وفاة عمتي زينب عليها السلام، وفي هذا اليوم من كل سنة تعقد الملائكة في السماوات العلىٰ مجلساً تأبينياً على روح عمتي زينب عليها السلام وتقرأ خطبتها عليها السلام التي القتها على أهل الكوفة، وتبكي وتنوح على

مصائبها ويشتد بكاؤها ولا تهدأ حتى اذهب اليهم واسلّيهم ، واكفّهم عن البكاء ، وانا ارجع الآن من ذلك المجلس ، فان هذا اليوم هو يوم وفاة عمتي زينب عليها السلام ، قال صاحب كتاب : « الكبريت الأحمر » في كشكوله المسمّىٰ بـ: سفينة القماش : لقد ذكر لي السيد المذكور تاريخ ذلك اليوم ولكني مع الأسف لم احفظه ، ثم ختم قصته بقوله : الا لعنة الله على القوم الظالمين .

[زينب عليها السلام وريثة الفصاحة والبلاغة]

وكيف كان : فان فصاحة السيدة زينب عليها السلام وبلاغتها هو أظهر من الشمس ، وابين من الامس ، وقد شهد لها العدو بذلك « والفضل ما شهدت به الأعداء » فان ابن زياد لما أراد ان يتشمّت بها في كلامه لها ، حاججته زينب عليها السلام وخاصمته ، وألقمته حجراً واسكتته ، وما كان من ابن زياد في جوابها ـ لما رأىٰ انه لا يتمكن من قتلها ـ الا ان قال : هي سجّاعة ، ولقد أجاد العلامة الميرزا محمد علي الاوردبادي حيث قال :

وعن الوصي بلاغة خصّت بها ... اعيت برونقها البليغ الاخطبا
ما استرسلت الا وتحسب انّها ... تستل من غرر الخطابة مقضبا
او أنها اليزنيّ في يد باسل ... اخلا به ظهراً وأوهىٰ منكبا
او أنها تقتاد منها فيلقاً ... وتسوق من زمر الحقائق موكبا
او أن في غاب الامامة لبوة ... لزئيرها عنت الوجوه تهيّبا
او أنها البحر الخضم تلاطمت ... امواجه علماً حجىٰ بأساً ابا
او أن من غضب الاله صواعقاً ... لم تلف عنها آل حربٍ مهربا
او أن حيدرةً على صَهواتها ... يفني كراديس الضلال ثباثبا
او أنه ضمّته ذروة منبرٍ ... فأنار نهجاً للشريعة ألحبا
او أن في اللأوىٰ عقيلة هاشم ... قد فرقت شمل العمىٰ أيدي سبا

الخصيصة السابعة عشرة
« في كونها عليها السلام الشجاعة »

كان من ألقاب السيدة زينب عليها السلام على ما سبق : « الشجاعة » ومن المعلوم ان الشجاعة هي من الملكات الاخلاقية الشريفة ، والصفات الانسانية العالية ، وهي من صفات الأنبياء ، والمراد بها : قوة القلب ، واذا كان القلب قوياً سرت القوة منه الى بقية الأعضاء والجوارح ، وهي نوعاً ما من الصفات الاكتسابية التي يحصل عليها الاوحدي من الناس بالوراثة ، او بالتمرين والممارسة ، او التلقين والايحاء النفسي ، ولها فوائد جمة ، وفضائل كثيرة لا تحصىٰ ، وقد زخرت بها الروايات والأخبار الكريمة مدحاً لها وثناءاً عليها .

ثم ان الله تبارك وتعالىٰ قد جعل لنبيه صلى الله عليه وآله الحظّ الأوفر من الشجاعة ، وكذلك لوصي نبيه امير المؤمنين عليه السلام ، غير ان شجاعة رسول الله صلى الله عليه وآله انتقلت بالوراثة الى سبطه الأصغر خامس اصحاب الكساء الإمام الحسين عليه السلام ، وشجاعة امير المؤمنين عليه السلام الى ابنته عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام . ومواقفها البطوليّة والشجاعة في طول ايام نهضة أخيها الإمام الحسين عليه السلام وايام الأسر والسبي خير شاهد على ذلك ، ونحن نشير الى موارد منها :

١ ـ دخولها عليها السلام ساحة الحرب في كربلاء عدّة مرات لمهمّات اخلاقية ، وواجبات انسانية ، كالتي تداركت به اخاها الإمام الحسين عليه السلام عندما وقف على نعش ولده علي الأكبر عليه السلام الشاب الذي كان اشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وكاد الإمام الحسين عليه السلام لولا ان رأىٰ اخته زينب عليها السلام وسط المعركة وهي

تنادي : وا ولداه وا علياه ان تفارق روحه الدنيا اشفاقاً على ولده ، ومعلوم : ان دخول ساحة الحرب وفي وسط المعركة وذلك لامرأة بحاجة الى شجاعة كبيرة وشهامة عالية .

٢ ـ قبولها عليها السلام مسؤولية الأهل والعيال ، والنساء والأطفال ، وتكفّلها لهم حالة السبي والأسر ، مع كثرة الأعداء ، وشدة قساوتهم وصلافتهم ، دليل على شجاعتها عليها السلام وشهامتها الفائقتين .

٣ ـ حمايتها عليها السلام عن ابن اخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وذلك عندما هجم عسكر ابن زياد على مخيّم الإمام الحسين عليه السلام بعد الظهر من يوم عاشوراء للسلب والنهب ، ولقتل آخر من يجدونه من الرجال ، فلما رأوا السجاد عليه السلام وهو عليل ارادوا قتله ولم يراعوا علته ومرضه ، فحالت زينب عليها السلام وبشجاعة فائقة دونهم ودون ما يريدون ، حتى خلّصته من القتل ، وانقذته من الموت ، كما وحالت بينه عليه السلام وبين القتل في مجلس ابن زياد عندما همّ ابن زياد بقتله ، وفي مجلس يزيد عندما عزم يزيد على الفتك به ، ولولا الشجاعة الحيدريّة ، والبسالة الهاشميّة التي ورثتها زينب عليها السلام عن جدها وابيها لما استطاعت مجابهة طغاة عصرها ، وجناة دهرها من امثال يزيد وابن زياد .

« اشارة »
[مواقف متشابهة]

لقد اشبهت السيدة زينب عليها السلام في موقفها الدفاعي الشجاع عن ابن اخيها الإمام زين العابدين عليه السلام حتى حالت بينه وبين القتل ، موقف امها فاطمة الزهراء عليها السلام الشجاع عن ابن عمها الإمام امير المؤمنين عليه السلام وذلك حين داهم متقمصوا الخلافة عليها البيت يريدون اخراج علي عليه السلام الى البيعة ، فان فاطمة عليها السلام لما ان افاقت من الصدمات التي اوردها عليها متقمصوا الخلافة وغاصبوا فدك ولم تر علياً عليه السلام في

البيت سألت عنه ، فقيل لها : انهم قد اخرجوه حاسراً مكشوف الرأس واخذوه نحو المسجد قهراً للبيعة ، فلحقته عليها السلام مع ما كان بها من آلام وسقام وتعلقت بـه وهـي تصرخ بهم وتقول : اني لا ادعكم تأخذوا ابن عمي على هذه الحالة الى المسجد ، وكلما حاولوا ان يفرقوا بينهما لم يقدروا على ذلك ، حتى سوّدوا متنها عليها السلام بضرب السياط وغمد السيف ، وفرقوا بذلك بينها وبينه عليه السلام وقادوه قهراً نحو المسجد للبيعة.

نعم ، هكذا عاملوا بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يراعوا فيها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرة ما اوصاهم بها ، وعظيم ما حثّهم عليه من اكرامها ومودتها « فان المرء يحفظ في ولده » وتناسوا فيها كل ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حقٍّ عليهم ، وسنّوا في حقها وفي حق اهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم سنن الجور والظلم ، والتعدي والخذلان ، حتى سرىٰ ذلك منهم الى الأجيال من بعدهم ، ففي المدينة اضرموا بيت النبوة بالنار وضربوا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وقتلوا جنينها محسناً وقادوا الإمام علياً عليه السلام للبيعة قـهراً ، وفـي كربلاء أضرموا النار في مخيم آل النبوة ، وضربوا السيّدة زينب عليها السلام وقتلوا اخـاها الإمام الحسين عليه السلام وقادوا ابن اخيها الإمام زين العابدين عليه السلام مع النسـاء والأطـفال سبايا الى ابن زياد ومنها الى يزيد في الشام ، هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

الخصيصة الثامنة عشرة

« في أنها عليها السلام العابدة »

سبق في ألقاب السيدة زينب عليها السلام : ان من ألقابها : « العابدة » علماً بان من أسرار تشريع العبادة وعللها : الشكر لله تعالىٰ على نعمه الكثيرة التي لا تحصىٰ ، ومواهبه العظيمة التي لا تعدّ ولا تدرك عظمتها .

هذا والعقل أيضاً يستقل في الحكم بوجوب شكر المنعم على كل فرد من افراد البشر ، ويحتّم عليه القيام بوظائف العبودية لله تعالىٰ ، والطاعة له ، والتسليم اليه ، والعمل بما يرضيه ، والابتعاد عما يسخطه ويغضبه ، وذلك لان الله تعالىٰ هو المنعم المطلق الذي خلق الانسان بقدرته ، ومنحه نعمة الوجود بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً ، ورزقه من النعم ما لا يعدّ ولا يحصىٰ ، فهو تعالىٰ أهل لأن يُعبد ، وانما يعبده الاحرار لانه اهل للعبادة كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « عبتدك لاني وجدتك اهلاً للعبادة وتلك هي عبادة الأحرار » .

[العبودية لله تعالىٰ تحرّر]

نعم ، بالعبودية لله تعالىٰ يتحرر الانسان من عبودية ما سوىٰ الله ، كما ان بالعبودية لله تعالىٰ ينال الانسان المقامات الرفيعة والجاه العظيم عند الله سبحانه ، وقد مدح الله تعالىٰ سيد انبيائه وخاتم رسله بالعبودية له ، وامرنا ان نشهد له صلى الله عليه وآله في التشهد من كل صلاة بذلك ونقول بعد التشهد له تعالى بالوحدانية : « وأشهد ان محمداً عبده ورسوله » وذلك بتقديم مقام عبوديته صلى الله عليه وآله لله تعالىٰ على مقام رسالته

ونبوته ، مما يكشف عن ان مقام العبودية لله تعالىٰ لها الرتبة الاولى من بين سائر المقامات الرفيعة الاخرىٰ ، وان كل من نال عند الله درجة رفيعة ومقاماً كبيراً فبفضل العبودية لله تعالىٰ ، وانّ مقمام كل مقرّب عند الله يكون بقدر عبوديته وعبادته لله تعالىٰ ، والسيدة زينب عليها السلام كانت قد وقفت نفسها لله تعالىٰ ، وصرفت عمرها في طاعة الله وعبادته ، واحسّت بوجودها برد العبودية لله تعالىٰ ولذته ، حتى انه قيل : ان اخاها الإمام الحسين عليه السلام كان قد قال لها في جملة وصاياه لها في وداعه الأخير من يوم عاشوراء : « يا اختاه لا تنسيني في نافلة الليل » كما ذكر ذلك العالم الجليل والفاضل النبيل شيخنا الموثّق الشيخ محمد باقر صاحب كتاب « الكبريت الأحمر » في بعض تأليفاته نقلاً عن بعض المقاتل المعتبرة ، وذكر عن الإمام زين العابدين عليه السلام حديثاً مفصلاً ايضاً خلاصته : ان عمته السيدة زينب عليها السلام كان لا يفوتها في طول السبي والأسر نافلة الليل ، بل كانت تصليه باقبال مع ما جرىٰ عليها من المصائب والرزايا ، ومع ماكان عليها من حفظ العيال والأطفال ، فحقاً لزينب عليها السلام اذن ان تكون هي « العابدة » وان تحظىٰ بهذا اللقب الكريم ، وتشارك ابن اخيها الإمام زين العابدين عليه السلام فيه .

الخصيصة التاسعة عشرة

« في كونها عليها السلام الباكية »

كان فيما ذكرنا في فصل الألقاب سابقاً : ان من ألقاب السيدة زينب عليها السلام هو لقب : « الباكية » والبكاء من خوف الله تعالىٰ وفي مصائب رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هو اشرف العبادات بعد الفرائض والواجبات وقد ذكرت الروايات والأخبار ثواباً كبيراً واجراً جزيلاً للباكي من خوف الله تعالىٰ ، وكذلك للباكي على مصائب رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام المظلومين ، كما وذكرت الروايات كراهة البكاء في غير هذين الموردين وندّدت بالباكي فيهما .

ويكفي للبكاء من خوف الله ثواباً واجراً قوله عليه السلام : « كل عين باكية يوم القيامة الا عين بكت من خشية الله » وكذلك قول الإمام الحسين عليه السلام : « ان في القيامة لعقبة لا يجوزها الا البكّاؤن من خشية الله » .

واما البكاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فقد وردت فيه روايات كثيرة وبعناوين مختلفة ، فبعض منها ورد عاماً وبعنوان مطلق البكاء في مصائب الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، وبعضها الآخر ورد خاصاً وبعنوان كل واحد من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ، وكثير منها ورد بعنوان البكاء على غريب كربلاء واسير الكربات ، المظلوم العطشان الإمام الحسين عليه السلام .

[البكاء في الروايات]

والذي يلفت النظر في هذه الروايات الواردة في البكاء بصورة عامة هو :

اهتمامها الكبير بفضل البكاء وبيان ماله من أجر وثواب عند الله تبارك وتعالىٰ، مما يكشف عن ان البكاء هو افضل الطاعات، واشرف القربات الى الله تعالىٰ.

ويؤيد ذلك: ان لكل طاعة وعبادة وردت الروايات بها اجزاء وشرائط، بحيث لو نقص جزء منها او اختل شرط فيها، انتفىٰ منها الغرض المقصود، وزال عنها الهدف المنشود، ما عدا هذه الطاعة الجليلة والعبادة الشريفة الأ وهي البكاء في مصائب الرسول صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام وخاصة سبطه المظلوم الإمام الحسين عليه السلام، فانها بسيطة ليس لها اجزاء او شرائط، وسهلة ليس فيها مشقّة وتكليف، ومقبولة من كل احد بلا مانع ولا رادع، ومهما كان دينه ومذهبه وفكره ومعتقده، ومتدرجة من حيث الأجر والثواب، فلكل مرتبة من مراتب البكاء ثواب خاص وأجر معيّن، واقل مراتبه هو التباكي وهو: ان يتشبّه الانسان الذي لا تأتيه العبرة ولا تعتريه حالة البكاء بالانسان الباكي، وثواب هذا الانسان المتباكي هو الجنة، فكيف بغيره؟ قال عليه السلام: «من بكىٰ، او أبكىٰ، أو تباكىٰ، وجبت له الجنّة» وقريب من هذا المضمون جاء فيما كلّم الله تعالىٰ به موسىٰ بن عمران على نبيّنا وآله وعليه السلام، وهو يحدثه عمّا يجري من الظلم على سبط نبي آخر الزمان الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مما يكشف عن أن البكاء هذا هو افضل الطاعات والعبادات، وأشرف القربات الى الله تعالىٰ الذي اقل مراتب الثواب عليه هو الجنة.

[هل السيدة زينب عليها السلام من البكّائين؟]

والسيدة زينب عليها السلام قد شابهت امها فاطمة عليها السلام من حيث البكاء، وشاركتها في ذلك من وجهين:

١ ـ بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام من خوف الله تعالىٰ فانها عليها السلام بكت من خشيته تعالىٰ بكاءً كثيراً وسخت بدمعها من خوفه سبحانه دمعاً غزيراً، حتى ملأت منه قارورة لها، ثم اوصت امير المؤمنين عليه السلام ان يدفن معها تلك القارورة المملوءة من

دموعها والتي اهرقتها من خوف الله سبحانه وتعالىٰ في ظلم الليل وغياهب الأسحار ، وكذلك كانت زينب عليها السلام في البكاء من خوف الله عزّوجلّ .

٢ ـ بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده بكاءاً مراً ، وحزنها عليه حزناً شديداً ، حتى قيل عنها : « فما زالت بعد أبيها معصّبة الرأس ، باكية العين ، ناحلة الجسم » ولما دخلت عليها ام سلمة تعودها وقالت لها : كيف اصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله ؟ اجابتها قائلة : « اصبحت بين كمد وكرب : فقد النبي ، وظلم الوصي ، هتك والله حجابه من اصبحت امامته مقبضة على غير ما شرع الله في التنزيل ، وسنّها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل ، ولكنها احقاد بدرية ، وترات أُحدية ، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة ... الى آخره الخبر » ـ البحار / ج٤٣ / ص٦ ـ ١٥٧ / ح٥ ـ .

كما انها عليها السلام بكت على ولدها ابي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في غير موقف ، منها : لما حملت به ، ومنها : عند ولادته ، ومنها : غير ذلك .

وكذلك كانت زينب عليها السلام في البكاء على أخيها الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته ، حتى قال عنها الفاضل الكامل ، الحاج الشيخ محمد حسين الملقّب بضياء الدين وهو يصف بكاءها عليها السلام في قصيدته الزينبيّة قائلاً :

فوالله ما انسىٰ الحسين مُضرّجاً وبين يديه زينب وهي تندب
أخي يا أخي انت ابن امي على الثرىٰ لعمرك هذا في العجائب اعجب
اخي كيف لا ابكي دماً بمدامعي وجثمانك المجروح بالدم يشخب

[حديث ابن شبيب]

وهنا لا بأس بذكر بعض ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام وهو « مصباح الهدىٰ وسفينة النجاة » من البكاء عليه واقامة مجالس العزاء واحياء الشعائر الحسينيّة وذلك في حديث معتبر رويته باسنادي ، عن مشايخي ، عن ريان بن شبيب قال : « دخلت على الإمام الرضا عليه السلام اول يوم من المحرم ، فقال لي : يابن شبيب اصائم انت ؟

فقلت : لا ، فقال : ان هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عزّوجلّ فقال : ﴿ رب هب لي من لندك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ﴾ فاستجاب الله له ، وأمر الملائكة فنادت زكريا : ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيىٰ ﴾ فمن صام في هذا اليوم ثم دعا الله عزّوجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكريا .

ثم قال : يابن شبيب ان المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضىٰ يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته ، فما عرفت هذه الامة حرمة شهرها ، ولا حرمة نبيها ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه ، وانتهبوا ثقله ، فلا غفر الله لهم ذلك ابداً .

يابن شبيب ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه ، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ، ولقد نزل الى الأرض من الملائكة اربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل ، فهم عند قبره شعث غبر الى ان يقوم القائم عليه السلام فيكونون من انصاره وشعارهم : يا لثارات الحسين عليه السلام .

يابن شبيب لقد حدثني ابي عن ابيه ، عن جده عليهم السلام انه لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه امطرت السماء دماً وتراباً أحمر .

يابن شبيب ان بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خدّيك ، غفر الله لك كل ذنب اذنبته صغيراً كان او كبيراً ، قليلاً كان او كثيراً .

يابن شبيب ان سرّك ان تلقىٰ الله عزّوجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام .

يابن شبيب ان سرّك ان تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين .

يابن شبيب ان سرّك ان يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليهما السلام فقل متى ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

يابن شبيب ان سرّك ان تكون معنا في الدرجات العلىٰ من الجنان ، فاحزن

لحزننا ، وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا ، فلو ان رجلاً احب حجراً لحشره الله عزّوجلّ معه يوم القيامة ».

وهذا الحديث الشريف يتضمن مطالب مهمّة وشريفة تستدعي الوقوف عندها والتأمل فيها ، غير أن التكلم حولها جميعاً يستلزم التفصيل والتطويل ، ورعاية للاختصار نشير الى بعضها باختزال ، فان « ما لا يدرك كله لا يترك كله » والمطالب هي عبارة عما يلي :

[محرم شهر الإمام الحسين عليه السلام]

المطلب الأول : الاشارة الى حرمة شهر محرم الحرام ، واختصاص هذا الشهر بالإمام الحسين عليه السلام وانتسابه اليه ، وانه شهر الإمام الحسين عليه السلام كما ان شهر رمضان شهر الله تعالىٰ ، فان شهر محرم لاختصاصه بالإمام الحسين عليه السلام ميّزه الله تعالىٰ من بين الشهور بميّزات كثيرة ، وخصّه بخصوصيات وفيرة ، كما خص شهر رمضان وميّزه من بين الشهور :

منها : انه من الأشهر الحُرم ، حيث تضاعف فيه الحسنات ، وكذلك تكون فيه السيئات مضاعفة فيه ، وتشتد فيه الحدود والتعزيرات ، وتعظم فيه الحقوق والديات ، وكانت الجاهلية تحترم هذا الشهر وتمتنع لحرمته عن القتل والنهب ، والإغارة والحرب .

ومنها : استحباب الصيام في الأيام الثمانية الاولىٰ منه ، واستجابة دعاء الصائمين فيها ، كما استجاب الله لزكريا ووهب له يحيىٰ ، وكراهة صوم يوم التاسع وخصوصاً صوم يوم العاشر منه ، بل استجاب الامساك في اليوم العاشر منه لكن لا بعنوان الصوم بل مجرد الامساك الى ما بعد العصر من يوم عاشوراء ، ثم الافطار بعد العصر بطعام أهل العزاء والمصيبة وذلك بشيء يسير من الماء او الحليب او اللبن الرائب ، او ما اشبه ذلك ، تأسياً بالإمام الحسين عليه السلام واصحابه وأهل بيته الذين قتلوا

جائعين عطاشا، مظلومين مقهورين، وقد اصابهم ما اصابهم، لانهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وعبدوا الله وحده، ورغبوا عن عبادة الطواغيت من امثال يزيد وعبيدالله بن زياد.

ومنها: وقوع المصيبة الكبرىٰ، والرزية العظمىٰ، والفاجعة الأليمة، التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ الغابر، ولم يأت لها نظير في الزمان المستقبل والحاضر، ألا وهي شهادة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام في العاشر منه: وشهادة اصحابه وأهل بيته الذين لم يكن لهم شبيه على وجه الأرض، وعلى اثر هذه الشهادة المفجعة في هذا الشهر الحرام، لبس أهل السماء وسكانها، وأهل الجنان وخزانها، وكل ما في السماوات والأرض، ابراد العزاء، وجلباب المصاب، حيث يعم كل محرّم في كل عام اهل الأرض أمواج الحزن والأسىٰ، ويملأ قلوبهم هماً وغماً، وجوى وحرارة لن تبرد ابداً، وكيف لا يكون كذلك والإمام الحسين عليه السلام نور الله الذي لم يطفأ ولا يطفأ ابداً، ووجه الله الذي لم يهلك ولا يهلك ابداً.

[الشبه بين الشهرين]

ثم ان لشهر محرم الحرام شبه كبير بشهر رمضان المبارك، وذلك من جهات عديدة:

فلشهر رمضان اسامي متعددة، مثل: شهر الله، وشهر الصيام، وشهر الغفران والعتق من النيران، ولمحرم ايضاً اسماء متعددة، مثل: شهر الحسين عليه السلام، وشهر العزاء، وشهر الحزن والبكاء، وشهر الشفاعة والوساطة الى الله تعالىٰ.

وشهر رمضان شهر دعي الناس فيه الى ضيافة الله تعالىٰ، والقائمون بدعوة الناس الى رحمة الله الواسعة، هم الملائكة المقربون من كل صوب ومكان، وشهر محرم شهر دعي الناس فيه الى عزاء الإمام الحسين عليه السلام واقامة الشعائر الحسينية

والبكاء والتباكي ، والقائمون بهذه الدعوة المقدسة ، الى هـذه الضـيافة الحسـينيّة الواسعة والشاملة هم عبارة عما يلي :

[اول المعزّين والداعين]

١ ـ الله تبارك وتعالىٰ ، فان الله تعالىٰ هو أول من دعىٰ الى هذه الضيافة ، وذلك في كل العوالم الطولية والعرضية ، وعـالم الأرواح والمـثال ، وقـد جـاء ذلك فـي الأحاديث والروايات الشريفة ، كما في قصة وحيه الىٰ آدم عليه السلام ومناجاته مع موسى بن عمران عليه السلام ، وغير ذلك .

[ثاني المعزّين]

٢ ـ جميع الملائكة المقرّبين ، فان الملائكة هم السبّاقون بعد الله تبارك وتعالىٰ في مجال اقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام والدعوة الى ضيافته عليه السلام من ابـتداء الخلق والتكوين ، حتى انتهاء هذا لكون والعالم وقيام القيامة والحساب .

[ثالث المعزّين]

٣ ـ جميع الأنبياء والمرسلين ، فان الأنبياء والمرسلين كانوا هم السبّاقون بعد الملائكة في اقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام والدعوة الى ضيافته عليه السلام ، كما انهم عليهم السلام كانوا يتضرّعون الى الله تعالىٰ ويسألونه ان يجعل لهم نصيباً من مصابه ، وان يشرّكهم في عزائه ، مواساة له ، واقتداءاً به ، وقد استجاب الله تعالىٰ لهم ، كـما فـي قـصة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقصة زكريا عليه السلام ، وغير ذلك .

[رابع المعزّين والداعين]

٤ ـ خصوص نبينا صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، واشرف سفراء الله

المقرّبين ، وخيرة خلق الله اجمعين من الأولين والآخرين محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله أجمعين ، فانه كان من المقيمين لعزاء هذا الإمام المظلوم ، ومن الداعين الى ضيافته عليه السلام من قبل ولادة هذا الإمام الشهيد ، وحتى ارتحاله صلى الله عليه وآله من هذه الدنيا ، وكذلك كان وصيّه امير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وهكذا كانت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وكذلك كان سبط رسول الله الأكبر الإمام المجتبىٰ عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام مدىٰ حياتهم ، وايام عمرهم الشريف .

[خامس المعزّين]

٥ ـ خصوص السيدة زينب عليها السلام ـ صاحبة هذا الكتاب والمبحوث عنها فيه ـ فانها عليها السلام كانت من المقيمين لمجالس العزاء على أخيها الشهيد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام ومن الداعين الى ضيافته عليه السلام ، وذلك في كل زمان ومكان ، عند ورودها الى كربلاء وخاصة بعد شهادة اخيها الإمام الحسين عليه السلام ، وعند دخولها الكوفة وعلى رؤس الأشهاد وخاصة في مجلس ابن زياد ، وعلى أبواب دمشق الشام وخاصة في حفل يزيد وعلى الأخص في خرابة الشام ، وعند رجوعها من الأسر الى كربلاء واقامة ذكرىٰ الأربعين على أخيها الشهيد الإمام الحسين عليه السلام ، ثم على مشارف مدينة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حرم جدها وروضته صلى الله عليه وآله وفي بيتها عليها السلام ، وبكلمة واحدة في كل عمرها وايام بقائها بعد اخيها الإمام الحسين عليه السلام ، وذلك اينما حلّت ونزلت : فانها كانت المقيمة لعزائه عليه السلام والداعية اليه .

[سادس المعزّين والداعين]

٦ ـ الإمام الحسين عليه السلام نفسه ، فانه عليه السلام كان كما اراده الله تعالىٰ مقيماً للعزاء مشيراً الى مظلوميّته ، وملوّحاً بشهادته ، وداعياً الى ضيافته بدعوات مختلفة وفي

مناسبات شتىٰ ، وأمكنة متعددة ، ففي عالم المثال ، وفي هذا العالم ، وفي زمان جده رسول الله ﷺ وابيه أمير المؤمنين عليه السلام وامه فاطمة الزهراء عليها السلام وأخيه الإمام الحسن عليه السلام ، وبعد زمانهم عليهم السلام وفي مرات عديدة ، وخاصة عند خروجه من مكة المكرمة ، وفي المنازل التي مر بها في طريقه الى الكوفة ، وحتى وروده عليه السلام الى كربلاء ، وعلى الأخص في يوم عاشوراء وذلك بصور مختلفة ، ووجوه شتّىٰ ، فتارة عن طريق القاء الخطب والمحاضرات ، واخرىٰ عن طريق الموعظة والارشاد ، وثالثة عن طريق التظلم والاستنصار ، ورابعة عن طريقة المجابهة والدفاع ، وخامسة عن طريق توجيه رسالة الى التاريخ والأجيال ، وتخليد توصيته الى محبيه وشيعته الى أبد الآباد ، كما جاء في بعض رسائله ووصاياه عليه السلام ، ومثل ما روى عنه عليه السلام من قوله :

شيعتي مهما شربتم ماء عذبٍ فاذكروني
أو سمعتم بشهيدٍ أو غريبٍ فاندبوني
وأنا السبط الذي من غير جرمٍ قتلوني
وبجُرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعاً تنظروني
كيف استسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني

[سابع المعزّين]

٧ ـ ثوب الإمام الحسين عليه السلام المسلوب ، وهو الثوب العتيق المخرّق ، الذي لبسه الامام الحسين عليه السلام تحت ثيابه لئلا يرغب فيه أحد ، فلا يُسلب منه ، ولكنه سُلب أيضاً ، فان هذا الثوب لمّا عُرض على جماهير الكوفة وجماهير الشام والمدينة ذكّرهم بعظم المصاب ، ودعاهم للانضمام الى امامهم والانتصار له ، مما ضجّ الناس له بالبكاء والعويل ، واظهروا من انفسهم الجزع والفزع ، وفي الروايات انّ الملائكة تعرض هذا الثوب على هذا العالم ليلة اول محرّم الحرام من كل عام وذلك بأمر من

الله تعالىٰ ، فيُدلىٰ من طرف العرش باتجاه الأرض ، فيعم على اثره الحزن والأسىٰ كل هذا العالم ، ويتسلّل الهم والغم الى قلوب اهل العالم وخاصة قلوب المؤمنين ، ويبقىٰ كل العالم في بؤس واضطراب ، وحزن واسىٰ ، ويبلغ قمته في يوم عاشوراء حيث يرفع الثوب بعده ، وهذا مما يدل على ان قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية عادية كبقية القضايا الطبيعية ، وانما هي قضية استثنائية مرتبطة بالسماء ، وان حاميها والمروّج لها هو الله تعالىٰ ، فهي اذن ابدية رغم كيد الكائدين ، وخالدة فوق عناد المعاندين ، الذين يحاولون طمس آثار عاشوراء ، ويسعون للقضاء عليه .

[ثامن المعزّين والداعين]

٨ ـ وبكلمة واحدة : كل العوالم العلوية والسفلية ، وعالم الأجسام والأجرام ، وعالم الكون والمكان ، وأهل الأرض والسماء ، والعوالم الطولية والعرضيّة ، كلها وكلها من المقيمين لعزاء الإمام الحسين عليه السلام والداعين اليه ، وتفصيله مما يطيل علينا المقام ، فنتركه رعاية للإختصار .

[وجوه شبه اخرىٰ]

ثم ان شهر رمضان شهر فيه يستجاب الدعاء ، وكذلك شهر محرم الحرام فانه شهر فيه يستجاب الدعاء ، كما استجاب الله تعالىٰ لنبيه زكريا حين صام اليوم الأول من هذا الشهر الحرام ودعا ربه يطلب منه الولد والعقب ، فاستجاب الله تعالىٰ له ووهب له يحيىٰ ، وذلك كما في اول الخبر المروي عن ابن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام .

وشهر رمضان ـ كما في الحديث ـ جُعل النوم فيه عبادة والنفس الذي يتنفسه الصائم فيه تسبيح ، وكذلك شهر محرم الحرام شهر الإمام الحسين عليه السلام فان نفس المهموم فيه لظلمهم تسبيح ، والهمّ لهم عبادة .

وشهر رمضان ربيع القرآن ، وشهر القيام والصيام ، وكذلك شهر محرم الحرام فانه ربيع البكاء والعزاء ، وشهر القيام والصيام ايضاً ، وانما يكون محرم الحرام شهر القيام والصيام لما يلي :

١ ـ لأن الإمام الحسين عليه السلام قام فيه قياماً لم يسبق له مثيل ، وصام فيه الصوم الحقيقي الذي لم يصمه احد من الأولين والآخرين ، فان صومه ذلك انتج بقاء حكم الصوم مستمراً ، وأثمر كون دين الله محفوظاً الى قيام يوم الدين ، فلقد قام في سبيل الله محتسباً ، وكفّ نفسه عن كل المفطرات المادية وغير المادية ، وغض طرفه عن كل العلائق والروابط ـ غير علاقته ورابطته بالله تعالىٰ ـ فانه عليه السلام قام لله ، وصام عن حب غير الله تبارك وتعالىٰ ، ولذلك قدّم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرابين لله تبارك وتعالىٰ .

٢ ـ لأن ذرية الإمام الحسين عليه السلام والأئمة التسعة من بنيه وكذلك أهل بيته عليهم السلام وهكذا كل محبيهم وشيعتهم يقومون في هذا الشهر لله تبارك وتعالىٰ باقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام والبكاء والحزن عليه ، ويصومون عن جميع المفطرات من ملاذّ الحياة ومباهجها .

٣ ـ لأن كل العالم بما فيه ـ من ملك وجن ، وحيوان ونبات ،وبر وبحر ، وأرض وسماء ، وأجسام وأجرام ، وذلك حسب روايات كثيرة ـ يقوم لله عزّوجلّ في هذا الشهر باظهار الحزن والأسىٰ على الإمام الحسين عليه السلام ويصومون عن الابتهاج والفرح حزناً على سبط الرسول صلى الله عليه وآله الشهيد بكربلاء .

[ليلة عاشوراء]

ان في شهر رمضان ليلة عظيمة هي ليلة القدر ، حيث يكون التعبد لله تعالىٰ فيها خيراً من عبادة ألف شهر ، وخيراً من سلطنة بني امية التي دامت الف شهر ، وكذلك في شهر محرم ليلة عظيمة هزّت اركان الكون ، وزلزلت دعائم الظلم ،

وسببت انهيار سلطنة بني امية الغاشمة بعد استمرارها الف شهر، وكما ان احياء ليلة القدر بالعبادة يفوق عبادة الف شهر، فكذلك احياء ليلة عاشوراء بالنياحة على سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والبكاء على مصاب سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام يفوق أجره اجر ليلة القدر، بل ان أجر من يشرب جرعة من الماء ويتذكر عنده عطش ابي عبدالله عليه السلام يفوق اجر ليلة القدر، وذلك على ما في رواية مسمع المشهورة.

ان شهر رمضان ـ كما في الحديث ـ شهر يفتح فيه للصائمين والقائمين ابواب الجنان، ويغلق فيه ابواب النيران، وكذلك شهر محرم الحرام، شهر الإمام الحسين عليه السلام شهر يفتح فيه ابواب الجنان للمتوسلين به عليه السلام والمقيمين مجالس العزاء والحداد عليه عليه السلام، ويغلق في وجوههم ابواب النيران، بل وتُطفأ جهنم لهم، فان في الحديث الشريف: قطرة من الدمع في مصاب الإمام الحسين عليه السلام تطفئ بحوراً من النيران.

[مقارنة بين بني امية والجاهلية]

المطلب الثاني: من مطالب حديث ابن شبيب الذي يجدر الاشارة اليه هو: ان الحديث يحاول الالفات الى الفرق الشاسع الموجود بين شقاء الجاهلية قبل الاسلام وشقاء بني امية بعد الاسلام مع اظهارهم التديّن به، وذلك في مقارنة يجريه الحديث الشريف بينهما حيث يقول: « يابن شبيب ان المحرم هو الشهر الذي كان اهل الجاهلية فيما مضئ يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الامة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله » نعم ان الجاهلية على ما عرفت به من الفضاضة والجفاء، والوحشية والبربرية، كانت تراعي حرمة الشهر الحرام، وتكف عن ظلمها ووحشيتها في شهر محرم، لكن بني امية على ما تظاهروا به من الاسلام، كشفوا عن واقعهم الاسود وعما كانوا ينطوون عليه من حقد وقسوة، ووحشية وجاهلية، واعلنوا شقاءهم للاجيال

وللتاريخ بكل صراحة ، انهم قد انتهكوا كل الحرمات : حرمة الشهر الحرام ، وحرمة الله الذي حرّم هذا الشهر ، وحرمة نبيّهم حيث قتلوا ذريته ، ونهبوهم وسلبوهم ، وسبوهم وأسروهم ، ثم يبين الحديث جانباً آخر من ظلمهم وتعدّيهم ، مما يدل علىٰ مدىٰ قسوتهم ووحشيتهم بقوله : « يابن شبيب ان كنت باكياً لشيء ، فابك للحسين بن علي بن ابي طالب عليه‌السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه ».

[بين الاسلام وبين بني اميّة]

هذا مع ان الاسلام يوصي في حروبه بوصايا قد عمل بنو امية في كربلاء بخلافها ، فلقد جاء في نهج البلاغة من وصية لأمير المؤمنين عليه‌السلام لعسكره قبل وقعة صفين : « ... لا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا مُعوراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء باذىٰ ، وان شتمن اعراضكم ، وسببن أُمراءكم ... وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة ، فيعيّر بها وعقبه من بعده » فالجاهلية على قساوتها كانت لا تتعرض للنساء بسوء ، وتأبىٰ من النزول الى اذاها مخافة التعيير ، لكن بني امية سوّدت متون الهاشميات وبنات الرسالة وودائع نبيّهم من كثرة الضرب بالهراوات وغمد السيوف وكعب الرماح ، واجهزوا على ابن بنت نبيّهم بعد ان اثخنوه بالجراحات ولم يسقوه شربة من الماء مع انه كان يستسقيهم ويقول لهم بصوت ضعيف : يا قوم اسقوني شربة من الماء ، فلقد تفتت كبدي من الظمأ .

هذا مضافاً الى ما حاولته بنو امية ـ بخلاف تعاليم الاسلام الانسانية ـ اجتثاث جذور أهل بيت نبيّهم ، والقضاء على آخر من يتنفس منهم من رجالهم ، كما كان يفعل فرعون في بني اسرائيل من قتل ابنائهم واستحياء نسائهم ، حتى قتلوا من اهل بيته عليهم‌السلام ثمانية عشر رجلاً ليس لهم على وجه الأرض كفو ولا شبيه ، وبكلمة واحدة : ان بني امية فعلت مع ابن بنت نبيّها ما لم يفعله عدو بعدوّه ، وجنت عليهم

ما لم يجنه جان على مظلوم ومقهور، لقد شردوهم وطاردوهم، وقتلوهم ومثلوا بهم كما في دعاء الندبة : « والأمة مصرة على مقته، وقطيعة رحمه، واقصاء ولده ... » .

[فعل بني امية يُبكي السماوات]

ثم يُلفت الحديث الشريف اذهان الناس الى عظم المصاب، وكبر الفاجعة بقوله : « ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ... » وهل تبكي السماوات والأرضون لشيء الا اذا كان مؤلماً ومفجعاً ؛ او على أحد الا اذا كان عظيماً مستحقاً للبكاء عليه ؟ بل هل للسماوات والأرضين ان تبكي على أحد ما لم تعرفه او يكون بينها وبينه رباط وثيق واصطكاك قريب ؟ او هل للسماوات والأرضين ان تبكي بلا ان يأذن الله لها بالبكاء ؟ اننا كاناس إصحاب عقل وشعور، وارادة واختيار، لا نبكي لشيء ما لم يكن مستحقاً للبكاء، ولا نبكي على أحد ما لم نره جديراً بذلك، بل ولا نبكي الاّ على من يرتبط بنا برابط صلة وصداقة، او يخصنا بخاصة رحم وقرابة، فكيف بالسماوات والأرضين الفاقدة للارادة والاختيار، والتي لا يمكنها ان تفعل شيئاً الا باذن خالقها ومسيّرها ؟ فانها قطعاً مأذونة بالبكاء، بل ومأمورة به، كيف لا ؟ والإمام الحسين عليه السلام ثار الله وابن ثاره، وحبيب الله وابن حبيبه، وخامس أصحاب الكساء، وسيد شباب أهل الجنة، والمكتوب اسمه ووصفه على ساق العرش، كما اخبر بذلك جده رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : « مكتوب علىٰ ساق العرش : ان الحسين مصباح الهدىٰ وسفينة النجاة » وانه حجّة الله، وبالحجّة ثبتت السماوات وقامت، وسكنت الأرضون علىٰ حركتها واستقرت .

نعم ان بني امية قد جنت ما ابكت له السماوات والأرضون، واظلة العرش، واظلة الخلائق، وأفجعت به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وامه فاطمة الزهراء عليها السلام واباه أمير المؤمنين عليه السلام وكل أهل السماوات والأرضين .

ان بني امية ومن تقدمهم من متقمّصي الخلافة « بدّلوا نعمة الله كفراً، واحلّوا

قومهم دار البوار » انهم بدّلوا قوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودة في القربىٰ** ﴾ وخالفوه ، فبدل ان يودّوا أهل بيت نبيهم الاقربين الذي جعله الله تعالىٰ اجر رسالة نبيه ﷺ عادوهم اشد العداء ، ومكروا بهم اكبر المكر وأدهاه ، مع ان لرسول الله ﷺ واهل بيته عليهم السلام على امته عامة وعليهم خاصة فضل كبير ، وحق عظيم ، فهل كان من الانصاف يا منصفي العالم ما فعله هؤلاء مع رسول الله ﷺ في ذريته وأهل بيته ، مع ان رسول الله ﷺ قال لهم مراراً : « يُحفظ المرء في ولده » .

[بنو اميّة ومحكمة التاريخ]

لقد جاء في أغلب التواريخ الاسلامية وغير الاسلامية ، وخاصة في تاريخ التمدّن الاسلامي لجرجي زيدان ، الذي هو احد المؤرّخين المسيحيّين المتأخّرين ، وذلك في جزئه الاول ما خلاصته :

« ان النبي ﷺ لما دعىٰ الأقربين من قومه ليبلغهم رسالته قال لهم : مَن منكم يؤمن بي ويصدّقني على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي من بعدي ؟ فلم يجبه احد منهم الى ذلك سوىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولا يخفىٰ على احد : ان هذا الكلام من النبي ﷺ نصٌ علىٰ وصاية علي بن ابي طالب عليه السلام وخلافته مع غض النظر عن بقية النصوص والأدلة علىٰ ذلك ، وهنا يحق لنا ان نسأل هؤلاء ونقول لهم : انه لو ارتحل عن هذه الدنيا ملك وله صهر كفوء وابن عم لائق بالملوكية من كل جهة ، فهل من العقل والمروءة ان نتعدّىٰ هذا الكفو اللائق الى غيره ؟ ام هل من العدل والانصاف ان نأتي بذلك الغير الىٰ دفّة الحكم ونسلّمه مقاليدالامور ، ونترك هذا المنصوص عليه ، والأهل للحكومة ، منزوياً عن الحكم جليس داره ، ثم لأجل توطيد سلطان ذلك الغير ننزل كل ما في وسعنا وطاقتنا من ضيق وكبت ، وتشريد وقتل بهذا المنصوص عليه وذويه واصحابه وشيعته ؟؟ » .

نعم ان محكمه التاريخ تنتصف للمظلومين رغم خذلان معاصريهم وعدم

مناصرتهم لهم ، وقد انتصف لهم ربهم قبل ذلك بعد ان أخبر عن سوء نواياهم ، حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم** ﴾ وتوعّدهم بقوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون ...** ﴾ وبقوله سبحانه : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا ايّ من قلب ينقلبون** ﴾ .

[وصفة ناجعة لأهل المصائب]

المطلب الثالث من مطالب حديث ابن شبيب الذي يجدر الإشارة اليه هو : تقديم وصفة ناجعة تفيد اهل المصائب لتسكين ما بهم من هموم وآلام ، والوصفة هي عبارة عن قوله عليه السلام : « يابن شبيب ! ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ... » والغرض من هذه الوصفة قد يكون أحد امور تالية :

١ ـ قد يكون الغرض منها هو : توجيه بكاء الباكي الذي اضطرته المصائب الواردة عليه والتي تعصر قلبه الى البكاء ، ان يبكي على مصائب الإمام الحسين عليه السلام التي يستحق الباكي عليها عظيم الأجر وجزيل الثواب . فينال هذا الباكي ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام مع انه قد أفرغ قلبه ، وروّح عن نفسه ايضاً .

٢ ـ وقد يكون الغرض من هذه الوصفة هو : انّ تذكر مصائب الإمام الحسين عليه السلام ـ التي لم يسبق لها مثيل فيما سبق ، ولم يأت لها نظير فيما يأتي ـ تهوّن على الانسان باقي المصائب وتصغّرها لديه ، فان صاحب المصيبة لو تذكر مصائب الإمام الحسين عليه السلام العظيمة ، لنسي مصيبته ، ولبكىٰ على مصائب الإمام الحسين عليه السلام بدل ان يبكي على ما اصابه هو .

٣ ـ وقد يكون الغرض من هذه الوصفة هو : ان الانسان الذي اصيب بمصيبة يثقل عليه تحملها ، لو تذكر ما هو اعظم من مصيبته ، كالمصائب العظيمة التي اصيب بها الإمام الحسين عليه السلام ويرىٰ انه عليه السلام مع كونه اماماً من عند الله تبارك وتعالىٰ وله القدرة على دفعها عن نفسه لم يدفعها عن نفسه ، بل تحملها بفارغ الصبر وجميله ،

يتسلّىٰ عن مصابه ، ويرى في نفسه ان مصيبته بمكانة من الضئالة لا تستحق البكاء ، وانما التي تستحق البكاء ، فهي مصائب سيد شباب أهل الجنة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام ، فعندها يبكي على مصائبه عليه السلام فيستحق ببكائه ثواب الجنة ، اضافة الى الترفيه عن نفسه والتفريج عن همومه وكُربه ، ويشهد لهذا الغرض ما نسب اليه عليه السلام من قوله : « او سمعتم بغريب او شهيد فاندبوني » .

« اشارة »

[الشبه بين الوصفتين]

ان الوصفة العلاجية الآنفة ، التي ذكرها الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب بالنسبة الى اهل المصائب ، تشبه الوصفة القرآنية التي تعالج آلام المصابين وأحزانهم حيث يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم : ﴿ **وبشّر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** ﴾ فان تكرار تلاوة هذه الآية الكريمة تخفف على الانسان الذي اصيب بمصيبة وطأة المصاب ، وتكسر عنه سَورة الحزن والألم ، اضافة الى الثواب الذي سيعود اليه من تكرار هذه الآية المباركة وتلاوتها ، فهي وصفة قرآنية تفيد الدنيا والآخرة .

[جوانب مهمة من فاجعة كربلاء]

المطلب الرابع من مطالب حديث ابن شبيب الذي يجدر الاشارة اليه هو : بيان الإمام الرضا عليه السلام في هذا الحديث جانباً من عظم المصاب وكبر الفاجعة وذلك بذكر كيفية قتلهم الإمام الحسين عليه السلام وبانهم ذبحوه كما يذبح الكبش ، مما يدل على قساوة المشرفين على هذه الجريمة الكبرىٰ ، ووحشيّة المرتكبين لهذه المجزرة الرهيبة ، كما ويبرهن على شدة جفاء بني امية ومدىٰ حقدهم تجاه بني هاشم وخاصة تجاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذريته ، وبصورة عامة تجاه الانسانية والمكارم

والأخلاق.

ولعل وجه التشبيه في كلام الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول: « فانه ذبح كما يذبح الكبش » هو أحد امور تالية:

١ ـ اشارة الى ابتعاد بني امية عن تعاليم الاسلام بل ومخالفتهم لها والعمل بما يناقضها، فان الاسلام يحذّر في الدماء ويشدّد عليها، ويوصي بالسلم والمسالمة وعدم الحرب، وعلى فرض الدفاع لو وقعت حرب ومقاتلة، يُوصي بان لا يقطعوا الماء على احد، ولا يبيدوا الحرث والنسل، ولا يجهزوا على جريح، ولا يهيجوا النساء باذىً، لكن بني امية لم يراعوا شيئاً من ذلك، وانما خالفوا كل ذلك خلافاً صريحاً وواضحاً كوضح النهار.

٢ ـ اشارة الى انه كما لا يؤبه بذبح الكبش، بل يعدّ ذبحه فخراً وشجاعة، وفنّاً ومهارة، كذلك كان بنو امية فانهم لم يأبهوا بقتل الإمام الحسين عليه السلام بل عدّوا قتله فخراً لهم وشجاعة، واظهروا بذلك سروراً وابتهاجاً.

٣ ـ اشارة الى انه كما يكون ذبح الكبش جائزاً وحلالاً، ويقع في الخارج مكشوفاً بلا مانع ولا رادع، فكذلك كان فعل بني امية بالنسبة الى قتل الإمام الحسين عليه السلام فانهم استحلوا دمه واستباحوا قتله، وذبحوه في وضح النهار وبمرأىً من الناس بلا مانع ولا رادع، ويشهد لهذا الوجه قول الإمام الحسين عليه السلام لهم يوم عاشوراء في احتجاجه عليهم: « فبم تستحلون دمي؟ ».

[فوارق هامّة]

نعم، هناك فوارق عديدة بين قتل الإمام الحسين عليه السلام وبين ذبح الكبش، ولعل في التشبيه المذكور من الإمام الرضا عليه السلام اشارة ضمنيّة اليها، وهي عبارة عما يلي:

١ ـ ان الكبش عندما يراد ذبحه يسقونه الماء اولاً ثم يذبحونه، لكن الإمام الحسين عليه السلام ذبحوه وهو عطشان مع انه عليه السلام كان يستسقيهم ويطلب منهم الماء،

ويخبرهم بشدة ظمئه وضرّ عطشه وذلك حتى في لحظاته الأخيرة ، وهذا هو الذي دعىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام ان يكتب على قبر أبيه بعد ان انتهىٰ من دفنه وسوّىٰ عليه التراب : « هذا قبر الحسين بن علي عليه السلام الذي قتلوه عطشاناً » .

٢ ـ ان الكبش عندما يراد ذبحه ، يوصي الإسلام بعدم حزّ رقبته كاملة ، بل يأمر بفري الأوداج الأربعة من مقدّم الرقبة ، ثم تركه ينزف دماً حتى يلفظ انفاسه الأخيرة ، فاذا سكن وسكت فعلوا به ما شاءوا من حزّ رقبته كاملة وغير ذلك .

وهذا التعليم الذي يعدّ من آداب الذبح في الاسلام يقال : لان فري الأوداج الأربعة فقط ، وذلك من مقدم الرقبة فحسب ، ليس فيه شدّة فائقة ولا ألم كبير ، كما في قطع الرقبة كاملة ، او حزّها من خلف ، فان خلف الرقبة يمتد العمود الفقري المحتوي على النخاع الذي عليه قوام الجسم ، كما انه محل امتداد الأعصاب اللطيفة والحساسة النازلة من الرأس ، والتي تربط كل الجسم بمركز الأعصاب والجهاز العصبي ، وغير ذلك . اذن فخلف الرقبة مجمع لكل هذه الدقائق واللطائف من الاوتار والأعصاب ، ومعلوم كم يكون الألم كبيراً عندما يراد حزّ الرقبة من خلف وفي الجسم حس وحركة ، ونفس وروح ، والإمام الحسين عليه السلام أجهزوا عليه جريحاً وحزّوا رقبته من الخلف وبه عليه السلام رمق من الحياة ، ولهذا لا ينسىٰ ولده الإمام زين العابدين عليه السلام هذه المصيبة الكبيرة ، ويشير اليها في خطبته بالشام وغيرها قائلاً : « انا ابن من حزّوا رأسه من القفا » .

٣ ـ ان الكبش اذا اريد ذبحه ، يوصي الاسلام بشحذ السكّين وتحديده ، ليتم الذبح بامرار السكين مرة واحدة ، فيكون خلاصه بصورة اسرع وأسهل ، ولكن بني امية خالفوا هذه الوصية الانسانية بالنسبة الى قتلهم الإمام الحسين عليه السلام ، فانهم بعدما أهووا به من على فرسه وجواده جريحاً ، رشقوه بالسّهام والحجارة ، وطعنوه بالرماح والحراب ، وضربوه بالخناجر والسيوف ، حتى احصي به ما يقارب من الفي جراحة ، ثم احتزّوا رأسه الشريف من القفا ، باثنتي عشرة ضربة خنجر ضربوها على خلف

رقبته ، مما دعىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام ان يبكي لهذه الفاجعة ويقول على رؤوس الأشهاد من المجتمعين في المسجد الأموي بالشام : « انا ابن من قتل صبراً » .

[البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وآثاره]

المطلب الخامس من مطالب حديث ابن شبيب الذي يجدر الوقوف عنده والتأمّل فيه هو : بيان الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب قسماً من فضائل البكاء والتباكي ، والحزن والحداد على الإمام الحسين عليه السلام ، فان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وعلى مصابه ومصاب أهل بيته واصحابه ومظلوميتهم ، الذي هو أجمل تعبير عن التعاطف والتوادد مع الإمام الحسين عليه السلام وقضيته ، وأمثل تنديد بظالميه وقاتليهم ، هو خير وصفة علاجية يمكن لطبيب ان يكتبها في علاج أشدّ مراجعيه مرضاً وأكثرهم اعضالاً ممن قد يأس من حياته على اثر ذلك المرض العضال ، فان الإمام الرضا عليه السلام قد كتب في حديث ابن شبيب خير وصفة لاولئك الذين اشتدّ بهم مرضهم الروحي وزادهم رهقاً وكمداً حتى يئسوا من كل خير ومن تجديد حياتهم المعنوية ، فان فيه يفتح عليهم نوافذ الأمل عن طريق البكاء على الإمام الحسين عليه السلام فانه يغسل عنهم ذنوبهم ويجلي لهم قلوبهم لتتفتح على نور الهداية والإيمان ، وترجع الى التقوىٰ والفضيلة ، وتعيش الحياة المعنوية والسعيدة من جديد ، واذا كان البكاء هذا ، يفعل بمثل هؤلاء هذا الفعل ويردّهم الى القافلة الانسانية ويقطع مادة الفساد والمعاصي من المجتمع ، فكيف باصحاب القلوب النظيفة والطاهرة ؟

نعم ، ان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام له التأثير الكبير في علاج امراض الروح ، ونقاء اجواء المجتمع من الشقاء والعداء ، واسعاد الناس كل الناس الذين يمتدّون الى الإمام الحسين عليه السلام بصلة البكاء عليه ، فان مثل هذا الحديث القائل : بانه لا تدمع عين انسان ولا تقع تلك الدمعة على وجهه حتى يغفر الله له كل ذنوبه صغيره وكبيره ، قليله وكثيره ، كم لها من تأثير كبير على صفاء روح الباكي على الإمام

الحسين عليه السلام وعلى زرع الخير في قلبه ونفسه ، وعلى قلع اليأس والشقاء من عمقه وداخله ؟؟ انه لا يدرك مدىٰ هذا التأثير ، ولا يحس ببرده الا من جرّب هو بنفسه عملياً هذا الحديث الشريف ، اضافة الى ان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام هو بنفسه تعبير عن الوقوف الى جانب الإمام الحسين عليه السلام والانخراط في معسكره معسكر الخير والسعادة ، والقسط والعدل ، واعلان للثورة علىٰ يزيد واتباعه والسائرين على نهجه ودربه في كل زمان ومكان ، والنفرة من معسكر الشر والشقاء ، والظلم والاستبداد ، وكم لهذا من تأثير كبير لمجابهة الظالمين ومنابذة المستبدين وقلعهم وقمعهم وقلب عروشهم الواهية .

[الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام]

ولا يخفىٰ : ان للارتباط مع الإمام الحسين عليه السلام عبر البكاء عليه آثاراً كبيرة ، وفوائد عجيبة ، يعجز اللسان عن بيانها ، والقلم عن تحريرها وتقريرها ، لكن الاشارة الى بعض تلك الآثار وبقدر وسعنا هو مما يسر المحبّين والموالين لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فنقول ما يلي :

١ ـ من الواضح ان لكل العبادات التي شرعها الاسلام من واجبات ومستحبات ثواباً معيّناً ، وأجراً معلوماً ومحدوداً ، فاذا جاء بها الانسان تامة كاملة ، مراعياً فيها جميع الأجزاء والشرائط ، بلا زيادة ولا نقيصة اعطي ذلك الثواب المعيّن والأجر المعلوم . اما الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام عبر البكاء على مصابه فثوابه غير معيّن واجره غير محدود ، فلو بكىٰ ـ مثلاً ـ على مصاب الإمام الحسين عليه السلام حتى ترطّبت عيناه وذلك بمقدار جناح بعوضة ـ كما في الروايات ـ غفر الله تعالىٰ له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر ، فكيف بما اذا بكىٰ اكثر من ذلك ؟ مما يدل على ان غفران الله تعالىٰ ودخول الجنة هو اقل عطية يمنحها الله تعالىٰ للباكين على الإمام الحسين عليه السلام كما جاء ذلك في ضمن حديث رواه البحار عن السيد ابن طاووس قائلاً : « ومن بكىٰ

او ابكىٰ واحداً فله الجنة ، ومن تباكىٰ فله الجنة » فاذا كان التباكي علىٰ مصاب الإمام الحسين عليه السلام ثوابه الجنّة فكيف بالبكاء وغيره ؟ ام كيف بالذي صرف عمره في مجالس العزاء وفي البكاء والابكاء ؟ فانه مما لا يعلم اجره ومقامه الاّ الله تعالىٰ ، ومن هنا يظهر عجزنا عن درك مقام السيدة زينب عليها السلام واجرها الكبير عند الله تعالىٰ ، حيث انها بذلت عمرها في البكاء والابكاء ، اضافة الى انها كانت الشريكة الوفية والأخت المواسية لأخيها الإمام الحسين عليه السلام في كل الشدائد والمصائب التي كابدها الإمام الحسين عليه السلام حتى لحظة الشهادة ، وزادت عليه انها راحت سبية ـ وفي كفالتها كل الأطفال واليتامىٰ والنساء الأرامل من بقايا عترة الرسول صلى الله عليه وآله ـ الى الكوفة ومنها الى الشام ، حيث مجلس ابن زياد ، ومحفل يزيد ، حيث الشتائم والشماتات .

« اشارة »

[قصة بالمناسبة]

نقل لي كل من والدي السيد محمد الجزائري ، وكذلك عمي جناب السيد محمد مهدي ، وهكذا خالي جناب السيد محمد حسن قصة متشابهة عن جدّنا الأمجد صاحب الملكات المحمودة والصفات الحميدة الحاج السيد احمد الجزائري (طاب ثراه) المتوفىٰ سنة (١٣٠٥) هجرية وكان ممن عُرف في الأوساط الشعبية في ايران بالزهد والتقوىٰ ، والفضل والفضيلة ، والقدس والكرامة : انه كان يطلب من أحد كبار قبيلة بختيار ـ وكان يدعىٰ : محمد تقي خان البختياري ـ مالاً كثيراً ، فذهب اليه لتصفية الحسابات معه وليتقاضا منه طلبه ، فصادف ايام محنة البختياري وقلّة ما في يده ، ولذلك لم يتمكن البختياري من دفع كل ديونه ، وانما دفع اليه شيئاً قليلاً منه ، واستمهله في دفع الباقي طالباً منه البقاء عنده حتىٰ يسدّد له كل ديونه .

هذا وكان شهر محرّم الحرام على الأعتاب ، وايام عاشوراء تقترب ، ومجالس

العزاء في منطقتنا كانت منحصرة في تلك الأيام وفي العشرة الاولىٰ بمجلسين : احدهما : كان يقام في دار الميرزا حبيب الله المستوفي ، وثانيهما : في دار الجدّ الحاج السيد احمد الجزائري ، لذلك أصرّ الجدّ على الرجوع ليتدارك مقدمات مجلس التعزية لايام عاشوراء التي قرب وقتها ، وأصرّ البختياري محمد تقي على البقاء عنده ليوفّيه حسابه من جهة اخرىٰ ، مما ادّىٰ الى ان يفكر الجدّ في البقاء وفي نيّته ان يؤخّر مجلس العزاء من العشرة الاولىٰ الى العشرة الثانية ، لكن سرعان ما تغيرت نية الجدّ وعزم على الرجوع صبيحة اليوم الثاني من بعد تغيّر رأيه ، وذلك ليوصل نفسه الى المنطقة حتى يهيّئ مقدمات المجلس ويقيم العزاء حسب المرسوم في العشرة الاولىٰ ، وكان ذلك على اثر رؤيا رآها مساء اليوم الذي فكّر في البقاء وتأخير العزاء الى العشرة الثانية ، وكانت الرؤيا حسب النقل : ان الجد يرىٰ نفسه وكأنه في مجلس موقّر ومحترم ، وفيه جمع من السادات الكرام وبيد احدهم كأس سماوي اللون ، فيعطونه اياه ، فيأخذه الجدّ منهم واذا به يرى قد كتب في اطرافه بيت من الشعر مضمونه : « في كل موجٍ يعفىٰ عن جمعٍ ، فهنا تراه قطرة وهناك هو بحر محيط » . وبعد الانتباه من النوم كان البيت من الشعر في ذاكرته ، فكتبه وأخذ يبحث عن مصدره وقائله ، لكن كلما بحث عنه ليرىٰ من قال هذا البيت من الشعر لم يعثر على قائل له ، منها عزم على الرجوع حيث اوصل نفسه الى المنطقة واقام مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام في العشرة الاولىٰ من المحرم .

نعم ، ان الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام باي نحو كان من اقامة المجالس ، وادارة المواكب ، ولبس السواد ، واظهار الحزن والحداد ، والبكاء والابكاء على مصابه وغيرها من امثالها ، كل ذلك هو بعين الله تعالىٰ ، وتثمين وتقدير من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، وقد ذكرت هذه القصة هنا تجديداً لذكراه ، وتمجيداً لمساعيه الطيبة ، وتذكيراً للقراء الكرام باهداء سورة الفاتحة الى روحه .

[عبادة البكاء والتباكي]

٢ ـ ان آثار العبادات انما تظهر للانسان اذا اجتمعت فيها كل الشرائط ، فانه كما قيل : المشروط عدم عند عدم شرطه ، فالعبادات كلها مشروطة بشروط فاذا انعدم شرط انعدمت ، بينما الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام يظهر آثاره للانسان بمجرد حصول الارتباط ، بلا شرط متقدم ولا مقارن ولا متأخر ، وذلك لانه بسيط وليس مشروطاً باي شرط مطلقاً ، كما انه ليس مقيداً باي قصد على الاطلاق ، ولذلك يتسنّىٰ الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام لكل احد ولو كان خالي الذهن ، ويستطيع الحصول على اثار هذه العبادة الجليلة بلا اي شرط او مقدمة ، وانما يكفيه ان يُذكر عنده اسم الإمام الحسين عليه السلام فقط فينقلب حاله وينكسر قلبه ، وهذا الانقلاب والانكسار من الآثار الوضعية لهذا الاسم المبارك ، وهي مكنونة فيه كما ان محبته عليه السلام مكنونة في قلوب المؤمنين ، نعم ان ذكر الإمام الحسين عليه السلام وعروض حالة انقلاب في النفس وانكسار في القلب وفيضان العينين بالدموع متلازمان يحصل لكل انسان مؤمن بأقل التفاتٍ وادنىٰ توجه منه الى الإمام الحسين عليه السلام ، كما كانت هذه الحالة تعتري النبي آدم صفوة الله عندما كان يذكر اسم الإمام الحسين عليه السلام حتى انه قال ـ كما في الحديث ـ : « وفي الخامس (الإمام الحسين عليه السلام) ينكسر قلبي » .

وهذا الأثر نفسه ، والتلازم بين ذكر الاسم وبين انكسار القلب وجريان الدمع موجود ايضاً في اسم السيدة زينب عليها السلام ومكنون فيه ، وكذلك الارتباط بالسيدة زينب عليها السلام كالارتباط باخيها الإمام الحسين عليه السلام بسيط غير مشروط بشرط ولا مقيّد بقيد ، وانما يكفي فيه جريان ذكر اسمها المبارك فقط وليس اكثر من ذلك حيث يتم الارتباط عبره بتحوّلٍ وانقلابٍ في النفس وانكسار في القلب ، وفيض في دموع العين ، وبذلك تتم هذه العبادة الجليلة التي وعد الله تعالىٰ عليها ثواباً كبيراً واجراً جزيلاً . وسيأتي وبعون الله تالىٰ في خصيصة البكاء على السيدة زينب عليها السلام مزيد من

التوضيح في هذا المجال انشاء الله تعالىٰ .

[سيّد العبادات وأشرفها]

٣ ـ ان لكل عبادة موانع وقواطع ، وآفات وعاهات تؤدي الى حبط اجرها وابطال تاثيرها ، واحياناً الى قلبها من عبادة الى معصية ، بل الى شرك بالله تعالىٰ والعياذ بالله ، وذلك للوساوس الشيطانية والتسويلات النفسانية التي ربما تختلط بالعبادة وتخرجها من الاخلاص الى العجب والسمعة والرياء ، وقد جاء في الروايات ان الرياء في العبادة هو الشرك الخفي ، بينما عبادة الارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام والبكاء عليه والتوسّل الى الله تعالىٰ به في حرز أمين ، وحصن حصين من وساوس الشيطان وتسويلات النفس ، كيف لا وهو ينبعث من الحب المكنون في القلب ، والقلب المنطقة الحرّة التي لا يمكن لشيء ان يستعبدها ولا أن يسترقّها الا الحب ، فاذا كان الحب هو الذي يربط الانسان بالإمام الحسين عليه‌السلام ، والحب نابع من القلب ومسخّر له ، فالارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام يكون الوحيد بين كل العبادات من حيث سلامته من الآفات والعاهات ، وصيانته من الشيطان والنفس .

وحيث ان الارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام يرتبط بالقلب ، صار دوره بين العبادات دور القلب بين الأعضاء والجوارح ، وكما ان القلب هو ملك الأعضاء وسلطانها ، فكذلك الارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام هو سيّد العبادات وأشرفها ، وما نال ما ناله الأنبياء والمرسلون ، وملائكة الله المقربون من المقام عند الله والجاه الكبير لديه الّا بالارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام والبكاء عليه والمواساة معه ، ولعل هذا كان هو السرّ الكامن وراء ما جاء في الروايات من ان الله تبارك وتعالىٰ كان يبيّن لانبيائه ورسله ، وكذلك لملائكته واهل سماواته ، مصائب الإمام الحسين عليه‌السلام وما يجري عليه قبل ان يتحقق شيء منها في الخارج حتى يحصل لهم الارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام عبر البكاء عليه والتوسل به والمواساة معه ، فينالوا بذلك القرب عندالله والمقام الرفيع

لديه ، وقد اخبر جبرئيل وبأمر من الله تعالىٰ الرسول الكريم جدّ الامام الحسين عليه السلام مراراً بخبر شهادة الإمام الحسين عليه السلام ـ حتى انه عندما جاء جبرئيل هو والملائكة يبشرونه بولادة سبطه الإمام الحسين عليه السلام عزّوه في نفس الوقت بشهادته ايضاً ـ وفي كل مرة ينقلب حال الرسول صلى الله عليه وآله وينكسر قلبه ويفيض دمعه ،كل ذلك حتى يحصل الرسول صلى الله عليه وآله على مقام ارفع وقرب أقرب من بقية الأنبياء والمرسلين لدىٰ الله تبارك وتعالىٰ ، وكذلك كان بيان رسول الله صلى الله عليه وآله مصائب الإمام الحسين عليه السلام وما يجري عليه في يوم عاشوراء لكل من امير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن المجتبىٰ عليهم السلام مرات عديدة لينقلب حالهم وينكسر قلبهم ويفيض دمعهم ، فينالوا بذلك مقامات ارفع وجاه اكبر عند الله تعالىٰ ، ويكون لهم نصيب من هذه العبادة الجليلة التي هي اشرف العبادات وأجلّها .

اذن : فالعبادة الوحيدة التي لها دور القلب بين العبادات ، والتي لا يستطيع الشيطان ان يمسّها بسوء ، ولا النفس ان تلوّثها بالأهواء ، والتي هي عند الله تعالىٰ سريعة الوصول والقبول ، هي عبادة الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه ، والتوسل به .

« اشارة »

[مع الخصماء في يوم القيامة]

لما ثبت حسب الروايات ان عبادة الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام لها من الأجر ما لا يحصىٰ ومن الثواب ما لا يمكن عدّه وتحديده ، صح لنا ان نقول ـ بعد ان ثبت علمياً ما للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام من التأثير على الروح والقلب في الاقلاع عن الذنوب والخروج من مظالم العباد والسعي في جبران ما فات ـ: ان هذه العبادة الجليلة تغطّي ايضاً علىٰ الذنوب ، وتخرج من مظالم العباد ، وتوفّق لجبران ما فات ، وذلك لان هذه العبادة المتفاعلة مع القلب والروح ، والمنطلقة من الضمير والوجدان

الانساني ، تبني الانسان بناءاً جديداً ، وتربطه ببحر الفضائل والمكارم ، والآداب والمحاسن ، وتوفّقه للاغتراف من يمّها ، والانطباع علىٰ خيرها وبركتها ، وتأخذ بيده لتلافي ماضيه ، وجبران ما فاته من حقوق الناس ، وتسديد مالهم عليه ، وان بقي شيء لم يوفّق لتداركه ، او لم يتمكن من جبرانه وتلافيه ، تداركه وتلافاه اجر هذه العبادة : عبادة الارتباط بالامام الحسين عليه‌السلام وعوّض عنه ، اذ أجر الارتباط به عليه‌السلام عبر البكاء عليه والتوسل به الىٰ الله تعالىٰ ، غير محدود كيفاً ، ولا بمعدود كماً ، فيُعطىٰ به ماضيه وسالفه ، ويُعطىٰ منه لاصحاب الحقوق مقدار حقهم ، وللخصماء ما يرضيهم عنه ، ويبقىٰ الباقي له .

بل يصح ان يقال : انه يعطىٰ للخصماء واصحاب الحقوق حقهم من دون ان يأتي نقص على ثواب هذا او تقليل لأجره ، وذلك لانه حسب بعض الروايات ان الإمام الحسين عليه‌السلام هو الذي يتولّىٰ ارضاء خصوم الباكين عليه ، ويسعىٰ في اداء حقهم اليهم . وهذا ليس ببعيد ، فان في الروايات ايضاً : ان من مواقف يوم القيامة موقفاً يقال له : موقف الهبات ، وفي ذلك الموقف عندما يرىٰ المؤمنون الالطاف الالهيّة ، والفيوضات الربانية ، يطمعون فيها وفي الوصول اليها والحصول عليها ، فيهبون الحقوق التي لهم على اخوانهم ويعفون عن مظالمهم ، بغية الوصول الى جزيل الثواب ورفيع المقام الذي يرونه قد أعدّه الله للواهبين والعافين عن الناس في ذلك الموقف . أفترىٰ المؤمنين في ذلك اليوم يبخلون عن العفو ، ويشحّون عن الهبة وهم في هذه الدنيا قد سخوا بانفسهم واموالهم في طريق الارتباط بالإمام الحسين عليه‌السلام والتوسل به ؟ وخاصة على ما في بعض الروايات من ان الإمام الحسين عليه‌السلام يأتي الى القيامة ويحشر في عرصاتها مقطوع الراس وأوداجه تشخب دماً ، فيضجّ له المحشر بأهله فيسألهم وهو عليه‌السلام بتلك الحالة العفو عن خصمائهم والهبة لحقوقهم ، فهل ترىٰ انهم مع ذلك لا يعفون عنهم ولا يهبون حقوقهم لهم ؟ وحينئذ : فقد اتضح صحة القول ـ وبكل صلابة وقاطعيّة ـ برضا الخصماء يوم القيامة

من دون أن ينقص شيئاً من ثواب الباكين على الإمام الحسين عليه السلام او يقل من اجرهم .

« اشارة ثانية »

[نبذة من مقامات السيدة زينب عليها السلام]

لا يخفىٰ انه لما ثبت ـ على ما في الروايات ـ ان الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام عبر البكاء عليه والتوسل به من افضل الطاعات واشرف العبادات ، واكمل القربات الى الله تعالىٰ ، ظهر بوضوح ان من ازداد ازتباطاً وبكاءاً وتوسلاً ازداد من الله تعالىٰ قرباً ومقاماً ، وحيث ان السيدة زينب عليها السلام بعد واقعة كربلاء وفاجعة عاشوراء ، صرفت كل عمرها وبذلت كل لحظاتها في البكاء على أخيها الإمام الحسين عليه السلام واقامة مجالس العزاء والنياحة عليه ، فقد حازت قصب السبق في هذا المضمار بما لا يمكن لأحدٍ احصاء فضلها ولا عدّ منقبتها ولا بلوغ درجتها ومقامها عند الله تبارك وتعالىٰ ، وانما لابدّ لنا من الاذعان بالعجز عن درك ذلك والاعتراف بالقصور فيه .

« اشارة ثالثة »

[التناسب بين الأجر والعمل]

قد يتعجب البعض من الثواب الكبير والأُجر الجزيل الذي يعطىٰ للباكي على الإمام الحسين عليه السلام تجاه بكاء يسير وتوسّل قليل بالإمام الحسين عليه السلام ويرتسم في ذهنه من ذلك علامات استفهام تقول : ما هو التناسب ـ على فرض التسليم ـ بينهما ؟ وكيف يتم هذا الموضوع العجيب ؟

والجواب على ذلك هو : ان ما ذكر من الأجر والثواب للبكاء والتباكي على الإمام الحسين عليه السلام بالاضافة الىٰ انه من المسلّمات متناسب معها ايضاً وذلك لما يلي:

[الهدية على قدر مهديها]

١ ـ من المعروف لدىٰ العقلاء والمشهور عند الناس : « ان الهدية على قدر مُهديها » فاذا أهدىٰ شخص وردة لملك ، فاتحفه الملك قبالها بخلع ثمينة وفاخرة ، وعطايا جزيلة ووافرة ، فهل يصح تكذيب ذلك والقول : بانه لا تناسب بينهما ، اذ اين هذه الهدايا العظيمة من تلك الوردة التي لا قيمة لها ؛ أم لا يصح تكذيبه لان الهدية في كل منهما كانت على قدر مُهديها ؟ فاذا كان الجواب : انه لا يصح تكذيبه وهو الصحيح ، فما نحن فيه أيضاً كذلك .

[الأجر على قدر المشقّة]

٢ ـ هناك قاعدة معروفة تقول : « الأجر على قدر المشـقّة » فكـلما ازدادت المشقّة وعظمت كلما ازداد الأجر وعظم ، وان ما اعدّه الله تعالىٰ للباكي على الإمام الحسين عليه‌السلام والمتوسل به من الأجر الجزيل والثواب العظيم ، انما هو أجر لعظيم ما قدّمه الإمام الحسين عليه‌السلام لله تعالىٰ ، وثواب لكبير ما تحمّله عليه‌السلام في سبيل الله من مشاق الهجرة والشهادة ، فانه عليه‌السلام كما في الحديث كان له ان لا يختار الشهادة مع حفظ مقامه عند الله تعالىٰ ، لكنه عن علم ووعي ، وعن رغبة واختيار ، بل وبكل طواعية واخلاص اختار الشهادة ، وذلك رضاً منه عليه‌السلام برضا الله تبارك وتعالىٰ وتسليماً منه لقضائه وحكمه ، فقدّم لله عزّوجلّ كل ما يملكه ، قدّم طفله الرضيع ، وقدّم شبّانه اليافعين ، وقدّم اخوته الكمّلين ، انه عليه‌السلام قدّم كافة اهل بيته الذين لم يكن لهم مثيل على وجه الأرض ، وقدّم اصحابه الميامين الذين لم يكن هناك اصحاب اوفىٰ وأبرّ منهم علىٰ كرة التراب ، انه عليه‌السلام قدم نساءه وحريمه وهم حرم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ـ وما اعظم ذلك على الغيور ـ قدّمهم سبايا في سبيل الله ، وبالتالي قدّم عليه‌السلام نفسه الكريمة قرباناً لله تعالىٰ ، مما دعىٰ اخته العقيلة زينب عليها‌السلام بعد ظهر يوم عاشوراء ان تحتضن جثمانه الشريف المضرّج بالدم وترفعه نحو السماء وتقول : «

اللهم تقبّل منا هذا القربان » .

فالإمام الحسين عليه السلام قدّم نفسه الشريفة وكل ما يملكه لله جلّ وعلا ، وهل لمن اعطى كلّ ما يملكه لله تبارك وتعالىٰ ، عجيب ان يعطيه الله عزّوجلّ بعض ما يملكه ، مع انه تعالى هو القائل : ﴿ **واذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا باحسن منها** ﴾ فلو اعطى الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام كل ما يملكه ـ وهو مالك كل شيء ـ لم يكن عجيباً ، فكيف وقد كان ما أعطاه الله تعالىٰ للإمام الحسين عليه السلام وللباكين عليه والمتوسلين به من الجنة والرضوان والعفو والغفران هو بعض ما يملكه تعالىٰ ، اليس كذلك ؟ فهل اذن يبقىٰ هناك مجال للتعجب والاستغراب لو عفىٰ الله تعالىٰ عن الباكين على الإمام الحسين عليه السلام وغفر ذنوبهم ، وارضى خصومهم ، وادخلهم الجنة ، وذلك مع عظيم جود الله وجميل كرمه وكبير فضله وسعة رحمته ؟

والى هذا المعنىٰ تشير الروايات الكثيرة المتعرضة لبيان بعض ما للارتباط بالإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه والتوسّل به والتشرّف بزيارته من الثواب العظيم والجزاء الكبير والأجر الجزيل ، كما انه الىٰ هذه الروايات تنظر ما قيل وما نظم من قصائد واشعار فى هذا المجال كالتي تقول :

اذا شئت النجاة فزر حسيناً   لكي تلقىٰ الالٰه قرير عينِ
فان النار ليس تمسّ جسماً   عليه غبار زوّار الحسينِ عليه السلام

[قضايا قياساتها معها]

٣ ـ يقال علمياً ومنطقياً : ان هناك قضايا قياساتها معها ، فلا تحتاج الى ما يدل عليها او يثبت وجودها ، وذلك لان آثارها ونتائجها ليست جعلية وتشريعية ، بل تكوينية وطبيعية . وبعبارة اخرىٰ ادق : ان آثارها وضعية ، لا تتخلّف عنها شاء الإنسان أم أبىٰ ، فالذي يلقي بنفسه ـ مثلاً ـ من مكان مرتفع ، او يقفز من فوق جبل شاهق ، يصطدم بالأرض ، فيتحطم جسمه ، وتتهشم عظامه ، ويلقىٰ حتفه شاء ام

ابىٰ ، والذي لا يعرف السباحة ويتوسط البحر ، تأخذه الأمواج ، وتتلاعب به الاقدار ، وتتقاذفه الأهوال ، فتحطمه وتجعله طعمة سائغة للاسماك والحيتان شاء ذلك ام أبىٰ ، كما ان من يعرّض نفسه لنسيم الصباح ، وطراوة الربيع ، وخرير المياه ، وتغاريد البلابل ، وألحان الطيور ، وعبير الورود والرياحين ، تتفتح نفسه ، وتهتزّ مشاعره ، وتبتهج روحه ، وينعم خاطره ، ويفرح قلبه شاء أم أبىٰ ، وان من يشرب الماء يرتوي عطشه ، ويسكن غليله ، ومن يأكل الطعام يُسدّ رمقه ، ويرتفع جوعه شاء ذلك أم أبىٰ ، وان من يبتسم ويضحك ينبسط وجهه ، وينحسر همه وغمّه ، ومن يحزن ويبكي يرق قلبه ، ويرهف حسّه ، وتلطف مشاعره وعواطفه شاء أم أبىٰ . وكذلك البكاء على الإمام الحسين عليه السلام والتباكي له والتوسل به ، فان لها آثاراً وضعيّة شاء الإنسان أم أبىٰ ، فان من يبكي على الإمام الحسين عليه السلام وعلى مظلوميته ، فانه بالإضافة الى انه يرق قلبه ، ويرهف حسّه ، وتلطف مشاعره وعواطفه ، يتفاعل بكل وجوده : بروحه وقلبه ، بمشاعره وخواطره مع قضية الإمام الحسين عليه السلام ويتعاطف معه ومع مُهمّته وهدفه ، ويتبرّء من عدوّه وظالمه ومناوئه وشانئه ، ويحاول تطبيق نفسه وسلوكه مع مهمّة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه ، بل وتحقيق ذلك في محيطه ومجتمعه ، وما مهمّة الإمام الحسين عليه السلام الا الصلاح والاصلاح ، والقسط والعدل ، وما هدفه الا الخير والفلاح ، والفوز والنجاح ، والسعادة والهناء ، ليس لنفسه ولذويه ، بل لمجتمعه وامته ، وللبشرية والعالم ، وللأجيال والأعقاب وفي كل زمان ومكان . وهل هناك انجاز اكبر من هذا الانجاز وليس هو الا من آثار البكاء وثماره الطيّبة ؟

نعم ان الذي يحزن للإمام الحسين عليه السلام ويبكي عليه ، يرق قلبه ، واذا رقّ القلب قرب من الرحمان وابتعد عن الشيطان ، فيصير قريباً من الخير ، بعيداً عن الشر، منصاعاً للحق ومنقاداً له ، وبالتالي يصبح انساناً نافعاً ومفيداً ، متأسياً بمن يبكي عليه وهو الإمام الحسين عليه السلام الذي كان قدوة في كل خير وطهارة . الم تر الى

الذين انحرفوا عن الحق بعد وضوحه ، وظلموا أنفسهم ومجتمعهم وفسدوا وأفسدوا واهلكوا الحرث والنسل يصفهم الله تعالىٰ بقسوة قلوبهم ويقول : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة او اشد قسوة ﴾ فاذا كانت قسوة القلب الحاصلة من مخالفة الحق ومعاندته ، تساوي الشقاء والنار ، فرقة القلب المنبعثة من الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه والتوسّل به تساوي السعادة والجنّة ، وهو كذلك وحينئذ فلا يبقىٰ مجال لأن يقال بعدم التناسب بين البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وبين اجره وثوابه ، ولا ان يشكك في أصل الأجر والثواب الذي أعده الله للباكين على الإمام الحسين عليه السلام والمتوسّلين به اليه .

« اشارة »

[البكاء على السيدة زينب عليها السلام وأجره]

ان جميع ما ذكر من الأجر والثواب للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام والتوسل به الى الله تعالىٰ ، وكذلك ما ذكر من التناسب بين الأجر والبكاء ، وكل الامتيازات المذكورة للارتباط بالإمام الحسين عليه السلام هي بنفسها بلا زيادة ولا نقيصة موجودة في البكاء على السيدة زينب عليها السلام وفي التوسل بها الى الله تعالىٰ ، كيف لا وهي شريكة اخيها الإمام الحسين عليه السلام في مهمّته وهدفه ، والمشاطرة له في مصاعبه ومصائبه ، والمكمّلة لقيامه ونهضته ، والمبلّغة الى الاقطار والأمصار ، بل والى الأجيال والأعصار على مرّ الدهور والزمان مظلوميته ومحروميته ، ووحشية ظالميه وقاتليه وقساوتهم ؟ ولولاها لاندرست معالم النهضة الاصلاحية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ولانطمست آثاره وبركاته ، ولذهبت اتعابه عليه السلام واهدافه وكذلك دمه وشهادته ادراج الرياح هباءاً منثوراً .

[زيارة الإمام الحسين عليه السلام وآثارها]

المطلب السادس من مطالب حديث ابن شبيب الذي هو جدير بالبحث : بيان الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب جانباً من آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام وبعض ما لها من الثواب والأجر عند الله تبارك وتعالىٰ حيث يقول عليه السلام : « يابن شبيب ان سرك ان تلقىٰ الله عزّوجلّ ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام » .

هناك في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام روايات كثيرة ، واخبار مختلفة ، لكن قل التطرق اليها لابد اولاً من تعريف الزيارة وبيان حقيقتها ثم ذكر فضيلتها وكذلك الجمع بين الروايات المختلفة فيها .

اما حقيقة الزيارة فهي عبارة عن : حضور الزائر عند المزور ، او عبارة عن : عَود الزائر المزورَ والاتيان اليه ، او عبارة عن : الوفود على المزور بقصد الالتقاء به ، فالزيارة بأي معنى كانت تتضمّن تقدير الزائر للمزور ، وتعظيماً منه له ، وتبجيلاً وتهنئة ضمن اقرارٍ واعتراف من الزائر بمقام المزور . واما التأكيد على الزيارة فهو تأكيد لما تتضمنه الزيارة من معنىٰ ، وتأكيد لعظمة المزور وكبير مقامه عند الله تبارك وتعالىٰ ، اذ كلما كان الشخص المزور أكثر عظمة واجل خطراً ، كان التأكيد على زيارته اكثر ، وثواب الوفود عليه اكبر ، وأجر الحضور عنده واللقاء به اعظم ، فحقيقة الزيارة تكون لاظهار مقام المزور وعلو رتبته والاعتراف من الزائر له بذلك ، وهذا مما جرىٰ في العرف ايضاً ، فلو ان احد الامراء ، او الوزراء ، او القادة ، قدّم خدمة ، فبقدر خدمته ، يكون مورداً لاحترام السلطان وتقديره ، وبمقدار اخلاصه في خدمته يُرفع له بين اقرانه درجته ، ويُزاد عليهم رتبته ، ويُهدىٰ له الأوسمة والنياشين ما لم تُهد لغيره منهم ، حتى انه ربما حضر عنده السلطان والوزراء ليهنّئونه بما حصل عليه من رتبة ومقام ويباركون له في ذلك ، ولعل ما تعارف اليوم عند الحكومات من بناء المقام النموذجي ، او التمثال الرمزي للجندي المجهول وتكريمه ، هو من هذا القبيل ، فانه لأجل تكريم الجنود ، والتقدير من خدماتهم التي يؤدّونها تجاه

الحكومات يفعلون ذلك .

ولما كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أكثر الناس خدمة وتفانياً ، واكبرهم اخلاصاً وقُربة الىٰ الله تعالىٰ ، اراد الله لهم ان يكونوا في بيوت اذن الله ان تُرفع ويذكر فيها اسمه ، وأراد من الناس زيارتهم تكريماً لهم وتقديراً من خدماتهم ، لكنه تعالىٰ لم يوجب ذلك على الناس لئلا يقعوا في عناء وتعب ، وعسر وحرج ، وانما أعدّ لمن زارهم عارفاً بحقهم اجراً جزيلاً وثواباً عظيماً بحيث يرغب فيه كل احد ، ويتحمل من أجل حصوله عناء السفر ومشقة الطريق وبُعد البلاد ، لينال شرف الحضور عندهم ، وكرامة الوفود عليهم ، وثواب الزيارة لهم .

[في وجوب الزيارة]

نعم ، كثرة الروايات الواردة والنصوص المحبّذة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام بالخصوص ، والتأكيد الكثير الذي جاء فيها خاصة ، جعل قسماً من الفقهاء يقولون من أجلها بوجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، ولكن الأكثر فهموا منها التأكيد الشديد ، والاستحباب الاكيد على زيارته عليه السلام ، وهذا التأكيد الكبير والثواب العظيم في زيارة الامام الحسين عليه السلام لا يشير الى افضلية الإمام الحسين عليه السلام من جدّه صلى الله عليه وآله والعياذ بالله ، وانما يشير الى دور الإمام الحسين عليه السلام في الحفاظ على اتعاب جدّه وابقاء دينه وقرآنه ، حيث ان مظلومتيه عليه السلام وشهادته منعت تحقق ما نواه المنافقون من طمس آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ، واعفاء رسمه وتحريف دينه وقرآنه ، حتى عرف : ان الاسلام محمّدي الوجود ، حسينيّ البقاء ، فالتأكيد جاء من أجل ذلك .

وعليه : فلا عجب من ان تصرّح الروايات حينئذ : بان زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي واحدة من أعظم الشعائر الدينيّة والقربات الالهيّة ، كما ان اختلاف الروايات في بيان مقدار الثواب الذي يعطيه الله تعالىٰ لزوّار الإمام الحسين عليه السلام مثل ثواب من زار الله في عرشه ، او غفران الله لما تقدم من ذنبه وما تأخر ، او فليستأنف العمل ، او

ثواب تسعين حجة من حجج رسول الله ﷺ او الف حجة ، او غير ذلك ، فانما هو بقدر استعداد السائل والراوي ، فمن كان استعداد تقبّله اكثر بيّنوا عليهم السلام له ثواباً اكبر ، ومن كان اقل ، بيّنوا عليهم السلام له مقداراً أقل ، والا فالأجر الواقعي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام عند الله تعالىٰ هو أكبر من ذلك كله بل هو خارج عن حيطة علمنا ، وحدود فكرنا ودركنا . ثم ان التفاوت فيه انما هو على اثر تفاوت الاستعداد والقبول ، وتفاوت المعرفة والإيمان ، فانه كما قيل : المعروف بقدر المعرفة .

« بشارة »
[الحسنات يُذهبن السيّئات]

ان الذي يظهر من الأخبار الواردة في أجر البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ، وكذلك في ثواب زيارته عليه السلام من غفران الذنوب هو : تفوق احدهما علىٰ الآخر من حيث الآثار والنتائج ، فالبكاء يمنع الباكي ان كان مذنباً من ظهور آثار ذنوبه السيئة على حياته وابتلائه بها وان كانت ذنوبه تكتب وتسجّل عليه في اللوح المحفوظ ، بينما الزيارة تمنع الزائر ان كان مذنباً منهما معاً ، اي : تمنعه من ظهور آثارها السيئة في حياته ، ومن تسجيلها عليه في اللوح المحفوظ أيضاً .

وبعبارة اخرىٰ : ان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يسبّب غفران الذنوب بعد تسجيلها ، لكن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تسبّب عدم تسجيلها رأساً ، فلا تسجّل على الزائر ذنوبه من البداية ، يعني : حيث ان الله تعالىٰ يعلم بان فلاناً سيزور الإمام الحسين عليه السلام وثبت له ذلك عن الله في اللوح المحفوظ ، لم تسجّل عليه ذنوبه في اللوح المحفوظ من الاول ، نعم تسجّل عليه في لوح المحو والاثبات ، فاذا زار الإمام الحسين عليه السلام محيت منه .

ومن هذا البيان ظهر معنى قوله عليه السلام : « غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر » كما ظهر ايضاً معنى قوله عليه السلام : « ان سرّك ان تلقىٰ الله عزّوجلّ ولا ذنب عليك فزر

الحسين عليه السلام » هذا وقد قال تعالىٰ : « ان الحسنات يذهبن السيّئات » .

« اشارة »
[امتيازات زيارة الإمام الحسين عليه السلام]

ان الله تعالىٰ مدح نفسه في كتابه الكريم : بانه شكور يشكر العاملين له والساعين من اجله علىٰ عملهم وسعيهم ، ويقدّر لهم ذلك بمقدار اخلاصهم وصلاحهم ، وقد شكر الله تعالىٰ الإمام الحسين عليه السلام على عمله وسعيه ، وصلاحه واخلاصه ، وخصّه بامتيازات كثيرة منها :

١ ـ فضّل زيارته عليه السلام على بقية الزيارات حتى على زيارة بيته الحرام ، حيث جعل ثواب زيارته عليه السلام اكثر من زيارة بيته .

٢ ـ كرّم زواره عليه السلام على بقية الزائرين حتى على زائري بيته الحرام ، حيث انه تعالىٰ ينظر برحمته في يوم عرفة الى زوّار الإمام الحسين عليه السلام اولاً ثم الى زائري بيته .

٣ ـ قيّد زيارة بيته الحرام بقيود ، وجعلها مشروطة بشروط ، ومركبة من اجزاء ، بحيث لو فقدت شرطاً او نقصت جزءاً بطلت واستوجبت فدية احياناً وكفارة اخرىٰ ، بينما زيارة الإمام الحسين عليه السلام غير مقيّدة بشيء ، وانما جعلها الله بسيطة لا جزء لها ولا شرط ، وان اشترطت بعض الروايات المعرفة في الزيارة ، فهي شرط كمال لا شرط قبول .

٤ ـ شرّف تربة الإمام الحسين عليه السلام واعلىٰ رتبتها ـ كما في الأحاديث الشريفة ـ حتى علىٰ تربة بيته الحرام ورتبتها ، وقد قال السيد بحر العلوم ناظماً ذلك في درّته :

ومن حديث كربلا والكعبة   لكربلا بان علوّ الرتبة

وقد رخّص لأرواح الأنبياء والمرسلين ، والأوصياء والصدّيقين ، والصلحاء والمؤمنين ، والملائكة المقرّبين ان يزوروا الإمام الحسين عليه السلام ليلة كل جمعة ليحظوا عند الله بالمقام الرفيع تشرفاً بتربته عليه السلام ، ولهذا يحظىٰ من زار الإمام الحسين عليه السلام ليلة

الجمعة بزيارة أرواح جميع الأنبياء والمرسلين وينال شرف مصافحتهم حيث يصافحه ـ كما في الروايات ـ روح مائة واربعة وعشرين الف نبي .

٥ ـ حفّ مشهد الإمام الحسين عليه السلام بما لم يحفّ به حتى بيته الحرام ، فقد حفّه بافواج من الملائكة محدقين بقبره عليه السلام وهم يستقبلون زوّاره اذا اقبلوا ، ويشيّعونهم اذا ارتحلوا ، ويؤمّنون على دعائهم اذا دعوا ، ويدعون لهم بالخير والبركة في الزاد والنفقة ، ويعودونهم اذا مرضوا ، ويشيّعونهم اذا ماتوا ، ويستغفرون لهم الى يوم القيامة .

[أوّل من زار الامام الحسين عليه السلام]

وعليه : فزيارة الإمام الحسين عليه السلام تمتاز بما يجعلها فريدة من بين الزيارات بحيث لا يضاهيها زيارة قط ، وزوّاره يمتازون بما يجعلهم متميّزين من بين الزوار بحيث لا يساويهم زائر أبداً ، والسيدة زينب عليها السلام هي من توفقت لزيارة أخيها الإمام الحسين عليه السلام اكثر من غيرها ، ولذلك عظم مقامها وعلا منزلتها بقدر زيارتها له عليه السلام فقد زارته حياً طيلة حياتها ، من صغر سنّها وحتى اللحظات الأخيرة من حياته عليه السلام ، وهو في مصرعه ساجداً لله تعالىٰ على رمضاء كربلاء ، حيث طلبت منه عليه السلام ان يكلّمها ، فقال لها : أُخيّة ارجعي الى الخيام وتكفّلي الأيتام واصبري .

وقد زارته بعد شهادته عليه السلام فانها عليها السلام كانت هي اول من زار الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته ، وذلك ايضاً في مصرعه ، حيث لما وقع عينها عليه وهو بتلك الحالة ـ حالة لم يسمح لها وجدانها تصوره وقبوله ـ خاطبته بتعجب واستغراب وقالت له : « ءأنت أخي ؟ ءأنت ابن امي ؟ ءأنت ابن والدي ؟ ءأنت حمانا ؟ ءأنت رجانا ؟ » ثم التفتت نحو المدينة وهي تخاطب جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول : « يا جدّاه يا رسول الله ! هذا حسينك بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مسلوب العمامة والرداء ، محزوز الرأس من القفا » ثم انحنت عليه تقبّله ووضعت يدها تحت جثمانه الشريف ثم رفعته نحو

السماء وهي تقول : « اللهم تقبّل منّا هذا القربان » .

[زيارة السيدة زينب عليها السلام]

كان هذا الكلام كله في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وبيان جانب من الأجر والثواب المعدّ له ، وطرف من التكريم والاحتفاء الممنوح لزوّاره ، وليس بعيداً ان يكون كل ما في زيارة الإمام الحسين عليه السلام من أجر وثواب ، وتكريم واحترام ، موجوداً في زيارة اخته وشقيقته ، وشريكة نهضته وقيامه ، السيدة زينب عليها السلام لان الله تعالىٰ كما شاء للإمام الحسين عليه السلام ان يراه قتيلاً ،كذلك شاء للسيدة زينب عليها السلام ان يراها سبية ـ على ما جاء في الرواية ـ فالشهادة والسبي معاً أنتجا بقاء الدين ونزاهته ، وسببا بطلان البدع ووهنها ، وقضيا على معالم التشويه والتمويه ، واخزيا حكومة الجور والاستبداد من بني امية واتباعهم الى يوم القيامة ، واذا كان اجر الزيارة وثوابها ـ كما مرّ ـ على قدر تقديم المزور في الله عزّوجلّ واخلاصه لله تعالىٰ ، فهما عليهما السلام شريكان في كلّ ما قدماه ، ومتشابهان في كل ما أصابهما في سبيل الله تعالىٰ ، وان افترق احدهما بنيل الشهادة والآخر بالوقوع في السبي والأسر ، فان هذا الفرق لم يكن فارقاً من حيث الجوهر ، لان آخر ما يصيب الرجال عادة هو القتل والشهادة في سبيل الله ، وآخر ما يصيب النساء هو الأسر والسبي في سبيله تعالىٰ ايضاً .

اذن فكل منهما عليهما السلام بلغ الغاية في ما قدمه وفي ما اصابه ، وهو يقتضي ان يتساويا في المزايا والدرجات ، وكما سبق ان قلنا في ثواب البكاء : انهما عليهما السلام يشتركان فيما اعدّ الله تعالىٰ للباكي عليهما ، فكذلك يشتركان فيما اعد الله تعالىٰ لزائرهما من الأجر والثواب ، وليس ذلك ببعيد .

[التبرّي من قتلة الإمام الحسين عليه السلام]

المطلب السابع من مطالب حديث ابن شَبيب المستدعي للتوقف عنده

والتامل فيه هو : بيان الإمام الرضا عليه السلام احد اركان فروع الدين وتشييد دعامة من دعائمه ، الا وهو التولّي لأولياء الله وقد مضىٰ الكلام حوله في الولاء للإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه وزيارته ، وبقي التبرّي من أعداء الله حيث يشير اليه الإمام الرضا عليه السلام بقوله لابن شبيب : « يابن شبيب ان سرّك ان تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام » فالإمام الرضا عليه السلام يبين ما في التبري من اعداء الله ولعن قتلة الإمام الحسين عليه السلام من أجر وثواب ، ودليل الأجر والثواب على هذا الواجب الشرعي هو : ان التبري من اعداء الله ورسوله واهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله ـ الذي ثبت بالأدلة الأربعة : الكتاب والسنة ، والإجماع والعقل وجوبه ـ يعدّ من الحقوق التي فرضها الله تعالىٰ على عباده اجراً لرسالة نبيّه الكريم سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله حيث قال تعالىٰ مخاطباً رسوله ليقول للناس الذين ارادوا ان يقدموا له اجراً على رسالته : « قل : لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودّة في القربىٰ » فالمودة لأهل البيت هي التولي ، ومعلوم ان التولي لا يكون كاملاً لو لم ينضم اليه التبرّي من اعداء أهل البيت ، فهما جزءان مكمّلان لمعنىٰ ما فرضه الله تعالىٰ من اجر الرسالة ، غير ان التولي للإمام الحسين عليه السلام والتبري من اعدائه وقتلته بالخصوص يمتاز بأجر اكبر وثواب اعظم لما قد مرّ من تفصيل حوله ، ولان الإمام الحسين عليه السلام مع قتلته على طرفي نقيض قد بلغ كل منهما اوجه وذروته ، فالإمام الحسين عليه السلام في قمة الانسانية والخلق الكريم ، وتولّيه يبعث الانسان على التحلّي والاتصاف بما تحلّىٰ به عليه السلام ، وقتلته في ذروة السبعية والقسوة ، والضراوة والشراسة ، والتبري منهم يحمل الانسان على التخلّي والاجتناب عما اتصفوا به ، وهذان معاً يكمّلان الانسان ويبلغان به الخلق الكريم : وهو الهدف المنشود من قيام الإمام الحسين عليه السلام .

[اعظم العبادات في الاسلام]

اذن : فالتبري ـ لدوره الكبير المكمّل لانسانية الانسان ـ ان عُدّ من اعظم

العبادات في الاسلام ومن اهم فروع الدين ، لا يكون عجباً ، كيف وقد كان اول المتبرّين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام هو الله تبارك وتعالىٰ حيث لعن قتلة الإمام الحسين عليه السلام واوجب على نفسه وهو الغفور الرحيم ، قابل التوب وغافر الذنب ، ان يعذبهم ويخزيهم ، وان لا يقبل توبتهم ولا يغفر لهم ابداً .

كما ان المتبرّين منهم بعد الله تعالى هو الرسول جدّ الامام الحسين عليه السلام الذي بعث الله رحمة للعالمين ، وشفيعاً للمذنبين ، حيث ينال شفاعته كل العصاة والمذنبين دون قتلة الامام الحسين عليه السلام فانهم محرومون من شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم كما قال : « لا انالهم الله شفاعتي » .

أترجوا امة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب ؟

وكذلك قد تبرّأ منهم كل الأنبياء والمرسلين ، وملائكة الله المقرّبين ، وكل الأخيار والأبرار والمؤمنين والمؤمنات ، ومن له نصيب من الانسانية والخلق الكريم ، ومن تبرّأ منهم ولعنهم بالخصوص هم الأئمة الطاهرون عليهم السلام وبالأخص منهم هي السيدة زينب عليها السلام وذلك في مواقف عديدة في الكوفة وفي الشام ، وفي مجلس ابن زياد وحفل يزيد بن معاوية ، حتى ان ابن زياد عزم على قتلها من شدة وقع تبرّيها عليها السلام منه ولعنتها اياه ، وقد قال بعض المحقّقين في معنىٰ هذه الفقرة من عبارة المقاتل : « دخلت زينب بنت علي عليها السلام على ابن زياد وهي تستر وجهها بكمّها » ان سبب تستّرها عليها السلام بكمّها هو : اظهار تبرّيها واعلان نفرتها من ابن زياد ومن هو في مجلسه استنكاراً لهم وتنديداً بعملهم ، والاّ فانها عليها السلام لم تكن مكشفة ، وسلبها قناعها لا يستلزم كشفها ، لان القناع هو ما يلفّ حول الرأس ولا ربط له بالوجه ، وانما الذي يستر الوجه هو العباءة وذلك باسدالها على الوجه وتسمّىٰ بالجلباب ايضاً ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يُدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ فالسيدة زينب عليها السلام استطاعت بعملها ذلك وبكلامها السديد في ذلك المجلس ان تبرهن على كفر ابن زياد وارتداده ، مما ادى الى تنبّه الكثير وانقلابهم على ابن زياد ، وفي اعتقادي وانا الأقل ان احتجاج السيدة

زينب عليها السلام على ابن زياد في ذلك المجلس ، وكذلك على يزيد في مجلسه ، كان من العوامل المؤثرة في انقراض بني امية وسقوطهم ..

« اشارة »
[التبرّي من اعداء السيدة زينب عليها السلام]

ان الثواب المذكور للتبري من اعداء الإمام الحسين عليه السلام ومن قتلته ، والأجر العظيم المعدّ للمتبرين منهم ، هو بكامله موجود للتبري من اعداء اخته السيدة زينب عليها السلام وللمتبرين ممن ظلموها واسروها ، وذلك لان الملاك الذي كان وراء كل ذلك الثواب الموجود في التبري من قتلة الإمام الحسين عليه السلام هو بنفسه موجود في التبري من ظالمي السيدة زينب عليها السلام وسابيها ، وكيف لا ، والهدف واحد ، والعدو هو هو ؟

« اشارة اخرىٰ »
[المودّة بين التولّي والتبرّي]

ان المودّة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة سبطه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام التي هي أجر الرسالة وقد فرضها الله تعالىٰ على المسلمين كافة في كتابه الكريم ، كما تستدعي اعلان الولاء لهم بكل ما يفصح عن الولاء ، من الاحتفال بذكريات مواليدهم ، والحداد ايام شهادتهم واقامة مجالس العزاء واحياء الشعائر الحسينية ، وما شابه ذلك من نشر الكتب والمقالات ، والبث عبر الافلام والمسرحيات ، وغير ذلك ، كذلك تستدعي التعبير عن التبرّي من اعدائهم وقتلتهم ، وبيان مساوئهم ومطاعنهم كما سجلها عليهم التاريخ ، وذلك بلا زيادة ونقيصة ، فان في هذا الأخير الذي هو مكمّل لمعنى المودّة ومتمم له ، اجراً عظيماً وثواباً كبيراً ، لما فيه اضافة الى وجوبه وعباديته تنفير الناس والمجتمعات من اعداء المعصومين

وقتلتهم ، وتحذيراً لهم من الانطباع باخلاق مثل هؤلاء القتلة والسفاكين ، والظلمة والمستبدين ، الذين اصبحوا لعنة التاريخ ومسبّة الأجيال والأُمم في الدنيا ، ووقود جهنم في الآخرة وبئس المصير .

[تمنّي الشهادة]

المطلب الثامن من مطالب حديث ابن شبيب الذي يستحق التأمل والوقوف قليلاً عنده هو : بيان الإمام الرضا عليه السلام بعض ما للحب والبغض من دور كبير وأثر بالغ في الحاق الإنسان بمن يحبه ، واشراكه في عمله لو أحب عمله ورضي به وتمنّىٰ مشاركته ، وذلك بقوله عليه السلام : « يابن شبيب ان سرّك ان يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليهما السلام فقل متى ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » . وهذا هو معنىٰ ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آبائه عليهم السلام من قبل : « من أحب عمل قوم اشرك في عملهم » ولقد قال مثل ذلك الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري عند ما زار قبر الإمام الحسين عليه السلام في أول اربعين من شهادته عليه السلام وقال : « والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً ، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه » فقال له عطية العوفي وكان معه : كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرّق بين رؤسهم وابدانهم ، وأوتمت اولادهم ، وارملت أزواجهم ؟ فقال له جابر : « اني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من احب قوماً كان معهم ، ومن احب عمل قوم اشرك في عملهم ، والذي بعث محمداً بالحق نبياً ، ان نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضىٰ عليه الحسين وأصحابه » .

لا يقال : كيف يمكن ان يكون للعامل مع شدّة عنائه ، وللراضي فقط بلا عناء ، ثواب واحد ؟

لانه يقال : لما في النية الحسنة من أجر وثواب ، ولان الله تعالىٰ يحب تصحيح النية ويثيب عليها ، اضافة الى ان قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية اصطدام الحق مع

الباطل ، واصطكاك الملاك بالشيطان ، والراضي بعمل الإمام الحسين عليه السلام الناقم على قتلته ، يتحلّى عفوياً باخلاق الإمام الحسين عليه السلام ويبتعد عن صفات قتلته ، فيندرج في جملة الملائكة ويخرج من اطار الشياطين ، ويعترف بالحق وينفصل عن الباطل ، وهو هدف كبير يستحق في تحققه الوعد بهذا الأجر الجزيل والثواب الجليل . ثم ان السيدة زينب عليها السلام هي أول من تمنّت في يوم عاشوراء الشهادة ، وودّت لو سُمح لها بالجهاد ، واذن لها في القتال ان تفدي أخاها بنفسها ، وتقيه بروحها ، لكنها هي العالمة غير المعلّمة ، والفهمة غير المفهّمة ، تعرف أحكام الاسلام وتحفظ حدوده ، فبقيت هي في الخيام ، وقدمت ولديها يقاتلان بين يدي أخيها الإمام الحسين عليه السلام حتى فدّيا انفسهما له ورزقا الشهادة في نصرته .

« اشارة وبشارة »

[تمنّي النصرة]

ثم ان ما ذكره الإمام الرضا عليه السلام في ثواب المتمنّي للشهادة مع الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء والقائل : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ، يكون كله لمن تمنّىٰ حضوره يوم عاشوراء ليدفع عن السيدة زينب عليها السلام اعداءها وينصرها على ظالميها ، وذلك لانهما كما مضى كانا شريكين في اداء الواجب الذي كتبه الله عليهما من الشهادة لاحقاق الحق وابطال الباطل ، ومن الأسر لتحقيق الهدف الذي استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجله .

[الإنسان مع من أحب]

المطلب التاسع والأخير من مطالب حديث ابن شبيب الذي يجدر الوقوف عنده والتأمل فيه هو : بيان الإمام الرضا عليه السلام بعض علامات الشيعة وصفات الموالين لأهل البيت عليهم السلام وما اعدّه الله لهم من الثواب العظيم والأجر الجزيل ، وذلك

بقوله عليه السلام : « يابن شبيب ان سرّك ان تكون معنا في الدرجات العلىٰ من الجنان ، فاحزن لحزننا ، وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا ، فلو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله عزّوجلّ معه يوم القيامة » وهو يشبه الحديث المشهور القائل : « شيعتنا منا ، خلقوا من فاضل طينتنا ، يحزنون لحزننا ، ويفرحون لفرحنا » . فكلا الحديثين يبيّنان معيار التشيع وصفات الانسان الشيعي ، بحيث يستطيع كل انسان ان يقيس نفسه بها ليعرف هل انه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ام لا ؟ علماً بان التشيّع مقام رفيع عند الله يتمنّاه الأنبياء المقرّبون ، وقد اعد الله لأهل هذا المقام علوّ الدرجات ووعدهم مواهب وعطايا منها : انه تعالى جعل لهم على نفسه ان يغفر لهم ، ومنها : انه تعالىٰ خصّهم بما لم يخصّ به احد من المقربين ، حتى انه لما كشف لابراهيم الخليل عن مقامهم تمنّىٰ لنفسه ذلك المقام ، فقيل له : ان هذا مقام من شايع علياً عليه السلام ، فسأل ابراهيم ربه ان يجعله من شيعة علي عليه السلام ، فاستجاب الله تعالىٰ له دعاءه واخبر عنه في كتابه قائلاً : « وان من شيعته لابراهيم » .

[بين الائمة عليهم السلام وشيعتهم]

ثم انه لا يخفىٰ كيفية الترابط بين حزن ائمة اهل البيت عليهم السلام وحزن شيعتهم ، وكذلك بين فرحهم عليهم السلام وفرح شيعتم ، لانهم عليهم السلام وشيعتهم من طينة واحدة ، فمثلهم عليهم السلام ومثل شيعتهم كمثل الروح وسائر الأعضاء ، فاذا اصاب الروح ضرّ وبلاء تأثر له سائر الأعضاء ، واذا مسّه رخاء وعافية ، ابتهج له بقية الأعضاء ، يعني : اذا اصاب الإمام ضر أصاب ذلك شيعتهم ، واذا مسّه خير مسّ شيعتهم . وهكذا يكون العكس ، فلو اصاب الأعضاء بلاء تأثر لها الروح ، واذا عرضها رخاء ابتهج لها الروح ، يعني : لو أصاب الشيعة شر تأثر به الإمام ، واذا مسها خير فرح منها الإمام ، وذلك على ما في الأخبار .

هذا هو بالنسبة الى التشيّع لأهل البيت عليهم السلام وعلامات الشيعة ، واما بالنسبة

الى الولاء لأهل البيت عليهم السلام وعلامات الموالين لهم فانه بعد اهمية الولاء والولاية ، حيث ورد عنهم عليهم السلام في حديث مستفيض : « بُني الاسلام على خمس ... خامسها : الولاية » ثم قالوا : « وما نودي بشيء منها بمثل الولاية » يُعلم ان معيار الولاء فيما اذا اراد الانسان ان يعرف نفسه انه من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ام لا ؟ هو : ان يختبر نفسه في انه هل يوالي موالي اهل البيت عليهم السلام ام لا ؟ فانه : « من احب شيئاً أحب آثاره » وان : « صديق الصديق : صديق » فعلىٰ من يدّعي الولاء لأهل البيت عليهم السلام وهو يعادي مواليهم ، او العياذ بالله يسيء اليهم ويظلمهم ، او يغشهم ويخدعهم ، او يغتابهم ويبهتهم : او ما الى ذلك مما هو يخالف ادعاء الولاء لأهل البيت عليهم السلام أن يجدّد النظر في ولائه ، وان يرجع عن ذلك ويعتذر اليهم ان كان صادقاً في ادعائه ، والا فان من يدعي شيئاً ويعمل شيئاً آخر ، فان عمله يكذّب قوله ، بينما خير الأقوال ما أيدته أو صدّقته الأعمال ، وكذا على من يدّعي الولاء لأهل البيت عليهم السلام وهو العياذ بالله يوالي اعداء أهل البيت عليهم السلام او يكنّ لهم المحبّة ويدافع عنهم ، او يوجّه أخطاءهم ويعذّرهم ، او غير ذلك مما يتنافىٰ مع الولاء لأهل البيت عليهم السلام اذ لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فعليه ان يجدّد النظر في ولائه .

ثم لا يخفىٰ علىٰ أحد ان السيدة زينب عليها السلام هي قمة في التشيّع والولاء ، اذ لا يضاهيها شيعي ولا يدانيها موالٍ من سائر المسلمين .

« اشارة »
[أحبّ الله من أحبّ حسيناً]

ثم ان الذي يستفاد من الأخبار والروايات هو : ان لمحبة الإمام الحسين عليه السلام ومودته ـ رغم وجوبها على كل مسلم ـ امتيازات خاصّة تميّزه عن محبّة غيره ، ففي الحديث الشريف : « ان للحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين محبّة مكنونة » وفي حديث آخر : « احبّ الله من أحبّ حسيناً » وغير ذلك مما يشير الى ان محبّة الإمام

الحسين عليه السلام هي في مقدمة الطاعات والعبادات ، بل فوق كل طاعة وعبادة ، ولها أجر خاص ليس لغير محبّته عليه السلام من العبادات والطاعات مثل اجرها ، كيف لايكون كذلك ، وقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام في محبّة الله كل شيء حتى نفسه الزكية ، وضحّىٰ من أجل محبّة الله كل ما عنده حتى طفله الرضيع ؟ وبتضحياته تلك العظيمة ، استطاع عليه السلام تثبيت محبّه الله في قلوب المؤمنين جيلاً بعد جيل ، حتى صار حبّه طريقاً الى محبة الله تبارك وتعالىٰ ؟ ولذلك نرىٰ ان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه ، واباه امير المؤمنين عليه السلام يحبّه ، وامه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام تحبّه ، وكل المعصومين عليهم السلام يحبّونه ، ويبالغون جميعهم في حبّه مما يتجاوز حبّهم له عن حبّ الأبوة والنبوّة وحبّ القرابة والأخوة ، فان كل ذلك الحب انما هو لان حبّه عليه السلام فوق كل الطاعات والعبادات .

« اشارة اخرىٰ »
[هل الدين الاّ الحب ؟]

ثم ان محبة السيدة زينب عليها السلام ومودتها ، كمحبة اخيها الإمام الحسين عليه السلام ومودته ، من أعظم الطاعات والعبادات ، ومن افضل القربات الى الله تعالىٰ ، كيف لا ، وقد بلغت في محبة الله وكذلك في محبة اخيها الإمام الحسين عليه السلام مقاماً رفيعاً لا يمكن لأحد تصوره ، وذلك على ما سيأتي بيانه انشاء الله تعالىٰ وتفصيله في خصيصة محبتها عليها السلام ، جعلنا الله تعالىٰ من محبّيها ، آمين رب العالمين .

كان هذا بعض ما تيسّر لنا من الحديث حول ألقاب السيدة زينب عليها السلام ، وسوف نبدأ باذن الله تعالىٰ وتوفيقه بعد ذلك في بيان بعض ما لها عليها السلام من الكمالات الروحية والجسمية ، والمقامات المعنوية والمادية ، فانها عليها السلام الحوراء الانسية . والانسية الحوراء ، مقدّمين البحث عن كمالها المادي والجسمي مستعينين بالله تعالىٰ في بيان ذلك ، انه ولي التوفيق وهو خير معين .

الخصيصة العشرون

« في أنها عليها السلام الكاملة الرشيدة »

يمتاز المعصومون من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على سائر الناس بالكمال الروحي والمعنوي يعني : انّهم عليهم السلام القمّه في الأخلاق ، في الصدق والاخلاص ، والعطف والصفاء ، والكرم والوفاء ، وما الى ذلك من المكارم والصفات الانسانية النبيلة ، وكذلك يكونون من حيث الجسم والمادة يعني : انّهم عليهم السلام القمة ايضاً في الجمال الجسماني والمادي ، فليس في جسمهم نقص ولا عيب ، ولا ما تشمئز منه النفوس ، بل انهم يفوقون الجميع من هذه الجهة ايضاً ، فهم عليهم السلام القمة خَلقاً وخُلقاً ، وقد ورّثوا هذا الكمال الروحي والجمال الجسماني ابناءهم وذريتهم . ومن ابنائهم وذريتهم السيدة زينب عليها السلام فانها كما ورثت منهم الكمال الروحي والمعنوي ، فكذلك ورثت منهم الجمال الجسماني والمادي ، فقد أشبه خَلقها خَلق جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشبه نُطقها نُطق ابيها امير المؤمنين عليه السلام ، واشبه جلالها وهيبتها جلال جدتها خديجة الكبرىٰ عليها السلام وهيبتها ، واشبه صَونها وعفافها عفّة امها فاطمة الزهراء عليها السلام وصونها ، واشبه سعة صدرها ورحابته سعة صدر اخيها الإمام المجتبىٰ عليه السلام ورحابته . واشبه تجلّدها وشجاعتها تجلّد اخيها الإمام الحسين عليه السلام وشجاعته ، ولا يكون ذلك منها عليها السلام عجباً بعد أن عرفت انها من أهل بيت قد خصّهم الله تعالىٰ بالكمال والجمال روحاً وجسماً ، ومعنىً ومادة .

الخصيصة الواحدة والعشرون

« في أنها عليها السلام كانت نوراً في الأصلاب الشامخة »

ثم انا نود أن نشير في هذه الخصيصة الى شيء من أحوال السيدة زينب عليها السلام المرتبط بولادتها المباركة ونشأتها الكريمة ، ناقلين ذلك عن كتاب : « بحر المصائب » فانه قد جاء فيه عن تاريخ ولادتها : بانها عليها السلام ولدت في شهر شعبان المعظم وفي السنة السادسة من الهجرة المباركة ، وقد رجّحنا سابقاً هذا القول على ما جاء منقولاً في كتاب « الطراز المذهب » والآن حيث تتّبعنا تاريخ السيدة زينب عليها السلام ونقّبنا فيه عن أحوال ولادتها ونشأتها ، انكشف لنا عن ان تاريخ ولادتها مُردّد بين السنين : الخامسة والسادسة والسابعة ، وسبب هذا الاختلاف هو الاختلاف في تاريخ ولادة الإمام الحسين عليه السلام فقد ذكر الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه « الارشاد » : ان ولادة الإمام الحسين عليه السلام كان في اليوم الخامس من شهر شعبان المعظم من السنة الرابعة للهجرة وقد ذكر الشهيد الأول في كتابه « الدروس » : ان ولادة الإمام الحسين عليه السلام كان في أواخر ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية .

وعلى كل من القولين يضاف مدة الحمل بالسيدة زينب عليها السلام وهي تسعة أشهر حسب المتعارف ، بعد اضافة حولين كاملين للرضاعة ، وذلك حسب المتعارف ايضاً وحسب قوله تعالىٰ : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ وهي الآية المختصة بالإمام الحسين عليه السلام والمشيرة الى مدّه حمله عليه السلام حيث انها كانت ستة اشهر فقط ، فاذا انضمّت الى مدة الرضاع صارت ثلاثين شهراً ، فكانت مدة حمل الإمام الحسين عليه السلام الى يوم فطامه ثلاثين شهراً .

وعليه : فاذا ضممنا سنتين وتسعة اشهر ـ وهي المدة الفاصلة بين الولادتين ـ الى القول الأول وهو قول الشيخ المفيد صار تاريخ ولادة السيدة زينب عليها السلام في العشر الأواخر من ربيع الثاني من السنة السابعة للهجرة ، واذا ضممناها الى القول الثاني وهو قول الشهيد الأول صار تاريخ ولادتها عليها السلام في محرم الحرام سنة ستة هجرية .

[تعاقب الولادتين]

هذا وقد نقل عن بعض المحقّقين انه قال : « ما كان بين الإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام الا طهر واحد ، او شهر واحد » ويقصد بالطهر هنا ـ مع ان فاطمة الزهراء عليها السلام هي الطاهرة المطهرة ، والعذراء البتول ، المنزّهة عما تراه النساء ـ اقل ايام الطهر المتعارف عند سائر النساء وهو عشرة أيام . ويؤيد هذا القول ـ وهو : كون الفاصل بين ولادة الإمام الحسين عليه السلام وولادة السيدة زينب عليها السلام : عشرة اشهر ، مركب من طهر ، او شهر واحد ، وتسعة اشهر الحمل ـ ما جاء في التاريخ وفي روايات الكافي وغيره من ان ارتضاع الإمام الحسين عليه السلام لم يكن كسائر الأطفال من امه ، بل كان مرتضعه من انامل جده رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يتقلص الفاصل الى طهر واحد ومدة الحمل فقط . وعليه : فيكون الفاصل بين الولادتين عشرة اشهر ويصير تاريخ ولادتها عليها السلام على هذا القول اوائل جمادى الاولى من السنة الخامسة للهجرة . ولعل ما جاء في بعض الروايات : من ان تاريخ ولادة الإمام الحسين عليه السلام في الخامس من جمادى الاولىٰ ، هو تاريخ ولادة السيدة زينب عليها السلام وفق هذا القول ، الا انه أصابه سهو او تصحيف . ويؤيد هذا القول ما رواه ثقة الاسلام الكليني (عطّر الله مرقده) في كتابه القيّم « الكافي » عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : « كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر ، وكان بينهما في الميلاد ستة اشهر وعشراً ، واراد بالطهر تعداد أقل زمانه وهو عشرة ايام » .

اذن : فما اقرب فاصل الطهر بين ولادة الامام الحسين عليه السلام وبين الحمل

بالسيدة زينب عليها السلام ؟ ولعل هذا لم يكن مختصاً بهما عليهما السلام ، بل كان مما يعم كل اولاد فاطمة الزهراء عليها السلام بحيث كان يفصل بين ولادة كل واحد منهم وحمل الآخر طهر واحد وليس هذا على الله بعزيز .

وكيف كان : فان حمل فاطمة الزهراء عليها السلام بابنتها الكريمة زينب عليها السلام كان بعد اخيها الإمام الحسين عليه السلام بفاصل لا يتجاوز مدته الطهر الواحد ، حيث انتقلت بعد ذلك من صلب ابيها امير المؤمنين عليه السلام الطاهر الى رحم امها فاطمة الزهراء المطهّر ، فكانت كما جاء في بعض الزيارات : نوراً في الأصلاب الشامخة ، والأرحام الزكية المطهّرة ، فان نورها المتألق الذي كان محدقاً بسرادق العظمة والجلال قد تفرّع من نور امها المقدس ، واشتغل بالتسبيح والتقديس حتى اختير له أطيب وعاء من نسل خير المرسلين وخاتمهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فانتقل اليها وانفصل منها ، فاصبح نورها عليها السلام كنور امها الزهراء ، غير ان نور الزهراء عليها السلام كشف الله تعالىٰ به الظلمات عن الملائكة ، ونور السيدة زينب عليها السلام كشف الله تعالى به الظلمات عن البشر .

ثم انه حسب العادة البشرية والسنن الطبيعية الكونية ، دام استقرارها المدة المقرّرة في عالم الرحم . ثم نوّر طلعتها الغرّاء وجه هذا العالم ، واضاء نورها المشرق زوايا الكون ، وشرّف قدومها المبارك ساكني كرة التراب ، وتم ولادتها ـ علىٰ ما ذكرناه ـ في الخامس من شهر جمادى الاولى من السنة الخامسة او السادسة للهجرة في المدينة المنورة ، ولقد اجاد من قال :

« اشرقت شمس زينب بضياها فاضائت بنورها ما سواها »

[استنتاج]

وعلى ما ذكرناه يكون عمر السيدة زينب عليها السلام حين ارتحال جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا الدنية خمس سنوات او ست ، وقد شكّل ارتحال جدها

عنها اول المصائب عليها ، ثم انه لم يمض على ذلك الا اياماً قليلة حتى اعقبها مصاباً آخر ، ألا وهو ارتحال امها الزهراء عليها السلام مظلومة شهيدة ، وبعد ذلك تكفلها واختها ام كلثوم ابوهما امير المؤمنين عليه السلام وربّاهما في حجره ، وكان قد اختار امير المؤمنين وبوصية من فاطمة الزهراء عليها السلام الزواج من بعدها بامامة بنت اختها ، وكانت أمامة هذه من النساء المثاليات الصالحات ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها حباً كثيراً . ولذا لما جائت الى بيت امير المؤمنين عليه السلام أبدت لاولاد رسول الله صلى الله عليه وآله واولاد خالتها الامامين الهمامين : الحسن والحسين ، والسيدتين : زينب وام كلثوم حناناً كبيراً وشفقة جمة وخدمتهم بكل اخلاص ووفاء . وبرواية ناسخ التواريخ : انه لما قضت فاطمة الزهراء عليها السلام شهيدة مظلومة ، وخلت دار امير المؤمنين عليه السلام منها ، كان الامامان : الحسن والحسين عليهما السلام يجلسان مقابل ابيهما امير المؤمنين عليه السلام يبكيان من فراق امهما ، وكانت السيدتان : زينب وام كلثوم يلفّان راسيهما بمقنعة ، ويغطّيان هندامهما بعباءة ، ثم يجرّان ذيلهما متجهين نحو ابيهما امير المؤمنين عليه السلام وهما يردّدان وينشجان : يا ابتاه يا رسول الله ، الآن صدّقنا فقدك ، وأحسسنا فراقك ، وعلمنا ان سوف لن نراك ابداً .

[نشوء السيدة زينب عليها السلام]

نعم ، لقد نشأت السيدة زينب عليها السلام في حجر أبيها امير المؤمنين عليه السلام وتربّت على يديه ، وتثقفت بثقافته حتى بلغت أشدها ، وعندها اشتهرت ـ كما في كتب السيرة والتاريخ من الخاصة والعامة ـ من بين نساء قريش ، ومخدرات بني هاشم ، وبنات آل عبدالمطلب ، بكثرة العبادة والزهادة ، وبتمام الحياء والعفة ، وبوفور العقل والحكمة ، وبكمال الأخلاق والآداب ، وبنهاية المهابة والجلالة ، بل انها عليها السلام اصبحت تمثل وبجدارة مليكة العرب والعجم السيدة خديجة الكبرىٰ عليها السلام ومليكة الأنبياء فاطمة الزهراء عليها السلام ، ولذلك كان ابوها امير المؤمنين يكنّ لها غاية الاحترام

والتبجيل ، حتى انها اذا ارادت التشرّف بزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تتشرف ليلاً وذلك بعد ان يأمر ابوها امير المؤمنين عليه السلام باطفاء اضوية المسجد ، وكان يصحبها هو واخواها الامامين : الحسن والحسين عليهما السلام ذهاباً واياباً .

وجاء في بعض كتب التاريخ وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ان الاشعث بن قيس الكندي ـ الذي كان هو احد زعماء كنده ورؤسائها ـ خطب السيدة زينب بنت علي عليهما السلام من ابيها امير المؤمنين عليه السلام فتغيّر عليه السلام من ذلك ونهر الاشعث بقوله : كيف تجرّأت على خِطبة السيدة زينب ، مع انها شبيهة جدتها خديجة الكبرىٰ ، وربيبة العصمة ، ورضيعة ثدي الايمان ، ومثلك ليس كفواً لها ، ولا اهلاً لان يكلّمها ، كيف وهي خلف الزهراء البتول ؟

« اشارة »

[بين الموقفين]

سبق ان امير المؤمنين عليه السلام قد تغير عندما خطب اليه الأشعث بن قيس ، وابىٰ ان يكون مثله كفواً لان يكلّمها ، او اهلاً لأن يحدّثها ، فكيف به عليه السلام لو كان حاضراً ، وقد أُدخلت السيدة زينب عليها السلام اسيرة الى ابن زياد وأخذ ذلك الطاغية يكلّمها بكلام السفلة الشامتين ، ويستهزئ بها استهزاء الجبابرة الطاغين ؟ فانه من الفرق بين الموقفين : موقف الأشعث بن قيس ، وموقف ابن زياد من السيدة زينب عليها السلام يُعلم حال امير المؤمنين عليه السلام وتاثره مما جرىٰ على ابنته المظلومة من بعده .

[مع عبدالله بن جعفر]

ولما مضىٰ سبعة عشر عاماً من هجرة النبي صلى الله عليه وآله ـ وبلغ عبدالله بن جعفر الطيار ـ المعروف بالنبل والكرم ـ اشدّه واستوى . اقبل الى عمّه امير المؤمنين عليه السلام يخطب منه كريمته ، ويعرض عليه رغبته في الزواج من ابنته الموقّرة السيدة زينب عليها السلام ،

وحيث كان عبدالله هذا من حيث الحسب والنسب ، والجلال والأدب كفواً للسيدة زينب عليها السلام واهلاً لقرانها والزواج منها ، لبّىٰ امير المؤمنين عليه السلام طلب ابن اخيه ونزل الى رغبته بعد أن عرض ذلك على ابنته الكريمة وعرف منها موافقتها عليه ورضاها به .

وهنا لا بأس بذكر شطر من تاريخ السيد الكريم ، والنبيه الحليم : عبدالله بن جعفر زوج السيدة زينب عليها السلام وابن عمها الوفي تيمّناً وتبرّكاً ، فلقد تولّد عبدالله بن جعفر الطيار في بلاد الحبشة ، وذلك في ايام تواجد أبيه جعفر بن ابي طالب عليه السلام في بلاد المهجر حيث هاجر اليها هو وجماعة من المسلمين ، وكانت ولادته من امٍ كريمة، ووالدة حنون ، عرفت بوفور العقل والحنكة في الفكر ، وهي : اسماء بنت عميس ، فانها قد ولدت هناك لجعفر بن ابي طالب عليه السلام ثلاثة ذكور هم : عبدالله ، وعون ، ومحمد .

وكان سبب هجرتهم من مكة المكرمة الى الحبشة اذىٰ المشركين لهم ، فان مشركي قريش لما اشتدّ أذاهم للمسلمين في مكّة ، اشتكىٰ المسلمون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهم بالهجرة الى الحبشة معللاً ذلك بان عليها ملكاً عاقلاً عادلاً ، لا يجور على من تواجد في مملكته ، وعاش في ارضه وتحت سلطانه ، فهاجر جمع من المسلمين يتجاوز عددهم سوى النساء على الثمانين رجلاً ، يزعمهم جعفر بن ابي طالب عليه السلام .

[الهجرة الى الحبشة]

روى عن ام سلمة انها قالت ما مضمونه : انا لما هاجرنا الى الحبشة ونزلنا فيها ، واقمنا في جوار النجاشي ، احسن النجاشي الينا كثيراً ، وعاملنا بالعدل والانصاف ، فكنا نمارس طقوسنا الدينية بكل حرية ، ونعبد الله تعالىٰ على طريقة الاسلام ، ولم يكن احد يتعرض لنا بسوء ، او يستنكر علينا شيئاً من ديننا ، فلما عرف المشركون ذلك بعثوا بهدايا نفيسة مع مبعوثَين من قبلهم هما : عبدالله بن ربيعة

المخزومي ، وعمرو بن العاص ، الى النجاشي ، ليطلبا منه تسليم المسلمين اليهما حتى يرجعاهم الى بلدهم مكة ، اضافة الى هدايا اخرى يرشوا بها البوّابين وحجبة النجاشي ووزرائه ورجال بلاطه ، حتى يساعدوهما في مهمتهما ، ويعينوهما على امرهما .

فلما وصلا الى البلاط ودخلاه ، قدّما ما كان معهما من هدايا الى النـجاشي وقالا : ان جماعة من سفهاء شبابنا قد أعرضوا عن دين آبائهم ، وتركوا ملة قومهم وعشيرتهم ، وهاجروا من مسقط رأسهم وبلادهم الى بلادك ، ولم يدخلوا في دين عيسىٰ ، بل اختاروا لانفسهم ديناً جديداً ، فرأىٰ رؤس قومنا ، واشراف قبيلتنا ، ان يبعثونا اليكم ، يطلبون منكم تسليمهم الينا حتى نرجعهم الى مكـة ، ونـردّهم الى مسقط رؤسهم ونخلّي بينهم وبين قومهم وعشيرتهم .

فلما انتهىٰ كلامهما ، ايّدهما الوزراء ورجال البلاط وصوّبوا كلامهما ، واشاروا على النجاشي بتسليم المهاجرين اليهما .

فلما سمع النجاشي كلام مبعوثي قريش ، ورأىٰ تأييد وزرائه ورجال بـلاطه لهما ، استشاط غضباً وقال : قسماً بالله تعالىٰ ، لن اسلّم جماعة استجاروا بي ، ونزلوا في بلادي ، الى اعدائهم ، ولكن سوف اطلبهم لأرى رأيهم واسمع كلامهم ، وأطّلع على حقيقة امرهم .

[في بلاط النجاشي]

ثم ان النجاشي أرسل اليهم من يدعوهم اليه ويطلب حضورهم عنده ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل اذا جئتموه ؟ قالوا: نقول له والله ما علّمنا وما أمرنا به نبيّنا صلى الله عليه وآله كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاؤا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين احد من هـذه

الملل ؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن ابي طالب عليه السلام فقال : ايها الملك ، كنا قوماً اهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، واداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدّقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، واحللنا ما أحلّ لنا ، فعدىٰ علينا قومنا ، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالىٰ ، وان نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ان لا نُظلم عندك ايها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك ما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ . فقرأ عليه : ﴿ **بسم الله الرحمٰن الرحيم ، كهيعص ، ذكر رحمت ربّك عبده زكريا ، إذ نادى ربّه نداءاً خفيّاً** ﴾ ثم قرأ حتى وصل الى قوله تعالىٰ : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم ، اذِ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيّاً ، فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً ...** ﴾ فبكىٰ النجاشي حتى اخضلّت لحيته ، وبكت اساقفته حتىٰ أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم . ثم قال لهم النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسىٰ ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم قال لمبعوثي قريش : فلا والله لا اسلّمهم اليكما ، ولا يُكادون .

[المسيح في اعتقاد المسلمين]

فلما انفضّ المجلس وخرجوا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله سوف ارجع الى النجاشي غداً ، وادلّه على عيوب لهؤلاء المهاجرين لا يتحمّلهم النجاشي بعدما يطلع عليها ابداً ، فقال له عبدالله بن ربيعة : لا تفعل ذلك فان لهم معنا رحماً وقرابة ، فقال عمرو : والله سأقول للنجاشي ان هؤلاء الجماعة يعتقدون بأن عيسىٰ بن مريم عبد مربوب . ولذا لما كان اليوم الثاني عاد عمرو بن العاص الى النجاشي واخبره بذلك ، فارسل النجاشي الى المسلمين المهاجرين يسألهم عن عقيدتهم بالمسيح ، فاستشار المسلمون فيما بينهم عما يجيبون به الملك اذا سألهم عن المسيح ؟ فقال لهم جعفر : لا نقول له الا ما اخبرنا ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالىٰ في المسيح ابن مريم ، فلما حضروا عند النجاشي سألهم قائلاً : ماذا تقولون في عيسىٰ المسيح ؟ فقال جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو : « انه عبدالله ، ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول » فلما سمع النجاشي ذلك ضرب بيده الأرض وأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسىٰ بن مريم ما قلت ، هذا العود . ثم توجه الى المهاجرين المسلمين وقال لهم : اذهبوا فانكم آمنون وليس لأحد حق التعرض لكم ، ثم قال لمن حوله : ردّوا على مبعوثَي قريش هداياهم ، فانه لا حاجة لنا بها ، فوالله انه لما ردّ الله تعالىٰ عليَّ ملكي لم يأخذ مني تعالىٰ رشوة عليها . وكان كلامه هذا اشارة الىٰ ما سبق من اخراج المعتدين الملوكية والسلطة من يد أبيه ووقوعه هو في الأسر بايديهم ، ثم نصره الله تعالىٰ على المعتدين فاستعاد الملوكية وجلس على سرير الملك .

ثم ان مبعوثَي قريش باءا بالفشل ، ورجعا الى مكة خائبَين ، كما ان حصيلة هذه الصدامات ، وما جرىٰ من لقاءات مع النجاشي كان هو اسلام النجاشي سراً ، واعتقاده بالاسلام باطناً .

[النجاشي والمسلمين المهاجرين]

وروى ابو نعيم الاصبهاني ما مضمونه ، ان جعفر بن ابي طالب عليه السلام لما طلب النجاشي حضورهم عنده اجتمع بالمسلمين وشاورهم في الأمر ، فانتخبوه ان يكون الناطق بلسانه عنهم ، والزموا أنفسهم ان لا يتكلّموا بشيء عند الملك ، ثم انهم لما دخلوا على النجاشي اشار عليهم ندماء الملك بالسجود له ، فقال لهم جعفر : انا قوم لا نسجد لأحد سوىٰ الله تعالىٰ ، فدخلوا ولم يسجدوا ، فأعجب النجاشي من المسلمين موقفهم ذلك كثيراً وقال لهم : مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، اشهدوا علىٰ اني أشهد ان من بشّر عيسىٰ عليه السلام بظهوره وبعثته من بعده هو نبيّكم ، ولو لم يكن تقلّدي امور الملوكية لأسرعت الى خدمته ولقبّلت نعليه .

هذا وقد قال بعض المفسّرين في الآية الكريمة : ﴿ **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترىٰ اعينهم تفيض من الدمع** ﴾ انها نزلت في النجاشي واساقفته وبطارقته .

ثم ان المسلمين عاشوا بعد ذلك في جوار الملك مكرّمين في أتم راحة واكمل حرية ، وكان للنجاشي أُلفة خاصة ومحبة فائقة بالنسبة الى جعفر بن ابي طالب عليه السلام حيث كان يفرح بلقائه ويستمع لمواعظه ونصائحه ، وفي مدة بقاء جعفر في الحبشة رزقه الله تعالىٰ من زوجته الوفية اسماء بنت عميس ثلاثة ذكور ، اولهم واكبرهم : عبدالله بن جعفر ، وقد روىٰ ابن الجوزي في تذكرته : انه لما ولد عبدالله ، لجعفر بن ابي طالب عليه السلام ولد للنجاشي ايضاً وبفاصل ايام قليلة ذكراً كان النجاشي بانتظاره طويلاً ، حيث انه لم يكن له اولاد ذكور ، فلما رزقه الله تعالىٰ هذا الولد رآه من بركات ولادة عبدالله بن جعفر ، لذلك اشتدت علاقته ومحبّته بعبدالله وبابيه جعفر بن ابي طالب عليه السلام حتى انه كان يقول : اني ارىٰ في وجنات عبدالله آثار السعادة والسيادة ، وكان كذلك ايضاً ، ولقد اجاد من قال في حقه :

« في المهد ينطق عن سعادة جدّه اثــر النــجابة ســاطع البــرهان »

وعلى اثر تفأله ذلك سمّىٰ النجاشي ابنه هذا : عبدالله ايضاً ، وطلب من جعفر ان يأخذ طفله الوليد الىٰ زوجته الكريمة اسماء ، لترضعه من لبنها المبارك قليلاً ، حتىٰ يؤثر لبنها الطاهر في روح الطفل وجسمه ، فيوجب له سلامة جسمه وروحه ، وكمال اخلاقه ومعنوياته .

« اشارة »

[الرضاع واثره علىٰ الطفل]

نعم ، لقد اصاب النجاشي في اقتراحه علىٰ جعفر بن ابي طالب عليه السلام عندما طلب من جعفر ان يأخذ وليده الى زوجته الوفية اسماء حتى ترضعه من لبنها فيوجب ذلك سعادته وسيادته ، وانطباعه على الاخلاق الكريمة ، والخصال الحميدة ، فانه كان كما اعتقده ، حيث ان كل من رُضع من لبنها صار في المستقبل عندما بلغ سنّ الرشد من اهل السداد والصلاح ، والخير والفلاح ، حتى ان صلاح محمد بن ابي بكر واخلاصه بالنسبة الى إمامه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كان ايضاً على اثر ذلك اللبن الطاهر الذي ارتضعه من هذه الام العظيمة ، فرحم الله تلك الام الكريمة ، ورحم الله ذلك اللبن الطاهر .

[من الحبشة الى المدينة]

بقى جعفر بن ابي طالب عليه السلام وسائر المسلمين المهاجرين رضي الله عنهم يعيشون في الحبشة مكرّمين ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه الى المدينة المنوّرة ، وفي اوائل السنة السابعة من الهجرة المباركة وقعت غزوة خيبر ، وفيها هاجر جعفر بن ابي طالب عليه السلام من الحبشة الى المدينة ، ويوم ورد جعفر المدينة كان هو يوم الفتح للمسلمين على يدى أخيه الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حيث فتح الله على يديه حصون خيبر وقلاعها وصارت بيد المسلمين ، عندها فرح رسول

الله ﷺ وسُرّ كثيراً ، وقال ما مضمونه : لست ادري بأيّهما أسرّ ، بورود جعفر أم بفتح خيبر ؟ ثم استقبله اثنتي عشرة خطوة وعانقه وقبل ما بين عينيه وبكىٰ ، وكان عبدالله حينئذ طفلاً صغيراً .

[جعفر بن ابي طالب عليه السلام في مؤته]

ثم ان جعفر بن ابي طالب عليه السلام بقي في المدينة حتى اتفق للمسلمين حرب مؤتة ، ومؤتة قرية في نواحي الشام تبعد عن بيت المقدس بمنزلين ، فأمّر رسول الله ﷺ جعفراً على الجيش واعطىٰ الراية بيده ، فسار جعفر عليه السلام بالجيش حتى وصل قريباً من مؤتة حيث تلاقىٰ الجيشان هناك وكان جيش الكفار بقيادة شرحبيل يتجاوز المائة الف جندي ، فوقعت بينهما حرب سجال ، ابدىٰ فيها جعفر بن ابي طالب عليه السلام شجاعة كبيرة ومهارة عالية ، حيث نزل من على فرسه وترجل للقتال واللواء بيده ، فكان يكرّ على الكفار بالمسلمين ويقاتلهم بهم اشد القتال وهو يرتجز ويقول :

يا حبّذا الجنة واقترابها طيبة باردة شرابها
والروم روم قد دنىٰ عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ اذ لاقيتها ضرابها

فلما رأىٰ الكفار شدّة بأسه وعظيم كرّه وهجومه ، احتوشوه من كل جانب وحملوا عليه حملة رجل واحد ، فأسفر هذا الهجوم عن انهم استطاعوا أن يقطعوا يمينه ، فاخذ جعفر الراية بشماله وهو يحث المسلمين الأبطال على مواصلة القتال حتى وصلته منهم مائة ضربة عميقة وهو لا يبالي بها ، فاحتوشوه مرة ثانية وهجموا عليه من كل ناحية واستطاعوا في هذه المرّة ان يقطعوا شماله . فاخذ جعفر الراية بعضديه واسندها الى صدره وهو يرتجز ويحرّض المسلمين على مواصلة القتال ، عندها احتوشه الكفار ثالثة وحملوا عليه من كل جانب وفلقوا هامته فخر صريعاً

على الأرض ، فتداركه عبدالله بن رواحة وأخذ منه الراية قبل ان تسقط الى الأرض وواصل قتالهم بالمسلمين .

[النبي صلى الله عليه وآله وأنباء مؤتة]

وهنا روىٰ العامة والخاصة ، ان الله تبارك وتعالىٰ اظهر نبيه الكريم وهو في المدينة المنورة وعلى منبره في المسجد ، علىٰ ما يجري في مؤتة ، وأطلعه على ساحة القتال فيها وما يدور بين المسلمين والكفّار ، حتى صار ينظر اليها ويخبر المسلمين عما يجري على اخوانهم فيها ، ويقول : الآن أخذ الراية زيد وحمل على الكفار وقاتل قتال الأبطال ، فاصيب ، ثم اخذها جعفر وواصل الكر والقتال حتى قطعت يمينه ، ثم شماله ، ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ، يقول صلى الله عليه وآله ذلك وهو يبكي ودموعه تجري علىٰ وجنتيه .

ثم انه صلى الله عليه وآله قال للمسلمين : لقد عوّض الله تبارك وتعالىٰ جعفر بن ابي طالب عليه السلام بدل ما أُصيب بيديه ، جناحين من ياقوت يطير بهما في سماء الجنة حيث يشاء ، ثم أمر صلى الله عليه وآله بان يهيّئوا طعاماً لاسرة جعفر واهله ، حتى يتفرّغوا لاقامة المأتم والعزاء ، ويواصلوا مجلس البكاء والحداد على جعفر ، وكانت شهادة جعفر بن ابي طالب عليه السلام في السنة الثامنة من الهجرة المباركة ، وكان عمره اذ ذاك واحداً واربعين سنة ، ودفن جسده الطاهر وكذلك جسد زيد وابن رواحة في قبر واحد ، وعفي اثره .

وجاء في كتاب حياة الحيوان للدميري : ان من جملة اولئك الذين تكلّموا بعد شهادتهم ومفارقة ارواحهم لابدانهم هو : جعفر بن ابي طالب عليه السلام الطيار ، فانه تلا بعد شهادته قوله تعالى من سورة آل عمران : ﴿ **ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياء عند ربهم يرزقون ...** ﴾ الى آخر السورة المباركة .

وقد رثاه شعراء كثيرون منهم حسان بن ثابت فانه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله ان

يرثي جعفراً وسائر الشهداء ، فاذن له ، فانشأ :

فـلا يـبعدن الله قـتلىٰ تـتابعوا بموْتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيـد وعـبدالله حـين تـتابعوا جميعاً واسـباب المـنية تـخطر

ومنهم كعب بن مالك حيث ذكر كتاب « عمدة الطالب » منه بيتين يقول فيها :

اذ يـــهتدون بـــجعفر ولوائـــه قـــدّام اوّلهـــم فـــنعم الاوّلُ
فـــتغيّر القـــمر المـــنير بـفقده والشمسُ قد كسفت وكادت تأفَلُ

فسلام الله ورضوانه ، وتحياته وبركاته على روحه الطيّب وجسده الطـاهر ، ورزقنا شفاعته آمين رب العالمين .

[عبدالله عند شهادة أبيه]

روى السبط ابن الجوزي في تذكرته عن يحيىٰ بن ابي العلى عن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه‌السلام انه قال ما خلاصته : انه لما قتل ابي جعفر بن ابي طالب عليه‌السلام دخل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على امنا : اسماء بنت عميس ـ وكنت انا اذ ذاك صغيراً ـ وقال : اين بنيّ ؟ فدعت بنا ونحن ثلاثة صبيان وكنت انا اكبرهم ، فمسح رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رؤسنا ، فقالت امنا : انك يا رسول الله تمسح رؤسهم كأنهم ايتام ؟ فتعجب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من عقلها وقال وقد دمعت عيناه : يـا اسـماء ألم تـعلمي ان جـعفراً قـد استشهد في هذا اليوم ، وقد قطعت يداه قبل استشهاده ؟ فبكت امنا ، فقال لها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : لا تبكي فان جبرئيل اخبرني ان الله قد أبدله من يديه جناحين ، فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء ، فقالت امنا : يا رسول الله لو جمعت الناس واخبرتهم بفضل جعفر لا ينسىٰ فضله ، فعجب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من عقلها ، ثم قام واخذني معه الى المسجد ورقى المنبر واجلسني معه في حجره وقال وهو يتفجر حزناً وأسىً : « ان المرء كثير حزنه باخيه وابن عمه ، الا ان جعفر قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة » ثم نزل من على المنبر واخذني معه الى

بيته وأمر بطعام لنا .

وفي رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله امر فاطمة عليها السلام ان تتخذ طعاماً لاسماء بنت عميس ، وتأتيها وتسلّيها ثلاثة أيام ، فجرت بذلك السنّه ان يصنع لأهل المصيبة ثلاثة ايام طعاماً ، كما انه قال صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : يا فاطمة اذهبي فابك على ابن عمّك ، فان لم تدعي بثكل فما قلت فقد صدقت . فاجتمعت النسوة يساعدن اسماء بالبكاء على جعفر عليه السلام وفاطمة عليها السلام تقول : وا عمّاه ، فقال صلى الله عليه وآله : على مثل جعفر فلتبك الباكية ، وكان صلى الله عليه وآله بعد ذلك اذا دخل بيته كثر بكاؤه على جعفر حتى تقطر لحيته وهو يقول : « اللهم ان جعفراً قد قدم اليك الى احسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلّفت احداً من عبادك في ذريته » .

[مع يتامىٰ جعفر بن ابي طالب عليه السلام]

وروى ابن الجوزي في التذكرة ايضاً : انه لما انقضت ثلاثة أيام من مأتم جعفر بن ابي طالب عليه السلام اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله الى دار جعفر وقال : « ادعوا الي اولاد اخي » فجاء اليه فراخ جعفر شعثاً غبراً وكانوا ثلاثة وهم : محمد ، وعون ، وعبدالله ، فدعىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله اليهم من يحلق لهم رؤسهم ويزيّن لهم شعرهم ، ثم قال : اما محمد فهو شبيه عمي ابي طالب عليه السلام واما عون فهو يشبهني خَلقاً وخُلقاً ، ثم اخذ بيد عبدالله وقال : « اللهم اخلف جعفراً في اهله بخير ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه » ثم جائت امهم اسماء بنت عميس فلما رأتهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فرحت وسُرّت بذلك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : « أتخافين عليهم العيلة وانا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » .

وفي التذكرة ايضاً : ان عبدالله بن جعفر قال : كان من دأب رسول الله صلى الله عليه وآله انه متى ما رجع من سفره التقىٰ صغار اهل بيته ، وذات مرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من بعض اسفاره سبقت أنا الصغار في استقباله ، فاخذني رسول الله صلى الله عليه وآله وضمني اليه

وأجلسني امامه ، ثم استقبله احد اسباطه فأخذه وضمه اليه وأجلسه امامه ايضاً .

وعن الحسن بن سعد روىٰ قائلاً : لقد سمعت السيد الكريم الاوّاه عبدالله بن جعفر يقول : اردفني رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وحدثني حديثاً سراً لا احدّث به احداً أبداً .

وعن التذكرة ايضاً : انه قال عبدالله بن الزبير ذات مرة لعبدالله بن جعفر : اتذكر يوم التقينا أنا وأنت وابن عباس رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال عبدالله بن جعفر : نعم ، اذكر ذلك جيداً ، واذكر انه صلى الله عليه وآله اخذنا معه وتركك لوحدك ، فخجل عبدالله بن الزبير من جوابه هذا وانفعل .

وفي ناسخ التواريخ في فصل معجزات الرسول صلى الله عليه وآله ذكر قائلاً : ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا لعبدالله بن جعفر وقال : « اللهم بارك في صفقة يمينه » فصار جعفر من بركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله ذا مالٍ كثير وجاهٍ كبير ، وصاحب كرم وجود ، حتى ان اهل المدينة كانوا اذا اقترضوا من أحد شيئاً ، علّقوا اداءه علىٰ عطاء عبدالله بن جعفر .

وذكر ابو الفرج في أغانيه : ان رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ ذات مرة على عبدالله بن جعفر وهو كبقية الأطفال وعلى عادتهم يلعب بالتراب والطين ، وكان قد صنع منه بعيراً ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وقال له : يا عبدالله ما تصنع بهذا البعير ؟ قال : ابيعه يا رسول الله ، فقال : وما تصنع بثمنه ؟ قال : اشترى به رطباً فآكله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله ودعا له وقال : « اللهم بارك في صفقة يمينه » فكان بعد ذلك لا يجري معاملة الا وربح فيها .

[شخصية عبدالله]

نعم ، كان عبدالله بن جعفر وسائر اخوته مورد تفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وعنايته الخاصة ما دام كان صلى الله عليه وآله حياً ، ثم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا مورد تفقد عمهم امير المؤمنين عليه السلام ولطفه الخاص ، حتى بلغوا أشدّهم واستَووا ، وكان من بينهم عبدالله

بن جعفر اصبحهم وجهاً ، وأجملهم سيرة ، واحسنهم اخلاقاً ، واكثرهم كرماً وجوداً ، وكان عمه امير المؤمنين عليه السلام يخصّه لصفاته الكريمة بعناياته الخاصة ، ولذلك لما بلغت السيدة زينب عليها السلام سنّ الزواج وخطبها عبدالله من عمه لم يردّه عمه خائباً بل لبّىٰ طلبه وأجاب بُغيته ، ولقد كان لعبدالله بن جعفر يومذاك مفاخر لم تتوفر في احد من قريش سواه وهي عبارة عن :

١ ـ انه كان صبيح المنظر ، جميل الوجه ، حتى انه كان يشبه عبدالله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك سمي باسمه ايضاً .

٢ ـ انه كان عالماً فقيهاً وفي نفس الوقت مفسراً قديراً ، مضافاً الى معرفته الكاملة بامامة امام زمانه عليه السلام كما انه كان فصيحاً بليغاً ، ويشهد لذلك محاوراته ومناظراته التي اتفقت له في مجلس كل من معاوية ويزيد بن معاوية ، وخطبته في حق الحكمين ، وقد رويت عنه روايات في صحاح العامة والخاصة ايضاً .

٣ ـ انه كان كريماً من حيث النسب ، اذ هو ابن جعفر وحفيد ابو طالب وعبدالمطلب عليهما السلام ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن اخ الإمام امير المؤمنين عليه السلام فهو من حيث النسب قريب جداً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفىٰ بذلك فخراً .

٤ ـ انه كان كريماً جواد النفس ، سخي الكف ، غنيّ الطبع ، كثير الندىٰ ، عظيم البذل ، يعطي بلا حساب ، ويمنح السائلين بلا ملل ، حتى دعي بالجواد ، ومدحه الشعراء ، كما قال فيه احدهم :

أَلِفتَ نعم ، حتى كانك لم تكن عرفتَ من الأشياء شيئاً سوى نعمِ
وعاديتَ لا ، حتى كانك لم تكن سمعتَ بـ : لا ، في سالف الدهر والامم

وقصص كرم عبدالله وجوده في التاريخ كثيرة ، كما ان اشعار شعراء عصره في مدحه ملأت كتب العامة والخاصة ، نترك التوسّع فيها مخافة التطويل .

٥ ـ انه ازداد عزاً وشرفاً حيث وافق الامام امير المؤمنين عليه السلام على مصاهرته ورضي به زوجاً لابنته وعقيلته : السيدة زينب عليها السلام فنال شرف الزواج منها عليها السلام

وشرف مصاهرته علىٰ عمه الامام امير المؤمنين عليه السلام فازداد بذلك شرفاً ، وكان عمر السيدة زينب عليها السلام حين انتقلت الى بيت عبدالله احدى عشرة سنة تقريباً ، وكان قد عمل امير المؤمنين عليه السلام في تزويج السيدة زينب عليها السلام من عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك كما جاء في الخبر من انه : « نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً الى اولاد علي وجعفر ، فقال : بناتنا لبنينا ، وبنونا لبناتنا » .

[زواج عبدالله بالسيدة زينب عليها السلام]

وهنا نرجع الى موضوع زواج عبدالله من السيدة زينب عليها السلام فانه بعد ما لقي عبدالله الموافقة والقبول من عمه الإمام امير المؤمنين عليه السلام على خطبته بابنة عمه وعقيلته : السيدة زينب عليها السلام وعقد عليها عقد القران والزواج ، راح يهيّئ لنفسه مقدمات الزفاف ، حيث فتح باب داره على مصراعيه ، واستقبل فيه المدعوّين لوليمة الزواج ، فاطعم الطعام ، وانفق علىٰ الفقراء والمساكين .

ولما زفّت السيدة زينب عليها السلام الى بيت زوجها الكريم عبدالله ، زارها ابوها امير المؤمنين عليه السلام في بيتها الجديد ، وبارك لها ولزوجها عبدالله زواجهما ، ودعا لهما بالخير والتوفيق ، ثم لكثرة شفقته على اولاد جعفر ، ومحبته للسيدة زينب عليها السلام اخذ يعامل عبدالله كمعاملة الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام ، فكان عليه السلام ليلة عند الامام الحسن عليه السلام ، وليلة عند الامام الحسين عليه السلام ، وليلة عند السيدة ام كلثوم زينب عليها السلام كما يظهر ذلك من أخبار شهادته عليه السلام ، حيث كان يجعل افطاره في كل ليلة من ليالي شهر رمضان عند واحد منهم ، متنقّلاً بينهم .

[عبدالله الى جانب الإمام]

ولما هاجر الامام امير المؤمنين عليه السلام من المدينة الى الكوفة وجعلها عاصمة حكومته ومركزاً لخلافته الظاهرية ، اخذ معه اهل بيته واسرته ومن جملتهم عبدالله

بن جعفر والسيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام الىٰ الكوفة ، وكان من جلالة السيدة زينب عليها السلام وفضلها ان نساء الكوفة كنّ يفتخرن بوفودها ، ويتشرّفن بزيارتها ، ويتسابقن في التقرّب اليها ، والتلمّذ عليها .

واما عبدالله بن جعفر فقد كان الى جنب عمه امير المؤمنين في كل احواله ، وجاهد معه في حروبه التي اتفقت له ، وكان مقراً بامامته معترفاً بها وملازماً له مدة بقاءه عليه السلام في الكوفة . وبعد شهادة الامام امير المؤمنين عليه السلام على اثر الضربة التي ضربها على رأسه الشريف ، ابن ملجم اشقىٰ الأولين والآخرين في محراب الكوفة وانتقال الإمامة الى الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام كان عبدالله بن جعفر مع الإمام المجتبىٰ عليه السلام جنباً الى جنب في حربه وصلحه ، وسرّائه وضرّائه ، حتى اذا رجع الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة الى المدينة اخذ معه اهل بيته ومنهم عبدالله والسيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام واستوطنوا فيها مرة ثانية ، وبقوا مقيمين بها حتى استشهد الامام المجتبىٰ عليه السلام بالسم الذي دسّه اليه معاوية . ثم لما صارت الإمامة الى الإمام الحسين عليه السلام كان عبدالله معه والى جانبه ، وكان الإمام الحسين عليه السلام الذي كانت سيادة بني هاشم ورياستهم يومذاك اليه يتعهد عبدالله واخته العقيلة ببرّه واحسانه ، وعنايته ولطفه .

واما اولاد عبدالله بن جعفر من السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام فقد اختلف المؤرخون في عددهم ، والذي يبدو للنظر صحته ، كما قد اشار اليه ابن الجوزي هو : انه كان لها عليها السلام خمسة من الأولاد : ذكور أربعة وانثىٰ واحدة ، اما الذكور : فعلي ، وعون الأكبر ، ومحمد ، وعباس ، واما الانثىٰ : فام كلثوم ، وقد استشهد منهم اثنان هما : عون ومحمد ، وسيأتي شرحه قريباً انشاء الله تعالىٰ .

[مع ابنة عبدالله بن جعفر]

جاء في البحار وفي غيره من الكتب : ان ابنة عبدالله بن جعفر من السيدة

الجليلة زينب الكبرىٰ عليها السلام المسمّاة بام كلثوم ، والتي كانت فريدة عصرها في الجاه والجلال ، والأدب والكمال ، لما بلغت سنّ الرشد ، فكر معاوية بن ابي سفيان المعروف بالمكر والدهاء ان يخطبها لابنه يزيد ، فيقوّي بذلك سلطان يزيد المتزلزل ، ويحكم له خلافته المتضعضعة بسبب ارتباطه ببني هاشم ومصاهرته لهم ، ولذلك كتب الى عامله على الحجاز : مروان بن الحكم ، ان يخطب ام كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام ليزيد ، فجاء مروان الى عبدالله بن جعفر خاطباً منه ابنته لابن معاوية يزيد ، فقال له عبدالله بن جعفر : ان أمر ام كلثوم ليس بيدي ، وانما هو بيد سيد بني هاشم وكبيرهم الامام الحسين عليه السلام فانه بالاضافة الى انه كبيرنا هو خال ام كلثوم ايضاً ، فجاء مروان الى الامام الحسين عليه السلام وعرض عليه خِطبة معاوية للسيدة ام كلثوم بنت عبدالله بن جعفر لابنه يزيد . فقال له الامام الحسين عليه السلام : سوف استخير الله تعالى في ذلك ، ودعا لأم كلثوم بالخير والتوفيق في ملأ من الناس الذين كانوا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله .

ثم اقبل مروان مع جماعة من رجال البلاط الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وجلسوا عند الامام الحسين عليه السلام ، ولما استقرّ بهم المجلس قام مروان خطيباً وقال : لقد امرني معاوية بن ابي سفيان ان اخطب ام كلثوم بنت عبدالله بن جعفر ليزيد ، على مهر يُعيّنه أبوها عبدالله ، فان له ان يطلب للصداق ما يشاء ، وعلى التصالح والتسالم بين بني هاشم وبني امية ، وعلى اداء ديون ابيها عبدالله . ثم اضاف قائلاً : واني لأعلم ان يزيد بن معاوية لهو الكفو الذي لا نظير له ، كما اني لأعلم بان الذين يغبطونكم على مصاهرة يزيد لكم ، هم اكثر ممن يغبط يزيد على مصاهرته لكم ، ويزيد هو من يستسقىٰ به الغمام ، ثم جلس .

فقام الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلك ، فحمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه وصلّى على جدّه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى آله المعصومين ، ثم التفت الى مروان وقال : اما قولك يا مروان في خطبتك بالنسبة الى الصداق : بان لابيها ان يختار ما يشاء ، فانا لا

نتعدّىٰ ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله من المهر لازواجه وبناته ، واما قولك : بان في هذه المصاهرة تصالح وتسالم بين بني هاشم وبني امية ، فاعلم بانا عاديناكم في الله ، فلا نصالحكم على الدنيا ، واما قولك : بان في مصاهرة يزيد نفعنا اذ من يغبطنا على مصاهرة يزيد لنا اكثر ممن يغبط يزيد على مصاهرته لنا ، فاعلم ان الذي يغبطنا على مصاهرته لنا فهو جاهل ، وان الذي يغبطه على مصاهرته لنا فهو عاقل ، واما قولك : بان يزيد ليستسقىٰ به الغمام ، فاعلم بان هذا الوصف والمقام لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وآله مشيراً بذلك الى قول ابي طالب عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال :

وابيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

ثم قال عليه السلام : اعلموا ايها الناس واشهدوا باني قد زوجت ام كلثوم بنت عبدالله بن جعفر لابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر ، على مهر السنّة ، ووهبت له حائطاً من حيطاني ، يقدّر وارده بثمانية آلاف دينار في كل سنة وذلك يكفيهم انشاء الله تعالىٰ لأمر معاشهم ومعادهم ، عندها تغيّر مروان واربدّ وجهه ، وقام هو ومن معه وانصرفوا خائبين .

[وداع بين الزوجين]

نرجع الى أصل البحث ، فان السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام كانت في المدينة المنوّرة الى جانب زوجها السيد الكريم عبدالله بن جعفر في خدمة امامهما : الامام الحسين عليه السلام وكان الامام الحسين عليه السلام يعمّهما بحنانه ولطفه باستمرار ، ودام ذلك حتى سنة ستين للهجرة ، ففيها هلك معاوية بعد أن استخلف ابنه الميشوم يزيد ، وكان قد وطّد الحكم له من قبل وبكل ثمن ، وحيث كان يزيد أرعناً طائشاً ، لا يعرف من القدرة سوى الطغيان والظلم ، ولا من الثروة سوى الملاهي وارتكاب المناهي ، كتب الى عامله على المدينة أن يأخذ البيعة له من الامام الحسين عليه السلام بالخصوص مهما كلفه الأمر ، وان امتنع منها ، قتله وبعث برأسه اليه ، مما سبّب ذلك الى ان

يضطرّ الامام الحسين عليه السلام لمغادرة مسقط رأسه وحرم جدّه : المدينة المنوّرة .

وهنا لما اطّلعت السيدة زينب عليها السلام علىٰ عزم اخيها الإمام الحسين عليه السلام اضطربت اضطراباً شديداً خوفاً من ان يمنعها زوجها وابن عمها عبدالله من مصاحبتها لأخيها ، ولذلك جاءت الى ابن عمها عبدالله مسرعة لتقول له وهي باكية : يا ابن العم هذا الامام الحسين عليه السلام أخي وشقيقي قد عزم على المسير الى العراق ، وانت تعلم علاقتي به ، ومحبّتي له ، وعدم صبري على فراقه ، وحيث ان النساء لا يجوز لهن السفر ولا الخروج من البيت الاّ برضىٰ ازواجهنّ جئت اليك اطلب منك الإذن في السفر مع اخي الإمام الحسين عليه السلام ، فان لم تأذن لي بذلك امتثلت امرك وانتهيت بنهيك ولم اذهب معه ، ولكن كن على علم باني لو لم اذهب معه لما بقيت بعده في الحياة الا قليلاً . وما ان تمّ كلام السيدة زينب عليها السلام وانتهىٰ استئذانها حتى سالت دموع ابن عمها عبدالله على خديه ، وأجهش لها بالبكاء حيث انه لم يعُد يتمالك نفسه لما رأىٰ السيدة زينب عليها السلام قلقة مضطربة هذا الاضطراب الشديد ، ووجلة ومنقلبة هذا الانقلاب العجيب ، بحيث انه لو واجهها بكلمة : لا ، فارقت الحياة من شدّة الصدمة وماتت من حينها ، ولذلك قال لها : يا بنت المرتضىٰ ، ويا عقيلة بني هاشم ، نهنهي عن نفسك ، وهوّني عليك ، فاني لا أجهل علاقتك ولا انسىٰ مواقفك فافعلي كيف شئت وحسبما تحبّين ، فاني عند رأيك . فسرّت السيدة زينب عليها السلام من موقف ابن عمها عبدالله تجاهها وشكرته على ذلك ، ثم ودعته وغادرت بيته لتلتحق بأخيها الإمام الحسين عليه السلام .

[السيدة زينب عليها السلام في موكب كربلاء]

ولما تراءت السيدة زينب عليها السلام للامام الحسين عليه السلام من بعيد ، وكان الإمام عليه السلام يترقّب مجيئها وينتظر قدومها ، استقبلها بكل حفاوة وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، ورحّب بها كل ترحيب ، ثم ضمّها الى موكبه بغاية من التبجيل والاحترام ، وعاملها

بما لم يعامل به احداً ممن معه من النساء غيرها ، مما يدل على جلالة شأنها ، وعظيم منزلتها عندالله ورسوله وعند امامها : الإمام الحسين عليه السلام .

ويشهد لهذا التبجيل والاحترام الذي خصّ الامام الحسين عليه السلام به اخته العقيلة زينب الكبرىٰ عليها السلام من بين النساء ، ما جاء في كتاب اسرار الشهادة ، وغيره من الكتب الأُخرىٰ ، وذلك عند التعرّض لخروج موكب الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنوّرة ، يقول الراوي : رأيت ما يقرب من اربعين محملاً مجهّزاً بأجهزة ثمينة ، مزيّناً بستور راقية ، قد أُعدّت للنساء من بني هاشم وآل الرسول صلى الله عليه وآله ، عندها اقبل الإمام الحسين عليه السلام وقال لبني هاشم بان يركبوا محارمهم من النساء ، قال الراوي : وكنت انا في هذه اللحظات افكر في سيدتي زينب عليها السلام وما سيكون من امرها مع ما هي عليه من جاه وجلال ، وعزّ ودلال ، واذا بي أرىٰ شاباً يخرج من دار الإمام الحسين عليه السلام يُلفت جماله الأنظار ، ويبهت نوره الأبصار ، وسيم رشيد ، على خده خال ، قد اقبل نحو المحامل ، وهو يقول : يا بني هاشم طأطئوا رؤوسكم وابتعدوا عن المحامل ، واذا بامرأتين موقّرتين من خلفه تخرجان من الدار ، وتجرّان ذيولهما عفة وحياءاً ، قد حفّ بهما الجواري والغلمان ، فقدّم ذلك الشاب الوسيم واحداً من تلك المحامل وثنّى رجله لتلك المرأتين الجليلتين واخذ بيديهما الإمام الحسين عليه السلام واركبهما في محملهما . قال الراوي : فلما ركبتا المحمل سألت عنهما وعن الشاب الوسيم الذي ثنّى رجله لهما ؟ فقيل : اما الشاب فهو قمر بني هاشم العباس بن امير المؤمنين عليه السلام ، واما المرأتان فهما السيدتان : زينب الكبرىٰ وام كلثوم بنتا امير المؤمنين عليه السلام وبنتا رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته ، الى آخر ما جاء في الخبر .

نعم ، كان الإمام الحسين عليه السلام يُعزّ اخته الكبرىٰ السيدة زينب عليها السلام ويكرمها ويكنّ لها غاية الحب والاحترام ، وكانت هي عليها السلام في ظلال اخيها الإمام الحسين وفي كل المنازل وطول الطريق آمنة مطمئنة لا تخشىٰ ظلماً ولا تخاف ضيماً ، حتى اذا وصل موكب كربلاء منزل خزيمية ونزلوا فيه وبقوا هناك يوماً وليلة للاستجمام

والراحة ، جاءت السيدة زينب عليها السلام وفي الصباح المبكّر من الغد الى اخيها الامام الحسين عليه السلام لتخبره عما جرىٰ لها في هذا المنزل ليلاً ، وذلك عندما كانت تتهيّأ لنافلة الليل وهي تقول : اخي يا ابا عبدالله لقد سمعت هاتفاً في الليل ينشد هذين البيتين ويكررهما :

ألا يـا عـين فـاحتفلي بـجهدٍ ومن يبكي على الشهداء بعدي

عـلى قـومٍ تسـوقهم المـنايا بـمقدارٍ الى انـجاز وعـد

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام بعد أن طيّب خاطرها ، وأنعم بالها : يا اختاه كل الذي قضي فهو كائن .

[موكب كربلاء في تنعيم]

ثم ان موكب كربلاء بعد ان خرج من المدينة ووصل مكة المكرمة وبقي فيها حتى يوم التروية من شهر ذي الحجة عام ستين هجرية خرج منها باتجاه العراق ، فلما صار على بعد اميال منها ونزلوا بمنزل التنعيم ، ارسل عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام ولديه : عون بن عبد الله ، ومحمد بن عبد الله ليكونا في موكب كربلاء وفي خدمة خالهما الإمام الحسين عليه السلام وخدمة أمهما السيدة زينب عليها السلام ، وارسل معهما الى الإمام الحسين عليه السلام رسالة كتب فيها : « اما بعد ، فاني اسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي هذا ، فاني مشفق عليك من هذا الوجه الذي توجهت له ان يكون فيه هلاكك ، واستيصال اهل بيتك ، وان هلكت اليوم طفي نور الأرض ، فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ، ولا تعجل في السير ، فاني في اثر كتابي » .

ثم ان عبدالله بن جعفر التقىٰ بعد ذلك بعمرو بن سعيد والي بني امية علىٰ مكة وقال له : اكتب الى الإمام الحسين عليه السلام رسالة تعطيه فيها الأمان وتطلب منه الرجوع الى مكة والبقاء فيها بلا مضايقة ولا مزاحمة له من احد ، فكتب والى مكة عمرو بن سعيد رسالة وأماناً وسلّمها الى اخيه يحيى بن سعيد ليوصلها الى الإمام

الحسين ﷦ .

فجاء عبدالله بن جعفر ومعه يحيىٰ بن سعيد رسول والي مكة حتى التقيا بالإمام الحسين ﷦ ، فسلّما عليه وقدّما له الرسالة والأمان ، وألحّا على الإمام الحسين ﷦ بالرجوع الى مكة المكرمة والاستقرار فيها ، وأصرّا عليه في ذلك ، فقال لهما الإمام الحسين ﷦ : لقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأمرني بامر لست اقدر على مخالفته ، فقالا : وما امرك به رسول الله ﷺ ؟ قال ﷦ : لا اخبر به احداً ما دمت حياً ، فلما رأىٰ عبدالله بن جعفر موقف الإمام الحسين ﷦ منهما ، وعلم انه سوف لن يرجع الى مكة ابداً ، التفت الى ولديه : عون ومحمد وأخذ يوصيهما بملازمة خالهما الإمام الحسين ﷦ ويأمرهما بنصرته والتضحية بانفسهما من أجله ، ثم ودّعهما ، وقفل راجعاً مع يحيىٰ بن سعيد الى مكة .

[عبدالله الرجل المتنفّذ]

هذا ولا يخفىٰ ان تخلّف عبدالله بن جعفر عن ابن عمه وامامه الإمام الحسين ﷦ مع جلالة قدر عبدالله ومعرفته بامامه لا يمكن ان يكون الا بأمر من الإمام الحسين ﷦ ، اذ يحتمل قريباً بان الإمام الحسين ﷦ أمر ابن عمه عبدالله بن جعفر بالبقاء في مكة المكرمة وعدم الالتحاق به ، ليحفظ الله تعالىٰ بسببه من تبقّىٰ من بني هامش في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة ، لأن عبدالله لشهرته ومعروفيته بالفضائل والمناقب والجود والسخاء ، وموقعه الاجتماعي الشامخ كان مقبولاً عند الجميع ، ومحبوباً عند العامة والخاصة ، ونافذ الكلمة في المجتمع ، ولذلك كان يزيد الذي يودّ ان يجتث جذور بني هاشم ويستأصل آخر نفر منهم من الحياة ، يحذر من ان يخالف عبدالله بن جعفر ، او يفعل ما يجرح عواطفه ، بل كان يحاول دائماً ان لا يتعرض لما يسخطه ويُغضبه عليه ، ومعلوم ان مع وجود مثل عبدالله يأمن الباقون من بني هاشم سطوة يزيد وبطشه ، ويعيشون بامن وامان ، ولذلك استبقاه الإمام

الحسين عليه السلام ولم يأذن له بالالتحاق به ، كما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك علياً عليه السلام في المدينة ولم يأذن له بالالتحاق به ، ليأمن به المتبقّون من المسلمين في المدينة من كيد المنافقين وشرّهم ، وهذا الوجه ليس ببعيد .

ويؤيّده : انه أرسل ولديه وثمرتي قلبه وقرتَي عينه : عوناً ومحمّداً مع موكب كربلاء ، واوصاهما بان يبذلا جهدهما في نصرة خالهما الإمام الحسين عليه السلام وان يفدياه بانفسهما ويضحيا من اجله .

ويؤيّده ايضاً : انه لما وصل الى عبدالله في المدينة المنوّرة خبر شهادة ولديه استعبر باكياً واكتفىٰ بقوله : انا لله وانا اليه راجعون ، فقال غلام كان هناك عبدالله يكنّىٰ بابي السلاسل : هذا ما لقيناه من الحسين بن علي ، فلما سمع لعبدالله ذلك منه ، غضب غضباً شديداً وضربه على فمه وقال له : يابن اللخناء ، اللحسين عليه السلام تقول هذا ؟ والله لو شهدته لأحببت ان لا افارقه حتى اقتل معه ، والله انه لمما يُسخي بنفسي عنهما ، ويُعزّي عن المصاب بهما : انهما اصيبا مع اخي وابن عمي مواسين له صابرين معه .

[مواقف زينب عليها السلام البطولية]

ثم ان السيدة زينب عليها السلام مع علمها بما يجري عليها وعلى موكب كربلاء من بلايا ورزايا في هذه الرحلة ، شاركت اخاها الإمام الحسين عليه السلام في سفره هذا مشاطرة له همومه ، وهي مسرورة على انها في خدمة اخيها وامامها ، ومبتهجة بذلك ، وسار الموكب بها حتى خرج من حرم الله وامنه ، فاعترضه ابن عباس واشار على الامام الحسين عليه السلام ـ بعد أن رأىٰ عدم استجابة الامام الحسين عليه السلام لطلبه من عدم الخروج من مكة والانصراف عن التوجه الى العراق ـ قائلاً : ان كان ولابدّ وقد عزمت على الشهادة فلماذا تصحب معك هذه النسوة والأطفال ؟ فسمعته عقيلة بني هاشم فلم تلبث ان نهرته بقولها : يابن عباس ، تشير على شيخنا وسيدنا ان يخلّفنا هاهنا

ويمضي وحده ، لا والله بل نحييٰ معه ونموت معه ، وهل ابقىٰ الزمان لنا غيره ؟ وبهذا الحماس والنشاط كانت السيدة زينب عليها السلام تشارك اخاها الإمام الحسين عليه السلام سفره وتشاطره في مهمته حتىٰ وصل الموكب الى كربلاء ونزلوا بها ، وكان للسيدة زينب عليها السلام في المنازل التي مرّوا بها في الطريق وكذلك في كربلاء مواقف اخوية صادقة ، وقضايا شجاعة وهامة ، ومصائب عظيمة ومؤلمة ، قد تعرض لذكرها التاريخ ، وكتب عنها المقاتل بتفصيل واسهاب . منها : انها عليها السلام قدّمت ولديها : محمداً وعوناً والبستهما لباس الحرب ، وأمرتهما بنصرة اخيها الإمام الحسين عليه السلام ومجاهدة اعدائه وتفدية انفسهما من اجله ، فتقدم بين يدي الإمام الحسين عليه السلام اولاً محمد بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام وأخذ يقاتل وهو يترجز ويقول :

نشكوا الى الله من العدوانِ　　قتال قوم في الورىٰ عميانِ
قد تركوا معالم القرآنِ　　ومحكم التنزيل والتبيانِ
وأظهروا الكفر مع الطغيانِ

فقاتل بين يدي امامه ، قتال الأبطال حتى قتل عشرة من الأعداء قتله بعدها عامر بن نهشل التميمي .

ثم برز بعده اخوه عون ببن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام وهو يرتجز ويقول :

ان تنكروني فانا بن جعفر　　شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر　　كفىٰ بهذا شرفاً في المحشر

ثم كرّ على الأعداء ، وجدّل الصناديد والأبطال وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل من الفرسان ثلاثة ، ومن الرجّالة ثمانية ، فشدّ عليه حينئذ عبدالله بن بطة الطائي فقتله ، وقيل : قتله عبدالله بن قبطنة التيهاني .

[بين يدي الإمام الحسين عليه السلام]

نعم ، قدّمت السيدة زينب عليها السلام بين يدي أخيها الإمام الحسين عليه السلام ولديها وفلذتي كبدها عوناً ومحمداً بكل اخلاص ، واحتسبتهما الله ، ولم تذكرهما في شيء من مراثيها ، ولم تنوّه باسمهما ، ولم تتطرق الى شيء يخصهما أو يذكّر بشهادتهما ، ولم تخرج حتى عند شهادتهما حين سقطا على الأرض ، كل ذلك تجلّداً منها وصبراً ، وتفانياً منها ومواساةً ، كي لا تمنّ على أخيها الإمام الحسين عليه السلام بهما ، ولا يمسّ اخاها الضرّ من اجلهما ، ولا ترىٰ آثار العسر والحرج في وجه أخيها بسبب شهادتهما . فانها من شدة معرفتها بامامها كانت ترىٰ كل شيء ـ حتى شهادة فلذتي كبدها ـ في قبال الإمام الحسين عليه السلام صفراً ، وتجاهه صغيراً ضئيلاً ، كما انها كانت ترى أسرها وسبيها كذلك ، مع انه كان من الصعب عليها جداً أن ترىٰ نفسها في البلد الذي كان يتسابق من أجل الوصول الى خدمتها نساء الأعيان والأشراف ، ان تكون الآن فيه اسيرة بيد الأعداء يسوقونها مسبيّة الى ابن زياد ، والذي يظهر من التاريخ ، ويبدو من الأخبار : ان امر السبي والأسر ، والسّير بسبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله من كربلاء الى الكوفة كان قد تمّ بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ، وذلك بعد نهب الخيام ، وبعد ان أمر عمر بن سعد بدفن قتلاهم وترك قتلىٰ آل الرسول صلى الله عليه وآله على رمضاء كربلاء ، فلما تم الدفن في عصر يوم عاشوراء او عصر اليوم الحادي عشر ، ساروا بالسبايا نحو الكوفة وذلك بعد أن وزّع رؤوس الشهداء من بني هاشم بين الطوائف المقاتلة ، والعشائر المحاربة ، حتى يكون قد شرّك الجميع في قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه ، فلا يسهل على أحد المطالبة بدمائهم الزكية ولا يستطيع الانتقام من القتلة ، لانه يرى الكل مقابلاً له والجميع قتلة لذرية الرسول صلى الله عليه وآله فيصدّ ذلك الجماهير ويمنع الناس من الثورة والانتفاضة ضدهم ، وقد خصّ ابن سعد الخولي الأصبحي من بين الجميع برأس الإمام الحسين عليه السلام قيل : لشجار ونزاع كان بين ابن سعد والخولى ، فتصالحا على الرأس الشريف .

« القصّة »
[على أبواب الكوفة]

ولما ساروا بالسبايا الى الكوفة وصلوها ليلاً وقد سدّوا أبواب سور المدينة ، فباتوا خلف السور ينتظرون الصباح ، وكان هناك خارج الكوفة محلة فيها عدّه بيوت ، وكان في واحد من تلك البيوت امرأة مؤمنة عابدة ، وكانت حينئذ في سجّادتها تصلي لربها ، ولم تكن تسمع بقصة كربلاء ولا بشهادة الإمام الحسين عليه السلام الى ذلك الوقت ، فلما وصل الأسرى الى ذلك المكان اذا بهذه المرأة المؤمنة تسمع ضوضاءاً عالياً ولغطاً كثيراً مما دعاها للتطلع الى ما يجري حولها ، فارتدت حجابها ولبست عبائتها وصارت على سطح دارها لترىٰ ما الخبر ، ففاجأها منظر رهيب ، وموقف عجيب ، افواج من العساكر والجيوش ، بيد كل فوج رمح طويل عليه رأس منير ، يتوسطهم فوج من النياق الهزل عليها هوادج مكشوفة ومحامل غير مستورة ، فيها نساء واطفال قد علاهم الذعر واصابهم الضرّ ، وقد نكّسوا رؤوسهم خجلاً ممّا هم فيه ، وحياءاً من افواج الرجال الذين احاطوا بهم من كل جانب ، ومن بين النساء سيدة موقرة عليها آثار الجلال والكمال وبين يديها طفلة تئنّ وتبكي وكأنها تطالب تلك المرأة شيئاً تعجز تلك المرأة عن تقديم ما تريده الطفلة ، وهي تحاول اقناعها واسكاتها بشتىٰ الوسائل والطفلة تصرّ على طلبها وتواصل بكاءها ، فتأثّرت تلك المرأة المؤمنة من هذا المنظر المؤلم غاية التأثّر ، وتوجّهت الى تلك السيدة المجلّلة قائلة : ايّتها السيدة الجليلة من أيّ الأُسارىٰ انتنّ ؟

فرفعت السيدة الجليلة رأسها والتفتت الى السائلة لتجيبها بقولها : نحن اسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذريته ، فلما سمعت تلك المرأه المؤمنة هذا الجواب من هذه السيدة لطمت وجهها وصرخت قائلة : ايتها السيدة الجليلة لو تفضلتي باخباري عن اسمك الكريم فاني اراكِ لا تخلين من الشبه بسيدتي عقيلة بني هاشم زينب بنت

أمير المؤمنين عليه السلام ؟ وكذا لو اخبرتيني عن هذا الرأس الشريف الذي يتقدم الرؤوس والذي هو اكثرهم نوراً ، وأشدّهم توهّجاً وعظمة ؟ فرفعت السيدة زينب عليها السلام رأسها وقالت لها : اعلمي ايتها المؤمنة باني زينب وهذا الرأس الشريف هو رأس اخي الإمام الحسين عليه السلام . عندها صرخت تلك المرأه المؤمنة وبكت ، ونزلت الى صحن دارها ودخلت غرفتها وجمعت ما كان عندها من ثياب وخمار وجلباب وقدّمتها اليهم وهي تلعن ابن زياد وتندّد بيزيد .

[السبايا داخل الكوفة]

وفي الغد أدخلوا السبايا الكوفة على تلك الحال ، وخرج الناس للتفرّج عليهم ، وهنا جاء في التاريخ ذكر لقاء ام حبيبة مع السبايا بصورة مفصلة يرجع للاطلاع عليه الى كتب المقاتل ، ولما رأىٰ اهل الكوفة السبايا والضرّ الذي مسّهم صغاراً وكباراً ، اخذوا يوزّعون عليهم ماكان عندهم من أموال الصدقة من خبز وجوز وتمر ، وكان الأطفال من شدة الجوع يأخذونها ويأكلونها ، وكانت السيدة ام كلثوم تصيح بهم وتخرج الطعام من أفواههم وتطرحها بعيداً وهي تقول : ان الصدقة علينا نحن آل محمد وعترته حرام .

ويحتمل ان السيدة ام كلثوم هذه التي قيل عنها في كتب المقاتل كما مرّ : بانها كانت تأخذ الطعام من فم الأطفال وتطرحه بعيداً وتقول : الصدقة علينا حرام ، هي السيدة زينب عليها السلام عبّروا عنها بكنيتها بدل الاسم ، وذلك لأنها عليها السلام هي التي كانت المسؤولة عن مراقبة الأطفال ورعاية حالهم ، وحيث كانت ترىٰ ان حالهم لم يكن بمكان من الضرّ حتى يجوز لهم أكل ما يقدمونه اليهم أهل الكوفة من الصدقة اضطراراً ، كانت تأخذه من أفواههم وتطرحه بعيداً ، ولا ترضىٰ لهم بأكلها مع انهم عليهم السلام هم الوسائط الى الله في نزول الرزق الى الخلائق .

ثم ان السيدة زينب عليها السلام في تلك الحال بالاضافة الى قيامها برعاية شؤون

ذراري آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ بقايا اسرة اخيها الإمام الحسين عليه السلام كانت تأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتقول : « غضّوا ابصاركم عنّا » وحين رأت نفسها على مشارف سوق الكوفة الكبير ، وقد تجمهر الناس للاطلاع على الحادث الفجيع ، والكارثة الكبرىٰ ، خطبت فيهم تلك الخطبة المعروفة ، فحوّلت بها النفوس ، وغيّرت عبرها القلوب ، وأبكت منها العيون ، حتى أخذ الناس يفيقون من نومتهم ، ويندمون على فعلهم ، ويلعنون ابن سعد ، وابن زياد ، ويزيد .

[في مجلس ابن زياد]

فلما علم ابن زياد بورود السبايا الى الكوفة أمر بترتيب مجلس عام واذن للناس اذناً عاماً ، فامتلأ المجلس وغصّ بأهله ، ثم أمر بادخال السبايا والرؤوس الى المجلس ، فأدخلوا السبايا ومن بينهم السيدة زينب عليها السلام فدخلت وهي متنكّرة وجلست في زاوية من المجلس وأحاط بها بقية النساء والأطفال ، مما اثار هيبتها ووقارها غضب ابن زياد ، فقال متسائلاً : من هذه المتنكّرة ؟ فلم يسمع جواباً ، فأعادها ثلاثاً ، فاجابه بعض خدمه في المرة الثالثة قائلاً : انها زينب بنت علي بن ابي طالب . فلما سمع ابن زياد ذلك التفت اليها وقال متشمّتاً : الحمد لله الذي فضحكم وأكذب احدوثتكم ، فأجابته بكل صراحة وفصاحة : « الحمد لله الذي اكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، انما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا » فكرّ عليها ابن زياد شامتاً بها وهو يقول : كيف رأيتِ صنع الله بأخيك الحسين ؟ فأجابته بقوة وصلابة : « ما رايت الاّ جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل ، فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، وتتحاجّون وتتخاصمون عنده ، وان لك يابن زياد موقفاً ، فاستعد له جواباً وأنّىٰ لك به ؟ فانظر لمن الفلج يومئذٍ ، ثكلتك امّك يابن مرجانه » فاستشاط ابن زياد غضباً وهمّ بقتلها ، فقال له رئيس شرطته عمرو بن حريث : انها امرأة وهل تؤاخذ بشيء من منطقها ؟ او تلام

على خطل ؟ فالتفت ابن زياد اليها ثانية وقد امتلأ غيظاً وحنقاً وهو يقول لها مقالة الحاقدين المتجبّرين : لقد شفىٰ الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك . فرقّت العقيلة زينب عليها السلام لما سمعت من ابن زياد ذلك وقالت وهي تتفجّر حزناً وأسىً : « لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فان يشفك هذا فقد اشتفيت » فقال لها ابن زياد : انكِ لسجّاعة ، وبرواية اخرىٰ انه قال لها : ان تكوني بلغت من الحجة حاجتكِ فقد كان ابوك خطيباً شاعراً . فقالت عليها السلام في جوابه : « ما للنساء وللشعر » ونكتفي من ذكر ما جرىٰ في مجلس ابن زياد بهذا القدر ، تاركين التفصيل الىٰ كتب المقاتل ، لكن في ذكر هذا القليل من احتجاج السيدة زينب عليها السلام ومخاصمتها لابن زياد بيان لعظمة شخصيتها ، وجلالة قدرها ، ودليل علىٰ نبلها وفضلها ، وعزها وكرامتها . فان المتدبر في ذلك يذعن بانه لا يستطيع ان يبلغ كنه شخصيتها ، ولا ان يعرف مدىٰ عظمتها .

[في سجن الكوفة]

ثم ان ابن زياد امر باسكان السبايا في خربة قرب مسجد جامع الكوفة ، ووكّل به حرّاساً اشدّاء يتربصون بهم وصول الأوامر من يزيد . وقال بعض المؤرخين : بان ابن زياد أمر بحبس السبايا وسجنهم في محبس قريب من المسجد الجامع ، والخربة ـ كما لا يخفىٰ ـ لا تقل عن السجن ، وانما جعل ذلك قريباً من جامع الكوفة لما يلي :

١ ـ لقطعهم عن الناس حتىٰ لا يستطيع احد زيارتهم ولا اسعافهم ، فانه لو كانت الخربة أو السجن في مكان بعيد عن الانظار ، لاستطاع الموالون لأهل البيت عليهم السلام أن يزوروهُم خُفية أو يسعوا في حوائجهم واسعافهم . لكن لما كان المكان بمرأىٰ من الناس ومسمع ، لم يتجرّأ أحد علىٰ زيارتهم خوفاً من الطاغية ابن زياد ومن سيفه وسوطه .

٢ ـ للشماتة بهم ، حيث ان ابن زياد كان يغدو ويروح مع كوكبته الىٰ المسجد

الجامع ويؤم الناس بالصلاة ، مما يصل خبره وصوته الىٰ مسامعهم عليهم السلام مع ان هذا المقام هو مقام خصّه الله تعالىٰ بهم عليهم السلام وقد صار بيد اعدائهم فيتأذّون بذلك .

نعم ، لقد بقوا في تلك الخربة اياماً لم يزرهم فيها أحد ، سوىٰ الجواري اللّاتي قد ذقن مرارة الاسر ولمسن ذلّ السبي ، وذلك كما اخبرت بـه السـيد زيـنب عليها السلام بقولها : « لا يدخلنّ عليّ عربية الا ام ولد ومملوكة ، فانهن سبين وقد سبينا » وطال بقاؤهم فيها اياماً لعله لا تتجاوز العشرة أيام ، وذلك من اليوم الثاني عشر او الثالث عشر من محرم الحرام عام احدىٰ وستين للهجرة حتىٰ وصول البريد سريعاً بكتاب يزيد الىٰ ابن زياد يأمره بارسال السبايا ورؤس الشهداء وما سلبوه منهم الىٰ الشام ، كما وأمره ان يبعث معهم فوجاً مسلّحاً من القساة الجفاة يسوقونهم طول الطريق ، ويراقبون الاوضاع ، ويتصدّون لكل من يريد تحريك الناس ، أو يحاول الانـتفاضة والثورة ضد النظام القائم .

وهكذا فعل ابن زياد ، حيث قد عبّأ كل طاقاته لارسال السبايا الىٰ الشـام ، وأعد بعجالة وبكل صلافة فوجاً مسلحاً من الخيّالة الشداد ، ليسيروا بالسبايا بقسوة ويعاملوهم بغلظة وجفاء ، ويراقبوا الاوضاع من حولهم حتىٰ يُدخلوهم علىٰ يزيد في دمشق الشام ، وبعد ثلاثة أيام من وصول الكتاب كان ابن زياد قد هيّئ كل شيء ، وأمر بالرحيل الىٰ الشام . واذا بفوج مسـلّح يـطوّقون الخـربة ويـصرخـون بـالسبايا والأطفال ويأمرونهم وبكل شدة ووحشية وبلا سابق انذار علىٰ الركوب فوق نياق هزّل ، ومحامل بلا وطاء ولا غطاء ، ليأخذوهم هدايا الىٰ يزيد في بلاد الشام ، واذا بالنساء والأطفال يصيبهم الذعر من هذا القرار المفاجئ ، ويرتجفون خوفاً ورعباً ، ولكن لا طريق للخلاص ، ولا مفرّ من هذا البلاء .

[علىٰ مشارف دمشق]

ثم ان هؤلاء الجفاة ساروا بالسبايا سيراً حثيثاً ، ولم يرفقوا بهم في الطريق ، بل

كانوا يحدونهم بلا رحمة ولا شفقة ، وكل همّهم ايصال السبايا ، ورؤس الشهداء باسرع وقت ممكن الىٰ يزيد ، لانه أمرهم بذلك . وقد ظهر لموكب السبايا والرؤوس معاجز وكرامات في الطريق مثل قضية الراهب الديراني وغيرها نتركها مخافة التطويل ، ونُرجع طلّابها الىٰ كتب المقاتل . فلما وصل الحداة بالسبايا الىٰ اربعة فراسخ من دمشق ، انزلوا الاسارىٰ هناك ، وكتبوا الىٰ يزيد يبشرونه بالاقتراب من دمشق ويستأذنونه في الدخول عليه كيفما يشاء وحيثما يحب وفي اي يوم يريد . فعيّن لهم كيفية خاصة ويوماً معلوماً وأمرهم بالتعجيل في الدخول عليه . فساروا بالأسرىٰ والرؤس نحو دمشق ودخلوها في اليوم المعيّن وبالكيفية الخاصة ، وقد هرع الناس للتفرج عليهم بعد ان تزيّنوا في انفسهم وزينوا بلدهم ، وهم يفرحون ويمرحون ، ويصفقون ويرقصون ، ويضربون بالدفوف والطبول ، ويشمتون بالاسرىٰ ، ويباركون لعمال يزيد وجيشه ويهنّئونهم بالفتح والغلبة ، والسيدة زينب عليها السلام تصيح بهم وهي تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتقول : « ويحكم ايها القوم الظالمون ، اما تستحيون من الله العظيم ولا تخافونه ؟ » .

هذا مع ان السيدة زينب عليها السلام كانت قد سألت قبل ذلك شمراً وطلبت منه اموراً قائلة : « اذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة ، وتقدم اليهم وقل لهم : ان يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّوها عنا ، فقد خزينا من كثرة النظر الينا ونحن في هذه الحالة » لكن الطلب يجد له محلاً عند كرام الناس ، اما مثل شمر فانه قد عكس الطلب تماماً وخالفه كاملاً ، حيث انه امر بجعل الرؤس فوق الرماح وحملها وسط موكب السبايا وبين المحامل ، كما وأدخلهم من طريق مزدحم بالنظّارة والمتفرجين .

[مع سهل الساعدي]

روي عن سهل بن سعد الساعدي انه قال : كنت في الشام في بلدة مطّردة

الانهار مخضرّة الاشجار فرأيت افواج الناس قد زينوا مدينتهم ولبسوا فاخر اللباس وتزينوا باحسن زينة ، وقد اتجهوا الىٰ مدخل المدينة المسمّىٰ بباب الخيزران ، فخرجت خلفهم لأرىٰ ما الخبر ، واذا بي ارىٰ ثمانية عشر رأساً في طليعة موكب السبايا ، ونساءاً واطفالاً في محامل بلا وطاء ، ولا غطاء ، ورأس الامام الحسين عليه السلام علىٰ رمح طويل يحمله شمر بن ذي الجوشن وهو يفتخر ويقول : انا صاحب الرمح الطويل ، انا صاحب الدين الاصيل ، انا قتلت ابن سيد الوصيّين ، وأتيت برأسه الىٰ يزيد (الذي هو بزعمه) امير المؤمنين . والسيدة زينب عليها السلام تردّ عليه بقولها : « كذبت يالعين ... يا ويلك تفتخر بقتل من ناغاه جبرئيل وميكائيل ، ومن اسمه مكتوب علىٰ سرادق عرش رب العالمين ، ومن ختم الله النبوة بجدّه سيد المرسلين ، وقمع بأبيه مواد المشركين ، فمن مثل جدّي محمد المصطفىٰ ، وابي عليّ المرتضىٰ ، وامي فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم اجمعين ؟ » ويجيبها الخولي الاصبحي بقوله : انه لابدّ لك من السجاعة ، لانك سجّاعة بنت سجّاع .

ثم أتوا بالسبايا حتىٰ اذا بلغوا المسجد الجامع في دمشق انزلوهم في المكان الذي اعدّ هناك للسبايا والاسرىٰ .

ورویٰ الشعبي : ان رأس العباس بن علي عليه السلام كان قد حُمل علىٰ قناة طويلة وكان حامله ثعلبة بن مرّة الكلبي وكان يفتخر بذلك ويقول :

انا صاحب الرمح الطويل الذي به اصول علىٰ الاعداء في حومة الحرب
طعنت به آل النبي محمد لانّ بقلبي منهم اعظم الكرب

فقالت له السيدة زينب عليها السلام : يا عدوّا الله ابقتل آل محمد صلى الله عليه وآله تبتهج وتفتخر ، فعليك لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . فغضب اللعين من كلامها واراد الانتقام منها لولا زجر الناس له وتوبيخهم اياه .

« القصة »

[السبايا في الشام]

ثم انهم ادخلوا سبايا آل محمد ﷺ مدينة دمشق صباحاً ، وطافوا بهم الازقة والسكك ، والمحلات والاسواق ، حتىٰ اذا جنّهم الليل وصلوا الىٰ قصر يزيد ، فاسكنوهم خربة كانت هناك قريبة من القصر ، وكانت الخربة بحيث لا تقي السبايا من حر ، ولا تكنّهن من برد ، حتىٰ تقشر وجوههن وتغيّر ألوانهن .

ثم ان القضايا الصعبة والحرجة التي مرّ بها السبايا من حين دخولهم الشام حتىٰ ورودهم علىٰ يزيد كثيرة جداً ، قد تعرّض لها كتب المقاتل المفصلة فمن ارادها فليرجع اليها .

وقيل : ان يزيد بن معاوية كان حين ورود سبايا آل محمد ﷺ الىٰ الشام يتنزّه هو وندماؤه في منطقة سياحية ، ويتصرّف في مصيف من مصايف دمشق يدعىٰ بـ: جيرون ، ولذلك لما ادخلوا الاسرىٰ الىٰ دمشق وتراءت ليزيد تلك الرؤس المنيرة انشأ يقول :

لما بدت تلك الرؤس واشرقت ... تلك الشموس علىٰ ربىٰ جيرونِ
نعِب الغُراب فقلت : صح او لاتصح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

[في قصر يزيد]

ثم أن يزيد أمر بادخال السبايا عليه ، وكان قد عقد مجلساً ضخماً جمع فيه الامراء والسفراء ، والاشراف والاعيان ، اضافة الىٰ عامة الناس ، وكان علىٰ ما قيل : قد عقد يزيد عدة مجالس في مرات متكررة وفي كل مرة يأمر بادخال السبايا عليه ، ليشمت بهم ، ويفتخر بين الناس بظفره عليهم ، وقد أمر في أول مرة ادخلوا السبايا عليه بان يوثقوهم بالحبال ويربطوهم جميعاً بها ، فادخلوهم عليه كذلك . كما قال الامام زين العابدين عليه السلام : « لما وفدنا الىٰ يزيد بن معاوية ، اتوا بحبال وربقونا مثل

الاغنام ، وكان الحبل في عنقي وعنق ام كلثوم ، وبكتف زينب وسُكينة والبنات ، وكلما قصرنا عن المشي ضربونا حتىٰ او قفونا بين يدي يـزيد ، وهـو عـلىٰ سـرير مملكته » وللسيدة زينب عليها السلام في هذا المجلس احتجاجات ومخاصمات يكشـف التدقيق فيها مدىٰ ما قدّمته هذه المظلومة الأسيرة عليها السلام للاسلام والقرآن من خدمة كبرىٰ ، فان اهل الشام خاصة كانوا يرون معاوية ـ علىٰ أثر دعاياته المضللة ـ هو الحق حتىٰ لو ادعىٰ الألوهية ، وان من سواه هو إلباطل ولو كانوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأولاد علي عليه السلام . غير ان عقيلة الوحي والرسالة . العالمة غير المعلّمة ، زينب الكبرىٰ عليها السلام أبطلت باحتجاجها وتخاصمها مع يزيد كل ما نسجه معاوية ، ونسفت كل ما بناه ، وايقضت جماهير الشام من نومتهم ، ونبّهتهم عن غفلتهم ، وأوقفتهم علىٰ حقيقة آل ابي سفيان وجرائمهم وجناياتهم ، واقامت الدنيا واقعدتها علىٰ بني امية وعلىٰ يزيد خاصة ، حتىٰ خشي يزيد الانتفاضة وثورة الناس عليه ، فأخذ يظهر برائته من اهل الكوفة ، وينسب هذه الجناية الكبرىٰ الىٰ ابن مرجانة ، ويصبّ لعناته عليه ، ليمتص نقمة الجماهير الغاضبة ، ويسكن فـورتهم المـتصاعدة ، ولذلك كـان يـقول لأهـل البيت عليهم السلام : الامر اليكم ، وانتم بالخيار في البقاء هنا او الرحيل الىٰ مكة والمدينة ، فقالوا له : ان ابن زياد لم يسمح لنا بعد قتل الامام الحسين عليه السلام بالبكاء والنياحة عليه ، ولم يأذن لنا باقامة المأتم ومجلس العزاء علىٰ الامام الحسين عليه السلام ، والآن نريد اقامة ذلك ، ثم نرحل بعده الىٰ حرم جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

[عيد الشام ينقلب مأتماً]

وهنا أمر يزيد باخلاء احدىٰ باحات قصره وتسـليمها الىٰ اهـل البـيت عليهم السلام ليقيموا المأتم فيها ، فاشتغل عندها أهـل البـيت عليهم السلام بـالنياحة والبكـاء فـي ذلك المكان ، وأقامت النسوة المأتم علىٰ أبي عبد الله الحسين عليه السلام في بـلاد الامـويين بالشام ، واشترك معهنّ من كان في دمشق من قرشية وهـاشمية وسـاعدنهنّ عـلىٰ

البكاء . وقد أمرت السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام باحضار الرؤس في المأتم ، ويعلم الله تعالىٰ ما جرىٰ علىٰ أهل العزاء والمشاركات لهنّ من جرّاء ذلك ، حيث أحدثن ضجّة كبرىٰ ، ونياحة عظمىٰ ، ارتجّت لها دمشق الشام وتزلزلت باركانها لشدة المصاب ، حتىٰ خشي يزيد من اندلاع ثورة شعبية عارمَة تاتي عليه وعلىٰ حكومته ، ولذلك فكر في استعطاف الجماهير الغاضبة وامتصاص نقمتهم باسداء الخدمة لاهل البيت عليهم السلام والتعاطف معهم ، واظهار الحزن والحداد علىٰ قتلاهم ، ولاجل اظهار ذلك للناس بعث الىٰ الامام علي بن الحسين عليه السلام يدعوه اليه ، فلما تهيأ الامام زين العابدين عليه السلام للقائه قالت له السيدة زينب عليها السلام : « يا قرة عيني وسلوة فؤادي ، لا تكلّمه الّا بكلام هيّن ، وقول ليّن، فانه ظالم عنيد ، وشقي شديد ، لا يخاف من الله وعذابه ، ولا يستحي من رسول الله ووليّه » فجاء عليه السلام حتىٰ دخل علىٰ يزيد ، فقام له من مجلسه وأجلسه بجانبه وأظهر له البشاشة والانبساط ، وقال له : يا علي بن الحسين انما بعثت اليك لاقول لك: قل ما شئت واطلب ما تريد ، فان حاجتك مقضية لا محالة . فقال الامام زين العابدين عليه السلام في جوابه : أما انا فليس لي اليك حاجة ، واما البقاء والرحيل وغير ذلك ، فان الامر الىٰ عمّتي زينب الكبرىٰ فانها هي المتكفلة لهذه الأرامل والأيتام والقائمة بأمرهم ، فان كان لك رأي في شيء فاطرحه عليّ حتىٰ اكلم فيه عمتي زينب عليها السلام .

فلما سمع يزيد ذلك من الامام السجاد عليه السلام امتلأ قلبه رعباً وخوفاً ، ونفسه ذلة وخسة ، فأمر بازاحة الاستار من وسط المجلس وطلب حضور السيدة زينب عليها السلام وبقية ذراري آل محمد صلى الله عليه وآله فلما حضروا عظّمهم وأكرمهم ، وأظهر لهم تعاطفه وحزنه ، وأسفه وندمه ، وخيّرهم في أمرهم بين المقام بالشام مكرّمين ، وبين الرحيل الىٰ المدينة منعّمين ، عندها صرخت السيدة زينب عليها السلام وبكت ونادت برفيع صوتها : وا أخاه ، وواذلّتاه ، وواضيعتاه ، فارتج القصر لبكائها ، وتزلزل من صراخها ، وأُفرغ قلب يزيد خوفاً ، وارتعدت فرائصه خشية ، فقال بدهشة فائقة متسائلاً : من

الصارخة ؟ فقالوا له : انها زينب الكبرىٰ شقيقة الامام الحسين عليه السلام فتوجّه بكلامه اليها خانعاً خاضعاً وقال : اصبري يا بنت علي ، وارعي حال اليتامىٰ والأرامل ، واعلمي ان الصراخ لا فائدة فيه . فتأثرت السيدة زينب عليها السلام من كلام يزيد وهاج حزنها وبكاؤها وقالت : ذكر الرحيل الىٰ المدينة جدّد حزني وزاد همي وغمي . فقال يزيد : ان الغرباء يهوون وطنهم ويفرحون بذكره . فيلزم ان تفرحي بالرجوع الىٰ المدينة وتبتهجي . فبكت السيدة زينب عليها السلام من ذلك بكاءاً شديداً حتىٰ قال يزيد علىٰ أثره : السكوت عن الماضي وذكرياته أفضل وأجمل .

« القصة »

[قرار الترحيل عند انقلاب الرأي العام]

ثم ان أهل البيت عليهم السلام بعد أن عقدوا مأتم الامام الحسين عليه السلام وأقاموا مجلس العزاء والبكاء أيام مكثهم في دمشق الشام ، أمر يزيد ـ لما عرف اختيارهم الرحيل الىٰ المدينة ـ بأن يُهيّئوا لهم مقدمات السفر ، وكان مدة بقاءهم في الشام علىٰ الظاهر لا يتجاوز العشرة أيام وان اختلف المؤرّخون وأرباب المقاتل اختلافاً عظيماً في مدة بقائهم ، فمنهم من عدّه ستة أشهر ، ومنهم من جعله أربعين يوماً ، ومنهم من حسبه ثمانية عشر يوماً ، ومنهم من زعمه عشرة أيام ، ومنهم من رآه ثمانية أيام فقط ، ولكن الظاهر من الوقائع التاريخية حيث انهم وردوا الشام في أول شهر صفر وكانوا في كربلاء يوم الاربعين أي في العشرين منه : انه احد القولين الاخيرين ، وذلك لانقلاب الرأي العام ـ عبر احتجاجات السيدة زينب عليها السلام ، وخطبة الامام زين العابدين عليه السلام ـ علىٰ يزيد ، وانطلاق لسان الجماهير ضد الامويين ، مما اخاف يزيد وأذعره ، ودعاه الىٰ احتواء الغضب الجماهيري وامتصاص النقمة الشعبية بالانقضاض علىٰ ابن زياد ولعنه ، وبالاعلان عن برائته منه ومن عمله ، وبالتسريع في ترحيل اهل البيت عليهم السلام من الشام الىٰ حرم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله حذراً من وقوع الفتنة ، وتفادياً من

الانقلاب والثورة ، كما وأمر بأن يردّوا عليهم كلّ ما سلبوه منهم .

هذه من جهة ، ومن جهة أخرىٰ أمر النعمان بن بشير ـ ولعله كان جمالاً ـ بانتخاب نياقٍ جيدة ، وتجهيزها بمحامل ضافية ، مزيّنة بأستار ثمينة وراقية ، وتسخير خدم وحراس يخدمونهم ويحرسونهم طول الطريق ويدفعون عنهم الشر والاذىٰ واوصاهم بهم وبرعاية حالهم في المسير . فلما رأت السيدة زينب عليها السلام المحامل مزينة باستار جميلة وملوّنة بألوان زاهية ، خاطبتهم قائلة : « اجعلوها سوداء حتىٰ يعلم الناس انّا في مصيبة وعزاء لقتل اولاد الزهراء عليها السلام » وكذلك فعلوا .

[التوصية بالاسرىٰ]

ثم ان يزيد ـ حسب بعض الروايات ـ سلّم الىٰ الامام زين العابدين عليه السلام رأس أبيه الامام الحسين عليه السلام ليلحقه ببدنه الشريف . ثم طلب رئيس الحرس والخدم الذي أمره بحراستهم وخدمتهم وأوصاه قائلاً : عليك بهذا الشاب ـ ويقصد به علي بن الحسين عليه السلام ـ وبهذه النسوة أن توصلهم الىٰ المدينة المنورة بسلام ، وان ترفق بهم في الطريق وتعاملهم معاملة حسنة ، وأن تسير بهم ليلاً وتتركهم يستريحون نهاراً حتىٰ لا يتأذون بالشمس ، واذا نزلوا في مكان ، فانزل انت ومن معك من الخدم والحرس بعيداً عنهم ، حتىٰ لا يتأذون بسببكم ، ولا تقع عين حد منكم علىٰ أحد منهم .

[علىٰ أعتاب الرحيل]

فلما تهيأ أهل البيت عليهم السلام للرحيل ووصل خبرهم الىٰ أهل الشام ، أقبلت نساؤهم وقد لبسن السواد وحملن معهن أعلام الحداد ، ووقفن علىٰ طول الطريق يلوّحن لهنّ بالوداع وهنّ عبرىٰ بواكٍ وخرجت نساء آل أبي سفيان يودّعن ودائع النبوة والرسالة الىٰ خارج القصر ، فتذكر اهل البيت عليهم السلام آنذاك يوم خروجهم من المدينة ، فعلا صراخهن واشتد بكاؤهن ، وقامت القيامة الكبرىٰ حين خرج موكب

أهل البيت عليهم السلام من مدخل دمشق باتجاه المدينة ، حيث ضجّت نساء أهل الشام ضجة واحدة ، وصَرخن صراخاً عالياً ، وأجرين دمع العين بالآهات والزفرات ، وبقين يبكين ما دام كنّ يرون سواد الموكب ، ويصرخن ما دام كان يلوح لهن آثار المحامل والهوادج السوداء ، حتىٰ اذا غاب عن نظرهن سواد الموكب رجعن الىٰ منازلهن بحزن وأسىٰ .

[العودة الىٰ المدينة]

واما اهل البيت عليهم السلام فقد كان يسير بهم الحادي سيراً رويداً . ويرفق بهم ، ويحنّ عليهم ، وينزلهم في كل مكان او منزل ارادوا النزول فيه ، فاذا نزلوا ابتعد الحادي والحرس ، وكذلك الخدم عنهم مقدار ميل واحد ، وضربوا خيامهم هناك علىٰ بُعد منهم حتىٰ يكون أهل البيت عليهم السلام وحدهم فيزاولون اعمالهم بلا مزاحم ، وكان اهل البيت عليهم السلام في كل منزل ينزلون فيه ينصبون مأتماً علىٰ الامام الحسين عليه السلام ويبكون وينوحون لمصابه ، ولقد استمرّوا في سفرهم علىٰ هذه الحال حتىٰ وصلوا الىٰ مفترق طريق ، فطريق يتّجه بهم الىٰ العراق ، وطريق الىٰ الحجاز .

وهنا كلام كثير واختلاف كبير ، في انهم عليهم السلام هل اختاروا طريق الحجاز وانتهوا الىٰ حرم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة المنورة ، ام ساروا في طريق العراق ، وانتهوا الىٰ زيارة قبور شهدائهم وقتلاهم في كربلاء ، وذلك في الاربعين الاول من شهادتهم عليهم السلام والتقوا هناك جابر بن عبد الله الانصاري اول من زار الامام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين ؟ الظاهر : انهم عليهم السلام عرّجوا علىٰ العراق وزاروا الشهداء عليهم السلام في أول أربعين مرّ علىٰ شهادة قتلاهم عليهم السلام والتقوا هناك جابراً ، لكن نترك التفصيل في ذلك لمحَل آخر ، ونعرّج علىٰ مواصلة البحث عن كيفية وصولهم الىٰ حرم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله فانهم لما شارفوا المدينة المنورة نزلوا علىٰ أبوابها وأناخوا النياق الىٰ جانب ، وأقاموا الخيام في جانب ، كما ونصبوا في جانب مجلس المأتم والعزاء علىٰ

الامام الحسين عليه السلام وعلىٰ سائر الشهداء ، واستعرضوا كل ما كان لديهم من آثار الشهداء وذكرياتهم ، وما تبقىٰ منهم من ثياب واثاث وغير ذلك ، ونشروها أمامهم واشتغل النساء وذراري رسول الله صلى الله عليه وآله بالنياحة والبكاء واشتد بكاؤهن علىٰ اثر تلك الذكريات ، وعظم نياحهن من بقايا تلك الآثار . التي كانت تذكّرهم بشهدائهم الكرام .

[في استقبال موكب كربلاء]

وكان قد أرسل الامام زين العابدين عليه السلام الىٰ المدينة من يخبر أهلها برجوع موكب أهل البيت عليهم السلام من كربلاء ، فهرع الناس لما سمعوا الخبر الىٰ خارج المدينة يتلقون أهل البيت عليهم السلام وبينما كان آل محمّد صلى الله عليه وآله مشتغلين بالعزاء واذا بهم يسمعون همهمة أهل المدينة الذين خرجوا لاستقبالهم وفي طليعتهم نساء المهاجرين والانصار ، فلما رأىٰ الامام زين العابدين عليه السلام ذلك ، امر اخته السيدة زينب عليها السلام وسائر النسوة باستقبال نساء أهل المدينة ، فاستقبلنهن باكيات مستعبرات . فلما وقع نظر نساء أهل المدينة علىٰ السواد الذي ارتدته نساء أهل البيت عليهم السلام أحسسن بالمصيبة ، فصرخن وضججن ، واقمن المدينة علىٰ رؤسهن بكاءاً وعويلاً ، وأسرعن نحو الخيام ، فلما رأين الخيام خالية من الرجال ، ولم يرون فيها غير الامام زين العابدين عليه السلام علمن انه لم يُبقِ لهم بنوا امية من الرجال سواه ، فاشتد بكاؤهن ، وعلا نحيبهنّ ، وقام كل جماعه منهن بأطراف واحدة من السيدات الثواكل واخذن يساعدنها بالبكاء علىٰ قتيلها ويواسينها بمصابها ، كما وأحطن بالسيدة زينب عليها السلام ام المصائب ينحن معها ويسألنها عما جرىٰ عليها وعلىٰ ذويها في كربلاء ، ويلححن في سؤالهن عن المصائب التي طرقتها عليها السلام .

وهنا اخذت السيدة زينب عليها السلام تشرح لهن بعض الجوانب من رزايا كربلاء قائلة : بأي لسان اشرح لكنّ ما جرىٰ علينا في كربلاء ؟ ام بأي بيان افسّر لكنّ مصائب

يوم عاشوراء ؟ انها مصائب سوداء ورزايا عظيمة ، يودّ الانسان ان لا يراها في حياته ابداً ، وقد سئمت الحياة علىٰ أثرها ، فيا نساء قريش ، ويا عقائل بني هاشم ، انّكن تسمعن مني شيئاً ، ويطرقكنّ عني حديثاً وكلاماً ، ولكن اين السمع من الرؤية ؟ واين الغياب من الحضور والمعاينة ؟ فلو شرحت لكنّ ما جرىٰ علينا يوم عاشوراء صغاراً وكباراً ، وما جرىٰ علىٰ رجالنا من قتل وسلب ، وعلىٰ نسائنا من سبي وأسر ونهب ، لَلُمتنّني كيف بقيت في الحياة مع كل ذلك ، ولم امت من شدة المصاب وعِظَم الفاجعة ؟ ثم ذكرت عليها السلام لهن مجملاً من ظلم بني امية وحقدهم ، وجفائهم وقسوتهم عليهم ، مما ابكت به العيون وأقرحت منه الجفون واحرقت له القلوب ، فعلا صراخ النسوة واشتد نحيبهنّ حتىٰ ضجّ لبكائهن وعويلهن اهل السماوات وسكّان الملأ الاعلىٰ . ثم التمس رجال اهل المدينة الذين جاؤا في استقبال الامام زين العابدين عليه السلام وتسليته علىٰ مصابه ، أن يعجّل مع النسوة في الدخول الىٰ المدينة والورود علىٰ جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلبّى الامام زين العابدين عليه السلام طلبهم وأمر بجمع الخيام وحمل الاثقال ، والدخول الىٰ المدينة المنورة التي فارقوها بكُره وخوف ، ففعلوا ذلك ودخلوا المدينة بصراخ وعويل وحزن واسىٰ ، وكان ذلك اليوم هو يوم جمعة ، فارتجت لبكائهم المدينة المنورة وتزلزلت حتىٰ كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فارق الحياة في هذا اليوم .

[المدينة في عزاء وحِداد]

فلما دخل أهل البيت عليهم السلام المدينة وترائىٰ لهم مسجد جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجهت السيدة زينب عليها السلام الىٰ قبر جدها قائلة : « يا جداه ! اني ناعية اليك ولدك الحسين عليه السلام » وما ان تم نعي السيدة زينب عليها السلام اخاها الامام الحسين عليه السلام الىٰ جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ ارتفع من القبر الشريف أنين حزين سمعه الجميع فارتجفوا منه ، وارتعدت له فرائصهم ، واشتد بكاؤهم وحزنهم ، وحيث ان كتب المقاتل

اسهبت في ذكر هذا الموقف من السيدة زينب عليها السلام وكلامها مع جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره الشريف ، تركنا الكلام فيه معوّلين عليها .

ثم ان اهل المدينة عقدوا المأتم وأقاموا مجلس العزاء على الامام الحسين عليه السلام الى مدة اسبوعين كاملين ، فاشتغلوا بالعزاء والبكاء خمسة عشر يوماً ، وان كان جماعة من أهل المدينة قد أصبحوا في عزاء من يوم وصلهم خبر استشهاد الامام الحسين عليه السلام ولكن هذه المدة الأخيرة اي الخمسة عشر يوماً ، فانها كانت ايام عزاء المدينة برمّتها ، وفصل حدادها بكلها ومجموعها ، حيث اصبحت ومن شدة الضجيج والبكاء نموذجاً من نماذج الحشر والنشر ، وساحة من سوح القيامة الكبرىٰ.

كان هذا حال اهل المدينة الذين لم يشهدوا واقعة كربلاء ، وانما سمعوا عنها بعض الشيء ، فكيف بحال الهاشميات وذراري آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام وخاصة السيدة زينب عليها السلام التي فقدت اخوتها ورجال اهل بيتها بما فيهم الامام الحسين عليه السلام في يوم واحد ؟ ولذلك كانت السيدة زينب عليها السلام في حزن دائم ، وبكاء غالب ، وحداد مستمر ، حتىٰ احدودب ظهرها ، وابيضّ شعرها ، ووهن قوّتها ، وضعفت حيلتها ، ومع كل ذلك لم تفتر عليها السلام عن ذكر اخيها الامام الحسين عليه السلام ولم تضعف عن تبليغ هدفه الانساني ، وايصال رسالته المكتوبة بالدمع والدم الىٰ كل الأجيال وعلىٰ ممرّ العصور والأزمان .

[وداع مع الحياة]

نعم ، كان ذلك حال السيدة زينب عليها السلام بعد اخيها الامام الحسين عليه السلام حتىٰ فارقت الحياة عن عمر لا يربو علىٰ الخمس او الست والخمسين سنة ، وذلك علىٰ اثر حزنها وكمدها ، فاشبهت عليها السلام في كمدها وحزنها امّها فاطمة الزهراء عليها السلام ، فانها مضافاً الىٰ ما ورثته من امها من المصائب العظيمة ، واست امها من حيث خفاء تاريخ وفاتها ، ومن حيث خفاء قبرها .

اما الخفاء من حيث التاريخ ، فلم يُعرف حتىٰ اليوم بطريق معتبر تاريخاً معيّناً لوفاة السيدة زينب عليها السلام وان قال بعض بان وفاة السيدة زينب عليها السلام كان بعد ثمانين يوماً من وفاة السيدة أم كلثوم اخت العقيلة السيدة زينب عليها السلام علماً بان وفاة السيدة ام كلثوم ـ علىٰ ما قيل ـ كان بعد رجوع موكب أهل البيت من كربلاء الىٰ المدينة بأربعة أشهر ، لكن مع ذلك لم يكن تاريخ الوفاة واضحاً وجلياً ، بل هو الىٰ اليوم في هالة من الخفاء والغموض .

وأما الخفاء من حيث المكان ، فلم يُطمأن بعدُ الىٰ مكان يُقطع بانه هو محل قبرها الشريف ـ وان كان المشهور بل المظنون قوياً كونه بالشام ـ اذ هناك اختلاف كبير بين المؤرخين وأرباب المقاتل في تعيين محل قبرها ، فمنهم من قال : انه في المدينة ، ومنهم من قال : انه في قناطر السباع بمصر ، ومنهم من قال : انه في محلة الخراب بدمشق الشام ، كما انهم اختلفوا في كيفية تواجدها عليها السلام للمرة الثانية في الشام ، حيث قال بعضهم : بان يزيد أسر أهل البيت عليهم السلام مرة ثانية غير المرة الأولىٰ ، ومن المدينة المنورة في هذه المرّة ، لا من كربلاء المقدسة كما كان في المرة الاولىٰ ، وبعضهم قال : بان يزيد طلب من أهل البيت عليهم السلام بعد رجوعهم الىٰ المدينة ، ان يأتوا اليه في الشام ويكونوا عنده معززين مكرّمين ، وبعض قال : بان يزيد طلب من السيدة زينب عليها السلام بعد زوجها عبد الله بن جعفر بن ابيطالب عليه السلام السفر الىٰ الشام ، وأراد منها الوفود عليه بعد ان عرض عليها خطبة الزواج منها . ولكن في كل هذه الثلاثة نظر ، وهو بعيد ايضاً . لان الأسر لم يتحقق الّا مرة واحدة وقد ادّىٰ الىٰ افتضاح يزيد وانكشاف مساوئ بني امية وانقلاب الرأي العام علىٰ النظام الاموي ، ومعهُ لم يقدم يزيد بعدها علىٰ اسرهم ثانياً خوفاً من الافتضاح الاكثر ، كما ان يزيد لم يقدم علىٰ طلب أهل البيت عليهم السلام الىٰ الشام ، ولا الىٰ خطبة السيدة زينب عليها السلام لانه لم يكن ليؤمن بهم باطناً ، بل انه لم يؤمن بالوحي رأساً علىٰ ما صرّح بذلك في اشعاره ، كما انه لم يكن تواجد اهل البيت عليهم السلام في الشام بصالحه وبصالح النظام الأموي . وكيف كان :

فانه ينبغي للمؤمنين اذا تسنّىٰ لهم الزيارة ان يزوروا السيدة زينب عليها السلام في كل الامكنة التي اشتهر انهُ محل مرقدها عليها السلام فان زيارتها عليها السلام ليس اقل ثواباً من زيارة اخيها الامام الحسين عليه السلام . اللهم ارزقنا زيارتها وشفاعتها ، واحشرنا معها وفي زمرتها ، وثبتنا علىٰ محبّتها وولايتها ، انشاء الله .

الخصيصة الثانية والعشرون
« في أنها عليها السلام المجاهدة المحتسبة »

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام : « مجاهدة النفس ، شيمة النبلاء » وقال عليه السلام ايضاً : « الجهاد باب من ابواب الجنّة » وقال عليه السلام في مكان آخر : « موتات الدنيا أهون عليَّ من موتات الآخرة » وهناك ايضاً : « موتوا قبل ان تموتوا » .

وفي الحديث : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم الجهاد الىٰ قسمين : جهاد أكبر ، وجهاد أصغر ، اما الاصغر فهو الجهاد بالسيف مع الاعداء ، واما الاكبر فهو الجهاد مع النفس والشيطان ، وقد حازت السيدة زينب عليها السلام مضمار السبق في كل من الجهادين الاصغر والاكبر ، اما الاصغر : فهي بالاضافة الىٰ حسن تبعّلها ـ لان جهاد المرءة حسن التبعّل ـ وقفت في يوم عاشوراء الىٰ جنب اخيها الامام الحسين عليه السلام وشاطرته مصابه ، وحيث ان النساء ليس عليهن جهاد بالسيف ، قدمت ولديها وفلذتي كبدها : عوناً ومحمداً ، فجاهدا بالسيف بين يدي الامام الحسين عليه السلام وقاتلا حتىٰ قتلا ، فنالت ثواب الجهاد الاصغر بالصبر علىٰ شهادتهما ، وأما الجهاد الأكبر : فمن مثلها وقد نالت بجهادها وسام : العصمة الصغرىٰ .

[اقوال العلماء]

هذا وقد قال علماء الاخلاق : ان الانسان لا يبلغ حقيقة الانسانية الا اذا أدرك المقام المنيع ، ونال المرتبة الرفيعة من الموت الاختياري ، وقد اعتبروا للموت الاختياري مراحل اربع وقالوا : ان الانسان الحقيقي هو من خاض كل هذه المراتب

الاربع وهي :

١ ـ الموت الاحمر .

٢ ـ الموت الابيض .

٣ ـ الموت الأخضر .

٤ ـ الموت الاسود .

[الجهاد مع النفس]

أما الموت الأحمر : فهو : كما قالوا ـ الموت الجامع لجميع المراتب ، وهو عبارة عن الجهاد مع النفس الامّارة بالسوء والغلبة عليها ، وهو الذي سمّاه رسول الله ﷺ بالجهاد الاكبر ـ علىٰ ما عرفت ـ وللسيدة زينب عليها السلام السبق في هذا المضمار ، والتفوق في هذا المجال علىٰ من سواها من النساء ، حتىٰ حصلت من بينهنّ علىٰ درجة الخاتمية بعد امها فاطمة الزهراء عليها السلام في العصمة ، كما ان جدّها رسول الله ﷺ حاز مرتبة الخاتمية من بين رسل الله وانبيائه فكان هو خاتم الانبياء والمرسلين ، وكما ان ابن اخيها الامام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه نال درجة الخاتمية من بين اوصياء الله وحججه ، فصار هو خاتم الحجج والوصيين . وصارت هي عليها السلام خاتمة النساء المنتخبات والمتفوقات في العالمين ، ولتوضيح هذا المعنىٰ مكان آخر ان توفقنا له اشرنا اليه انشاء الله تعالىٰ .

[الصبر علىٰ الجوع]

واما الموت الابيض : فهو ـ علىٰ ما قيل ـ عبارة عن تحمل الجوع والسّغب ، اذ بالجوع يصفو الباطن ، ويجلوا الضمير ، ويتنوّر القلب ، ويقرب العبد من رحمة ربه ، ولذا كان من شيمة الانبياء العظام الجوع والصبر عليه ، والسيدة زينب عليها السلام لها الخط الاوفر من هذه المزية ، وخاصة في كربلاء ، وبعد شهادة اخيها الامام الحسين عليه السلام ،

وفي طريق الكوفة والشام أيام السبي والأسر، وخصوصاً في الشام حيث بلغ الجوع منها مرحلة قصوىٰ، وأخذ منها كل مأخذ، حتىٰ قال عنها بعض أهل المقاتل بانها عليها السلام كانت تصلي ذات مرة وهي في خرابة الشام صلاةً من جلوس، فرآها ابن اخيها الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام تصلي وهي جالسة، فسألها عن سبب جلوسها، فاجابت: يابن اخي ان الجوع اخذ مني قواي، وسلبني القدره علىٰ القيام في الصلاة.

[الاقتصاد في المَلبس]

واما الموت الاخضر: فهو ـ كما قيل ـ عبارة عن ارتداء الملابس المرقّعة، او الملابس العادية المتعارفة، المتواضعة قيمة، أو التي لا قيمة ولا ثمن لها، فان ارتداء مثل هذه الملابس تميت النفس وتورثها التواضع والانكسار، بخلاف الملابس الفاخرة والثمينة فانها تطغي النفس وتوحي اليها التكبر والطغيان، الا من عصم الله.

ثم ان الاقتصاد في الملبس هو دأب الأنبياء والاوصياء والأولياء، والذي حاز مضمار السبق في هذا المجال بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الامام أمير المؤمنين عليه السلام حتىٰ اشتهر عنه قوله: «لقد رقّعت مدرعتي هذه حتىٰ استحييت من راقعها»، وللسيدة زينب عليها السلام من هذا الأمر الحظ الأوفر، وخاصة بعد شهادة اخيها الامام الحسين عليه السلام حيث انها لم ترتد بعد ذلك الا ملابس اصحاب العزاء، اذ كانت هي عليها السلام في حداد دائم علىٰ أخيها الامام الحسين عليه السلام.

[تحمّل الأذىٰ]

وأما الموت الأسود: فهو ـ علىٰ ما قيل ـ عبارة عن تحمل اذىٰ الناس والصبر علىٰ لائمتهم في سبيل الله تعالىٰ، والانبياء وكذلك الاوصياء والاولياء، كانوا في طليعة المتصفين بهذه المزيّة، فانه لم يبعث الله نبياً من الأنبياء الّا وصار محلّ

سخرية الناس ، ومورد اذاهم ، وموئل عتبهم وملامتهم ، وكان رسول الله ﷺ في طليعة الأنبياء والمرسلين في تحمل هذا الامر والصبر عليه ، حتىٰ روي عنه ﷺ انه قال : « ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت » وصار أهل بيته عليهم السلام من بعده ورّاثه في هذا المجال ، ومنهم السيدة زينب عليها السلام حيث كان لها النصيب الاكبر والخط الاوفر من هذه المزية ايضاً ، فقد تحملت اذىً كثيراً ولوماً كبيراً من بني امية ، وصبرت علىٰ مالم يقدر علىٰ تحمله والصبر عليه أحد غيرها ، واما الجواب الذي أجابت به ابن زياد وغيره من الطواغيت كيزيد بن معاوية ، فانه لم يكن عجزاً منها في التحمل للاذىٰ والصبر علىٰ التشمّت بها ، بل كان لانه اذا لم تجبهم ، يضيع الحق ، ويندرس معالم الدين ، ويخفىٰ حق اهل البيت عليهم السلام ، والسكوت علىٰ مثله لا يجوز .

اذن : فالسيدة زينب عليها السلام قد حازت مضمار السبق في كل هذه المزايا والخصال ، حتىٰ صارت جديرة بان تكون هي المجاهدة المحتسبة من بين النساء بعد امها فاطمة الزهراء عليها السلام .

الخصيصة الثالثة والعشرون

« في أنها عليها السلام الممتَحنة الصابرة »

قال تعالىٰ : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ أي : لا يمتحنون ؟

وقيل : الامتحان هو الميزان العدل والقول الفصل .

وقيل : الامتحان هو سُلّم الرقي والصعود .

نعم إن من الامور التي لها دَور المقياس في تعيين مقام الانسان ، وتحديد مقدار ايمانه واعتقاده بالله واليوم الآخر عند نفسه وعند الناس هو : الامتحان السماوي ، والاختبار الالهي ، فان الامتحان سبب لظهور الكمالات الكامنة في الانسان ، ومنشأ لصقل ملكاته الخيّرة المذخورة فيه ، ولابد لكل انسان مهما كان قدره وشأنه ، وكيفما كان حاله ووضعه ، ان يمرّ به ، ويعرضَ عليه .

كما ان الامتحان قد ينتج العكس فيما لو خسر الانسان الامتحان ولم يخرج منه بنجاح ، ولذلك علّمنا الامام امير المؤمنين عليه السلام ان نقول في دعائنا : « اللهم اني اعوذ بك من مُضلّات الفتن » أي : من الامتحان الذي لا يستطيع الانسان الخروج منه بنجاح والمرور عليه بسلام : وقد روي عَن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « خلق الله تعالىٰ في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وخلق الله تعالىٰ في البهائم شهوة بلا عقل ، وخلق الانسان من كليهما . فمن غلب عقله فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته فهو شر من البهائم ، اولئك كالانعام ، بل هم أضلّ سبيلاً » .

ثم ان الامتحان هو الذي يعطي الفرصة المناسبة للانسان في تحكيم عقله

علىٰ شهوته حتىٰ ينال درجة التفوق علىٰ الملائكة ، او لا سمح الله يكون الامتحان مرتعاً للشيطان ومنفذاً للنفس الامارة بالسوء فيودي بالانسان الىٰ درجات السقوط وينزل به الىٰ مستوىٰ الانعام بل هم أضلّ ، لان الانعام حيث لا عقل لها ، كان همّها بطنها وشهوتها ليس الّا ، فاذا كان الانسان الذي وهبه الله تعالىٰ العقل يفكر كذلك وينزل الىٰ مستوىٰ ما لا عقل له يكون أضل منه والعياذ بالله ، ولذلك قيل : عند الامتحان يكرم المرء او يهان . والنجاح في الامتحان الالهي كالنجاح في الامتحانات المدرسية وغيرها بحاجة الىٰ استعداد وتهيّوء ، وذلك بترويض النفس وتدريبها علىٰ الخير والتقوىٰ ، والتماس التسديد من الله تعالىٰ ، والاقتداء بسيرة الانبياء والمرسلين والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

[الامتحان الالهي والفوزفيه]

ثم ان الامتحان الالهي يكون مختلفاً ومتفاوتاً بحسب كيفه ونوعه ، كما قال تعالىٰ : « ولنبلونّكم بشيء من الخوف ، والجوع ، ونقصٍ من الاموال والانفس والثمرات ، وبشّر الصابرين » ويكون ايضاً مختلفاً ومتفاوتاً بحسب تفاوت الاستعدادات الكامنة في الانسان ، فكلما كان الانسان اكثر قرباً من الله تعالىٰ كان بلاؤه أكثر وامتحانه اشد ، ولذلك يكون الانبياء عليهم السلام هم اشد الناس بلاءاً واكثرهم امتحاناً ، ويليهم الاولياء ثم الامثل فالأمثل ، وهكذا .

ولا يخفىٰ ان السيدة زينب عليها السلام قد امتحنت امتحاناً شديد ، واختبرت اختباراً عظيماً ، فاق امتحان جميع من تقدمها ومن تأخر عنها ، حتىٰ الانبياء والمرسلين ، فان المصائب التي امتحنت عبرها ، وابتليت بها لم يسبق لها مثيل ، ولم يأت لها نظير ، ولم يشاركها احد فيها ، سوىٰ اخيها الامام الحسين عليه السلام ، فقد شاء الله اختصاصهما بها دون أحد من عباده المكرّمين ، وانبيائه المرسلين ، حتىٰ اشتهر انه : « لا يوم كيومك يا أبا عبد الله » ، وهذا الاختصاص والتكريم من الله تعالىٰ للامام

الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام ان دل علىٰ شيء فانه يدل علىٰ علوّ مقام السيدة زينب عليها السلام ورفعة درجتها عند الله تبارك وتعالىٰ مما يغبطها جميع الانبياء والأولياء ، وكل الصلحاء والمتقين .

وحيث كان اغلب ما لاقته من مصائب ، واشدّ ما امتحنت به من بلايا مصادفاً لسفرها مع اخيها الامام الحسين عليه السلام الىٰ كربلاء ، وفي أرض كربلاء اصبحت كربلاء ساحة استباقها ، ومحل فوزها وارتفاعها ، وموضع عروجها وقربها الىٰ الله تعالىٰ ، فقد لاقت فيها ما لاقت ، وصبرت فيها علىٰ مالم يستطع أحد ان يصبر علىٰ شيء مما صبرت عليه .

« اشارة »

[من امتيازات السيدة زينب عليها السلام]

لقد امتازت السيدة زينب عليها السلام في كل من الامتحانات التي مرّت بها ، وكل من الاختبارات التي اختبرت عبرها ، بما جعلها نسيج وحدها وسبيكة خالصة لا مثيل لها ولا نظير . فلقد اصيبت ببلايا لم يصاب بها أحد ممن كان قبلها وممن يأتي بعدها من الخلق أجمعين ممن امتحنهم الله تعالىٰ من الأولين والآخرين .

فمثلاً : امتحان الخوف قد حازت منه السيدة زينب عليها السلام الحظّ الأوفر والنصيب الأكبر ، وذلك من حين خروجها مع اخيها الامام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة حيث أعرب الامام الحسين عليه السلام عن خروجه منها عما أصابه وموكبه من الخوف بتلاوة قوله تعالىٰ : ﴿ **فخرج منها خائفاً يترقب قال ربِّ نجّني من القوم الظالمين** ﴾ وحتىٰ ورودها عليها السلام الىٰ كربلاء .

وفي كربلاء بلغ الخوف غايته مما جعل خوف الطريق علىٰ طوله وفي كل منازله علىٰ شدته بالنسبة اليه ضئلاً ويسيراً ، وخاصة بعد ظهر تاسوعاء عندما زحف جيش ابن سعد نحو المخيم ، وليلة عاشوراء عندما سمعت اخاها الامام

الحسين عليه السلام يقرأ الابيات المعروفة ـ وهو يصلح سيفه ـ :

« يا دهر اف لك من خليلي كم لك بالاشراق والأصيل »

« من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل »

« وانما الامر الىٰ الجليل وكل حي سالك سبيل »

وفي ظهر يوم عاشوراء عندما جاء الامام الحسين عليه السلام للوداع حيث قالت له : « استسلمت للموت ؟ » وخصوصاً بعد عصر عاشوراء وتلك عند شهادة اخيها الامام الحسين عليه السلام حيث بقيت وحدها مع مجموعة من النساء والاطفال بلا حامٍ ولا معين من رجالها ، وسط آلاف مؤلفة من الاعداء الذين لم يشمّوا رائحة الاخلاق والمكارم ، ولم يعرفوا سوىٰ الفتك والنهب ، والفضاضة والجفوة ، مضافاً الىٰ ان هؤلاء الجفاة الغلاظ صحبوها الىٰ الكوفة ومنها الىٰ الشام ، وكذلك الخوف المتطاير في مجلس ابن زياد ، ومجلس يزيد من تهديد ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام وتهديدها بالقتل والسجن وغير ذلك .

ومثلاً : امتحان الجوع ، فانها عليها السلام قد نالت القسط الاكبر من الجوع اضافة الىٰ العطش الكبير الذي مسّها يوم عاشوراء وبعده ، مما عوّقها حتىٰ عن الصلاة لله تعالىٰ من قيام ، بل كانت تؤدّي صلاتها في خرابة الشام من جلوس كما مرّ ذكره من قريب .

ومثلاً : امتحان نقص الاموال والثمرات والانفس ، فان السيدة زينب عليها السلام قد نالت منها ايضاً مالم ينله أحد ، اما نقص الاموال فقد قدّمت كل ما كانت تملكه حتىٰ قرطيها ، فان بني امية قد سلبوها ونهبوا كل ما كان عندهم من اموال ومتاع .

وأما نقص الثمرات ، فقد قدّمت ثمرتي فؤادها ، وفلذتي كبدها : محمداً وعوناً ، ضحية في سبيل الله ، وفداءاً بين يدي اخيها الامام الحسين عليه السلام ، كما وحُرمت من اكل الثمار طيلة حياة الاسر والسبي ، بل طيلة حياتها ، لانها عليها السلام كانت في حداد دائم علىٰ اخيها الامام الحسين عليه السلام .

واما نقص الانفس ، فمن مثل السيدة زينب عليها السلام وقد فقدت في يوم واحد ،

عضيدها وشقيقها ، وسيّدها وسندها ، الامام الحسين عليه السلام وثمانية عشر رجلٍ من أهل بيته ليس لهم علىٰ وجه الارض من شبيه ولا نظير ، وهم بين اخوتها وأولاد اخوتها واولادها ؟؟

وعَليه : فقد ظهر من ذلك كله امتياز السيدة زينب عليها السلام باستعداد كبير ، وتأهل عظيم ، وكفائة عالية ، أهّلتها للخروج من كل هذه الامتحانات العصيبة ، والاختبارات المريبة بنجاح وتفوق ، حتىٰ حازت في اثره علىٰ اسمىٰ مقام المقربين ، وارفع ذرجات المتقين ، ونالت وسام الممتحنة الصابرة كما نالته من قبل امها فاطمة الزهراء عليها السلام .

الخصيصة الرابعة والعشرون
« في أنها عليها السلام كاملة اليقين والمعرفة »

قال امير المؤمنين عليه السلام : « لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : « يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت » فاليقين الكامل بالله واليوم الآخر ، والمعرفة الكاملة بالله وانبيائه وأوليائه ، هما اساس التقرب الى الله تعالى والزلفى اليه ، ومنبع الرفعة والكمال الانساني .

ثم ان العقل هو الذي بعد الشرع يدعو الانسان الى تحصيلهما ويؤكّد عليهما ، كما ان الله تبارك وتعالى لأهميّتهما جعلهما الهدف من ايجاد الانسان وخلق البشر حيث قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الّا ليعبدون ﴾ وقال المفسرون في معناه : اي : ليعرفون . وهما القسطاس المستقيم الذي يقاس بهما درجة كمال الانسان ومقام قربه من الله تعالى ، وبهما يقدّر الاجر والثواب الذي يعطى للانسان تجاه اعماله وعباداته وذلك كما قيل : « المعروف بقدر المعرفة » وكما اشتهر : من انه لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده بل الى معرفته ، لأن ملاك التقرب الى الله تعالى هي المعرفة بالله واليقين به ، والاجر الذي ادّخر الله تعالى لأهل معرفته واليقين به من عباده المخلصين ، لا يحصى ولا يعدّ ، ولا يعرف مقداره الا الله تبارك وتعالى .

ثم ان المعصومين الاربعة عشر صلوات الله عليهم اجمعين ، هم في ارفع درجات المعرفة واليقين ، وعند اعلى مراتبهما ، ومن بعدهم يأتي دَور السيدة زينب عليها السلام فانها التي حازت من درجات اليقين ومراتب المعرفة ما جعلها تالية لهم وفي الرتبة بعدهم ، ولا عجب فانها عليها السلام ربيبة الوحي والتنزيل ، ورضيعة

ثدي الايمان والمعرفة واليقين ، ومواقفها الحازمة خير دليل علىٰ قوة يقينها وكبير معرفتها وهي كثيرة لا نستطيع احصاؤها ، الا انه نشير الىٰ بعضها باختصار :

[نماذج من معرفتها ويقينها عليها السلام]

١ ـ انها عليها السلام لما فقدت امها فاطمة الزهراء عليها السلام اخذت تنعاها وهي علىٰ صغرها وتقول : الآن بفقدكِ يا اماه فقدنا جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه كلمة تدل علىٰ غاية المعرفة واليقين .

٢ ـ انها عليها السلام قالت لأبيها امير المؤمنين عليه السلام عندما كان يقبلها يوماً وهي صغيرة : اتحبنا يا ابة ؟ فقال عليه السلام ، نعم يانور عيني ، فقالت عليها السلام : الحب لله ، ومنك الشفقة علينا . فقال مؤيداً لها : أحسنتِ يا ثمرة فؤادي ، وفلذة كبدي ، وهو كلام يستحق التحسين لانه يدلّ علىٰ مدىٰ معرفتها عليها السلام وكامل يقينها .

٣ ـ انها عليها السلام لما رأت ابن عباس يريد من اخيها الامام الحسين عليه السلام ان لا يصحب النسوة معه في سفره نحو العراق ، ندّدت به وبكلامه وصَرخت قائلة : « يابن عباس تشير علىٰ شيخنا وسيدنا ان يخلفنا هاهنا ويمضي وحده لا والله ، بل نحيىٰ معه ونموت معه .. » وهذا الثبات والاستقامة منها علىٰ ان تكون مع اخيها الامام الحسين عليه السلام مع علمها بما سيجري عليها ، يدل علىٰ كبير معرفتها بامامها وعظيم يقينها بالله واليوم الآخر ، والاجر الذي اعدّها الله لها .

٤ ـ انها عليها السلام لما جاءت بولديها الىٰ اخيها الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وطلبت منه قبولهما منها فدائيان صغيران وضحيتان متواضعتان قالت له : اخي يا اخي ، لو كان الجهاد قد كتب علىٰ النساء كما كتب علىٰ الرجال لوَددت ان افديك نفسي الف الف مرة وانقذك من القتل ، ولكن الامر الىٰ الله . ثم انها عليها السلام عندما استشهدا لم تخرج اليهما ، ولم تذكرهما في شيء من كلامها عند اخيها الامام الحسين عليه السلام ، وانما احتسبت الله فيهما ، وذلك كله لعظيم يقينها بالله وبثوابه ، ولكبير

معرفتها بامامها وصوابه .

٥ ـ انها عليها السلام لما مرّوا بها على مصارع القتلى القت بنفسها على جثمان اخيها الامام الحسين عليه السلام وهو بتلك الحالة ، قد فرّق بين رأسه وجسده مضرّج بدمه ، مرمّل بتراب كربلاء ، فقبّلت نحره ، ووضعت يديها المرتجفتين من هول المصاب وعظمه تحت جثمانه ورفعته نحو السماء وقالت : « اللهم تقبل منا هذا القربان » وهذا الكلام عظيم الدلالة كبير المعنى ، واقل ما يدل عليه هو دلالته على مدى معرفة السيدة زينب عليها السلام وعظيم يقينها ، ممّا عجز عن دركها احد سوى المعصومين عليهم السلام . الى غير ذلك مما جاء عنها عليها السلام في هذا المجال .

« اشارة »

[بين السيّدتين : هاجر وزينب عليهما السلام]

جاء في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام انه لما اراد ان يأخذ ابنه اسماعيل عليه السلام معه الى منى ليقدمه قرباناً الى الله تعالى ، طلب من امه هاجر ان تزيّنه وتلبسه ملابسه الفاخرة والنظيفة ، حتى يأخذه معه الى ضيافة خليله العزيز ، وهو يقصد به ضيافة الله تبارك وتعالى ، غير انه كنّى عنه بذلك ، ولم يصرّح امام امه بما يريده اشفاقاً منه عليها . فهيّأته فأخذه معه وتلّه للجبين ووضع المدية على رقبته واخذ يحزّ بها رقبته ، حتى اذا اثّر ذلك في عنقه بالحمرة فقط لا قطعاً ، نزل جبرئيل ومعه كبش كبير وأمره بذبحه مكان ولده ، فذبح ابراهيم الكبش ورجع باسماعيل سالماً الى امه ، فلما وقع نظر الام الحنون هاجر عليها السلام على موقع المدية وأثرها من الاحمرار على رقبة ابنها العزيز اسماعيل ، خرّت على الارض مغشياً عليها ، ثم لم تعش في الحياة بعد ذلك الا قليلاً ، وبالمقارنة بين هذه الام الحنون ، وبين الام العطوف التي هي محل بحثنا في هذا الكتاب اعني : السيدة زينب عليها السلام يُعرف الفرق الكبير بين هذين الامّين ، من حيث الصبر على المصائب الكبرى ، والتجلّد عند الافتجاع بالأحباب والاعزّة .

فالسيدة زينب عليها السلام بدل تزيين هاجر ابنها اسماعيل تُلبس ولديها محمداً وعوناً ـ وكل منهما اسماعيل عصر وزمانه ـ لامة الحرب ، وتطلب من اخيها الامام الحسين عليه السلام ان يقبلهما فدائيين صغيرين له ، وان يأذن لهما في المبارزة والشهادة بين يديه ، والسيدة زينب عليها السلام تعرضت مكان رؤية هاجر احمرار رقبة ابنها اسماعيل المتأثر بامرار المدية عليها ، الىٰ رؤية جسد ولديها مقطعاً بالسيوف ، موذّراً علىٰ رمضاء كربلاء ، فصبرت وغضت الطرف عنهما ، وسكنت ولم تبك عليهما ، وتجلّدت ولم تذكرهما في مدح ولا رثاء ، ولا في مناسبة او مكالمة ،كل ذلك اعظاماً منها لاخيها الامام الحسين عليه السلام واكباراً له ، واحتقاراً منها لقليل ما قدمته له وبين يديه ، لكن نفس هذه السيدة العظيمة لما سمعت بان ابن اخيها علي الأكبر قد استشهد خرجت من المخيم الىٰ المعركة وهي مُولولة ومُعولة ، وصارخة ومنادية : واعلياه ، وا ابن اخاه ، مما اشغلت بال أخيها الامام الحسين عليه السلام عن ولده ، وعطفت همه عليها ، ووجهت فكره اليها ، والىٰ ارجاعها الىٰ المخيّم ، وسوف نشير فيما بعد الىٰ سرّ عملها هذا انشاء الله تعالىٰ .

الخصيصة الخامسة والعشرون
« في أنها عليها السلام من احباء الله واودّائه »

ان من المقامات العالية ، والدرجات الراقية : مقام المودّة والمحبة لله تبارك وتعالىٰ ، ولقد اختار الله عزّ وجل سيد رسله وخاتم انبيائه : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حبيباً له من بين أنبيائه ورسله ، وبعث مَن بعث مِن الأنبياء والرسل ليبشروا الناس بمبعث هذا الحبيب المصطفىٰ أعني : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذي اتخذه الله حبيباً ، كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، وجعله علىٰ اثر ذلك جامعاً لكل كمالات الانبياء ، وحائزاً علىٰ جميع مقاماتهم ، وفائزاً بكل درجاتهم ومراتبهم ، فجاء بصفاء آدم ، وكرامة نوح ، وخلّة ابراهيم ، وتسليم اسماعيل ، وهيبة موسىٰ ، وحكمة لقمان ، وعدل داود ، وحشمة سليمان ، وجمال يوسف ، وزهد عيسىٰ ، ورقة يحيىٰ ، وكل خصال الخير التي اتصف بها الانبياء من قبله ، كما وجاء بآخر الرسالات واكملها ، وأتمّها واتقنها ، واجملها وأسهلها حتىٰ قال صلى الله عليه وآله : « جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء » وقال : « انّما بعثتُ لاتمم مكارم الاخلاق » ووصفه الله تعالىٰ بقوله : ﴿ وانك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ فكان بعث الأنبياء كلهم مقدمة لبعثته صلى الله عليه وآله وبشارة بقدومه ، كيف لا وفي الحديث القدسي : « لولاك لما خلقت الأفلاك » ؟ ثم انه صلى الله عليه وآله ورّث بامر الله تعالىٰ كل ما عنده من كمالات ومقامات ، وما جاء به من مكارم وتعاليم واحكام ، الىٰ ابن عمه ووصيه امير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام ثم الامام الحسن عليه السلام ثم الامام الحسين عليه السلام وهكذا حتىٰ الامام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالىٰ فرجه ، وسهّل مخرجه ، وجعلنا من اعوانه وانصاره ، وشيعته

ومحبيه ، فكان الامام امير المؤمنين عليه السلام وراثاً لكل ما ورثه رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنبياء والمرسلين ماعدا النبوّة ، وهكذا كان الأئمة عليهم السلام الاحد عشر من بعده ، وكذلك كانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ام ابيها فاطمة الزهراء عليها السلام ، وابنتها وحبيبتها السيدة زينب عليها السلام زين ابيها امير المؤمنين عليه السلام . فقد ورثت كل منهما من أبيها ـ سوىٰ النبوة والامامة ـ كل الفضائل والمكارم ، وجميع المقامات والكمالات ، وذلك بكل جدارة وكفائة ، وعناية من الله تبارك وتعالىٰ .

وبكلمة واحدة : لقد اختار الله تعالىٰ من بين كل عباده اشرفهم واكرمهم عليه اعني : النبي محمد صلى الله عليه وآله وجعله حبيباً له ، واختار النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام من بين الجميع حبيبة له ، واختارت هي عليها السلام من بين كل الناس ابنتها المكرمة السيدة زينب عليها السلام حبيبة لها ، فاصبحت السيدة زينب عليها السلام حبيبة لحبيبة حبيب الله فهي اذن حبيبة الله ، وكفاها ذلك فخراً .

« اشارة »

[مقارنة بين المقامين]

ولا يخفىٰ ، ان الانبياء السابقين حيث قلنا : ـ بحسب الروايات والآيات ـ ان بعثهم كان تمهيداً ومقدمة لبعثة خاتم الانبياء والمرسلين ، ورسالاتهم كانت مرحلة بدائية لرسالته السماوية الكاملة ، ومرحلته النهائية المتمثلة في القرآن الكريم . وكان هو الاصل وهم الفرع ، وهو الهدف وهم الوسيلة ، وهو الغاية وهم الطريق اليه ، ترشح شيء من كماله وجماله ، ومقامه ودرجته عند الله تبارك وتعالىٰ عليهم ، فبعض اكتسب منه الصفاء كآدم صفي الله ، وبعض اخذ منه الكرامة كنوح شيخ المرسلين ، وبعض نال منه الخلّة كابراهيم خليل الله ، وهكذا بقية الأنبياء والمرسلين ، فان ما اختصّوا به من ميزات كان ذلك بعض ما منحه الله تعالىٰ خاتم رسله وأشرف بريّته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فقد اتخذه الله تعالىٰ حبيباً له ، وهو

اعظم من كل مقام حتىٰ من مقام الخلة التي نالها جدّه إبراهيم الخليل بسببه وببركته ، بل مقام الخلّة رشحة من رشحات مقام الحبيب ، وغيض من فيض يمّه الوارف المحيط ، ولكن مع ذلك ، فان ابراهيم الخليل عليه السلام حيث نال درجة الخلة ومقامها الرفيع ، نراه قد بذل في محبة الله كل ما يملكه من أموال ، وتحمل الهجرة والتبعيد من أجله ، ثم قدّم ولده اسماعيل عليه السلام قرباناً ، وبالتالي ضحّىٰ بنفسه حينما حكم عليه نمرود بالاعدام بالنار ، وصبر علىٰ ذلك ، فتداركه لطف ربه وقال للناس : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم ﴾ وغير ذلك . ونحن لو نظرنا الىٰ ما قدّمته السيدة زينب عليها السلام في محبّة الله ومودّته نراها قد فاقت علىٰ جدها إبراهيم (الخليل) في كل ما قدمه هو في سبيل خلّته لله ، فمن حيث الأموال فالسيدة زينب عليها السلام قدّمت كل ما تملكه حتىٰ قناعها وقرطيها ، ومن حيث الهجرة والتبعيد ، فانها عليها السلام تهجّرت من مدينة جدها ومسقط رأسها الىٰ كربلاء ، وفيها أسرت في سبيل محبة الله ، كما وأبعدت ايضاً من بلدها وقضت بقية عمرها في التبعيد ، ومن حيث تقديم القربان لله تعالىٰ ، فانها عليها السلام قدمت ولديها ورأتهما مقطّعين مضرجين بدمائهما ، وبالتالي قدّمت نفسها في محبة الله ومودته وقضيت نحبها وهي في بلاد غربة ، مظلومة غريبة ، ولا يبعد كونها مسمومة شهيدة ايضاً ، فأين ما قدّمه ابوها ابراهيم الخليل عليه السلام مما قدمته هذه السيدة العظيمة حبيبة الله في سبيل محبة الله ومودته ؟ فهي اذن من احباء الله وأودّائه حقاً وصدقاً ، بل من اعظمهم حباً ووداً ، وقرباً ومنزلة ، سلام الله عليها .

« اشارة اخرىٰ »

[الطالب بثار السيدة زينب عليها السلام]

ثم ان الامام الحسين عليه السلام حيث انه كان وصي اخيه الامام الحسن عليه السلام ووريث جده رسول الله صلى الله عليه وآله في كماله وجماله ، ومقامه ودرجته سوىٰ النبوة ، كان هو الآخر الذي قدم ما قدّم حتىٰ نفسه الكريمة في سبيل محبة الله ومودته ، ولذلك جاء في

الحديث قبول الله تعالىٰ من حبيب حبيبه الامام الحسين عليه السلام ما قدّمه ، واختاره لنفسه ولياً وحبيباً ، وجعل علىٰ نفسه ان يكون هو الطالب بثاره ودمه ، وذلك علىٰ يدي وليّه المهدي المنتظر ، حيث قال تعالىٰ : ﴿ **ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل انه كان منصوراً** ﴾ . فصار الامام الحسين عليه السلام ثار الله وابن ثاره ، وكذلك كانت السيدة زينب عليها السلام فانها حيث قدمت ما قدمته حتىٰ نفسها الزكية في محبة الله ومودته ، تقبلها الله بقبوله الحسن ، وجعل علىٰ نفسه أن يكون هو الطالب بثارها سلام الله عليها .

الخصيصة السادسة والعشرون

« في أنها عليها السلام ممّن نال مقام الخائفين »

ان من المقامات السامية ، والدرجات العالية عند الله تعالىٰ هو مقام الخائفين ، ولقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم عنه : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ فالخوف من الله كمال للانسان وجمال له ، ومقام رفيع لا يناله الّا الأوحدي من الناس .كالأنبياء والأولياء ، ولعلّ من ابرز مصاديق هذا الكمال ، واظهر موارد هذا الجمال هو النبي يحيىٰ بن زكريا ، وقد مدحه الله في كتابه وقال في حقه : ﴿ **وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين** ﴾ .

ثم ان هذا المقام علىٰ ما سبق خاص بالعلماء الربانيين كما قال تعالىٰ : ﴿ **انما يخشىٰ الله من عباده العلماء** ﴾ فان الآية حصرت هذا المقام الشامخ بالعلماء الربانيين دون غيرهم ، وجعلته من خصائصهم وامتيازاتهم دون سواهم ، ومن المعلوم : ان الخوف من الله تعالىٰ يكون بمقدار يقين الانسان ومعرفته ، فكلما كان يقين الانسان بالله واليوم الآخر أكثر ومعرفته أكبر كان خوفه أكثر وأعظم ، كما ان أجر الخائفين يكون ايضاً علىٰ قدر خوفهم من الله وخشيتهم منه تعالىٰ ، وانّ أقل ما يحصل عليه الخائف من الثواب والاجر عند الله سبحانه هو : ألأمن من الفزع الأكبر في يوم القيامة ، اليوم الذي وصفه الله تعالىٰ بقوله : ﴿ **يوم ترجف الراجفة تتبعُها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ، ابصارها خاشعة** ﴾ .

نعم ان كل الخلائق في ذلك اليوم قلق خائف ، الا الخائفين من الله تعالىٰ في هذه الحياة الدنيا ، فانهم آمنون مطمئنون ، كيف لا وقد جاء في الحديث الشريف :

بان الله تعالىٰ لا يجمع علىٰ عبده خوفين ،كما لا يجمع له أمنين ، فاما ان يكون آمنا هنا وخائفاً هناك ، واما ان يكون العكس : خائفاً هنا آمناً هناك ، والذي يختاره اصحاب العقول واولي النهىٰ هو الخوف من الله تعالىٰ في هذه الحياة الدنيا ليفوزوا بالأمن هناك في تلك الحياة الآخرة ، والسيدة زينب عليها السلام هي العالمة غير معلّمة ، والفهمة غير مفهّمة ، والعاقلة النبيهة ، ولذلك اختارت الخوف هنا ، ونالت منه اعلا درجاته ، واعظم مراتبه ، ويشهد لها مواقفها العبادية الصادقة ، وتهجّدها الليليّة الدائمة ، حيث انه لم يفوتها علىٰ شدة بلائها ، وكثرة مصائبها ، وكبير محنتها ، نافلة الليل ولا مرة واحدة ، اضافة الىٰ صبرها علىٰ ما اصيبت به من المصائب العظيمة ، والرزايا الجليلة ، وتعبيرها عليها السلام عنها ـ مع انها تذيب الجبال الرواسي بقولها : « ما رأيت، الّا جميلاً » .

« اشارة »

[الفرق بين الخوفين]

لقد تحمل النبي يحيىٰ بن زكريا عليه السلام لمقام خوفه من الله تعالىٰ مصائب جليلة سببت له رفعة درجته وعلوّ مقامه عند الله تعالىٰ ، وكذلك السيدة زينب عليها السلام فانّها قد تحملت مصائب عظيمة ورزايا جليلة سبّب كل منها رفعة درجتها وعلوّ مقامها وشأنها عند الله تبارك وتعالىٰ ، غير ان هناك فرقاً بين الاثنين من حيث المصائب الّتي لاقوها كماً وكيفاً :

اما كماً : فلقد كانت مصائب النبي يحيىٰ عليه السلام معدودة ومحدودة ، بينما كانت مصائب السيدة زينب عليها السلام لا تعدّ ولا تحدّ .

وأمّا كيفاً : فقد رأىٰ النبي يحيىٰ عليه السلام وهو في مجلس الملك ، ان الملك يريد ان يفعل المنكر ، فأمره بالمعروف خوفاً من الله تعالىٰ بلا خوف من الملك ، ونهاه عن المنكر ، فقتله الملك لذلك ، بينما السيدة زينب عليها السلام رأت وهي في مجلس الطاغية

ابن زياد وبحضور من حجة الله البالغة في الأرض علي بن الحسين عليه السلام ان اهل هذا المجلس لا يتناهون عن ايّ منكر فعلوه ، وانما تعدّوا ذلك الىٰ انهم يريدون قتل حجة الله ، ولذلك قامت بينهم تأمرهم بالمعروف بلا خوفٍ من احد ، بل خوفاً من الله تعالىٰ ، وأخذت تنهاهم عن المنكر ، فهمّ الطاغية ابن زياد بقتلها وعزم علىٰ ذلك بكل اصرار ، لولا ان تداركها رحمة ربها .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرىٰ ان يحيىٰ بعد ان قتله الملك أهدَوا رأسه في طست من ذهب الىٰ الملك ، وادخلوه عليه في مجلسه ولم يكن فيه أحد من ذويه وحرائره بينما السيدة زينب عليها السلام رأت بأُمّ عينيها رأس اخيها الامام الحسين عليه السلام وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيّد شباب أهل الجنة ، وبمرأىٰ من ذويه وحرائره في طست من ذهب يهدىٰ الىٰ يزيد في مجلسه ، مجلس كان يزيد يلعب فيه بالشطرنج جذلاً ويشرب فيه الخمر ثملاً وينثني بين آونة وأخرىٰ علىٰ الرأس الشريف سباً وشتماً ، وينكت ثناياه بالقضيب ظلماً وحوراً ، وهنا وفي مثل هذا الموقف الرهيب لم تخش زينب هذا الطاغية المتجبر ، ولم تخف من بأسه وسطوته ، ولا من سوطه وسيفه ، وانما قامت خوفاً من الله وحده وصرخت في وجهه ـ بعد أن أهوت الىٰ جيبها فشقته ـ وندّدت به وبفعله قائلة : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءىٰ ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ...** ﴾ ومن يجرأ علىٰ مثل ذلك غير السيدة زينب عليها السلام التي لا تخاف من احد سوىٰ الله تبارك وتعالىٰ ؟ .

الخصيصة السابعة والعشرون

« في أنها عليها السلام ممّن نال مقام الرضا والتسليم »

ان من المقامات الرفيعة والدرجات المنيعة التي لا يتيسّر لكل احد العروج اليها ، والوصول الىٰ قمّتها ، هو مقام الرضا والتسليم لله تبارك وتعالىٰ ، علماً بان التسليم والرضا من الملكات الشريفة والخصال الخيّرة التي تدعو الانسان الىٰ الرضا القلبي بما قسم الله تعالىٰ له في الحياة ، والتسليم النفسي لكل ما قضىٰ الله تعالىٰ له وفي حقه من احكام الٰهية ومقادير كونية وطبيعية .

ثمّ ان الرضا ـ كما قال علماء الاخلاق ـ هو من أعظم أبواب القرب الىٰ الله تعالىٰ ، وقد سمّىٰ الله خازن الجنان باسم : « رضوان » من مادة الرضا ، لانه يُسكن اهل الرضا مساكنهم ويرفعهم الىٰ حيثما ارتفعوا اليه من المقامات العالية والدرجات الرفيعة ، كما ان التسليم هو ايضاً كذلك ، وقد جاء في الروايات الشريفة : « ان الاسلام هو التسليم » .

ثم ان الذي بلغ في الرضا والتسليم أعلىٰ مراتبه ، ونال أرفع درجاته ، وأسمىٰ مقاماته ، هو خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين ، وحبيب اله العالمين ، ابو القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله . واما غيره من الأنبياء والمرسلين فقد ترشحت عليهم رشحات من يمّه الوارف ، حتىٰ اذا اكتملت ظرفيتهم بالرضا والتسليم ، وبلغوا في أنفسهم ذروته ، دعوا علىٰ قومهم باذن من الله كالنبي نوح عليه السلام فعمّهم الله بالطوفان ، أو بلا اذن من الله تعالىٰ كالنبي يونس عليه السلام حيث عفىٰ الله عنهم وكشف عنهم العذاب حين تابوا واستغفروا ربهم ، بينما الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وآله الكامل في الرضا

والتسليم كان كلما ازداد عليه اذىٰ قومه كان يزداد لهم دعاءاً ، وعنهم اغماضاً ، وعليهم صبراً ، وهو يقول : « اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون » وذلك تسليماً منه لأمر الله تعالىٰ ورضاً منه به .

[مقام الشفاعة]

ولمّا علم الله تعالىٰ هذا الموقف الراضي من نبيه الحبيب قابله تعالىٰ بثوابٍ يرضيه به ، فاعطاه مقام الشفاعة في القيامة ، وخاطبه قائلاً : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ﴾ ثم اورث تعالىٰ هذا المقام من الرضا والتسليم الخاص برسوله الحبيب الأئمة من أهل بيت نبيه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، فكانوا بعد الرسول ﷺ هم وحدهم الذين حازوا أعلىٰ مراتب الرضا والتسليم ، وقابلوا به ما اصابهم في سبيل الله وفي الحفاظ علىٰ دين الله . كما واصبحوا هم القدوة بعد الرسول ﷺ للناس ، والنموذج المثالي للرضا والتسليم ، ولذلك نرىٰ ـ كما في التاريخ والروايات ـ انه لمّا مرض جابر بن عبد الله الانصاري وزاره الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام وسأله عن حاله ، أجاب جابر قائلاً : صرت ـ يابن رسول الله ـ بحيث ان الهرم احب اليّ من الشباب ، والمرض من الصحة ، والموت من الحياة . فقال عليه السلام في جوابه : « أمّا أنا فان اعطاني الله تعالىٰ الهرم فهو احب الي ، وان اعطاني الشباب فهو احب اليّ ، وان أمرضني فالمرض ، وان صحّحني فالصحة ، وان أماتني فالموت ، وان أحياني فالحياة » . فقبّل جابر وجهه وقال : صدق رسول الله ﷺ حيث قال : يا جابر ستصادف من وُلدي مَن اسمه اسمي ، وشمائله شمائلي ، يبقر العلم بقراً . فجابر هذا قد بلغ مقام الصبر بينما الامام الباقر عليه السلام يدلّه علىٰ مقام الرضا والتسليم .

[وارثة الزهراء عليها السلام]

ثم ان الله تعالىٰ قد وهب مثل ما وهبه لنبيّه الحبيب محمد ﷺ من الرضا

والتسليم الىٰ حبيبة حبيبه فاطمة الزهراء عليها السلام ولذلك تلقت كأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما تلقته بفارغ الصبر والصمود ، وبكامل الرضا والتسليم في سبيل الله تبارك وتعالىٰ .

ثمّ ورّثت فاطمة الزهراء عليها السلام ابنتها وحبيبتها السيدة زينب عليها السلام كل ما ورثته هي من الرضا والتسليم ، فصارت البنت كالام في تحمل الشدائد والمصاعب ، والرزايا والمصائب ، بل وزادت عليها أيضاً ، حيث فقدت كل رجال أهلبيتها في يوم واحد ، وراحت هي ومن معها أسيرة الىٰ الكوفة ومنها الىٰ الشام ، وأدخلت علىٰ ابن زياد ويزيد بن معاوية ، وأذيقت مسّ الجوع والعطش ، وأُلبست لباس الخوف والفزع ، وتحملت كل ذلك بفارغ الصبر ، ولم تدع عليهم بالهلاك ولا بالدمار ، مع انها لو ارادت اهلاكهم وتدميرهم ، بل واهلاك العالم كله وتدميره ، لما كان يكلّفها ذلك الّا أن ترفع يديها نحو السماء للدعاء ، وتحرك شفتيها بالابتهال الىٰ الله تعالىٰ وتطلب منه ما تريد ، وليس أكثر . ولكنها عليها السلام صبرت علىٰ كل ذلك وتلقته بالرضا والتسليم ، واثبتت مقام رضاها وتسليمها لكل العالم ولكل الأجيال الىٰ يوم القيامة .

[مثال علىٰ ذلك]

ومما يدل علىٰ مقام رضاها وتسليمها عليها السلام انه لما أمر ابن سعد باحراق الخيام بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام عصر يوم عاشوراء ، وذلك حتىٰ يحرقوا من تبقىٰ في الخيام من النساء والأطفال ، ولا يبقوا لأهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم باقية ، ويأتوا علىٰ آخرهم صغاراً وكباراً ونساءاً ورجالاً ، أسرعت السيدة زينب عليها السلام الىٰ ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام تسأله عن مصيرهم ، وعما يجب عليها وعلىٰ من معها تجاه حرق الخيام التي فاجأتهم مفاجأة يصعب التخلص منها فأجابها عليه السلام : عمّه عليكنّ بالفرار .

ولا يخفىٰ مافي هذا الاستفتاء من مغزىٰ ، اذ هو يدل علىٰ مدىٰ تسليمها لأمر امامها ، ورضاها بما قدّره الله تعالىٰ لها ولمن معها من النساء والاطفال ، حيث انه

يبدو منه ويظهر : انه لولا امر ابن اخيها الامام علي بن الحسين عليه السلام بالفرار ، لاستقبلت قرار الاحتراق برحابة ، واستسلمت له راضية مطمئنة ، ولكن حيث علمت ان الله تعالىٰ لم يشأ لهن ذلك ، امرت من معها من بقايا أهل البيت عليهم السلام أن ينجوا بانفسهم من النار ويلوذوا بالفرار ، وبقيت هي وحدها بكل صلابة وصمود ، تحاول انقاذ ابن اخيها العليل الامام زين العابدين عليه السلام من الاحتراق ، كما يقصه علينا حميد بن مسلم : من انه رأىٰ أمرأة موقّرة تخرج من خيمة وتدخل فيها وهي لا تبالي باقتراب النار منها ، حتىٰ استطاعت انقاذ ذلك الشاب العليل الذي كان لا يقدر بنفسه التخلص من الخطر ، لشدة مرضه وضعفه .

« بشارة »

[السيدة زينب عليها السلام ومقام الشفاعة]

ولما أبدت السيدة زينب عليها السلام من نفسها هذا الرضا والتسليم لله تعالىٰ وفي سبيله ، وصمدت تجاه كل تلك المصائب التي لاقتها وصبرت عليه ، قابلها الله تعالىٰ باعطائها مقام الشفاعة ، كما اعطىٰ هذا المقام من قبل جدّها وأباها وامها واخويها صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، ومنحها الحق في ان تشفع يوم القيامة لمن ارادت وكيف شاءت ، وذلك حتىٰ ترضىٰ ، فرزقنا الله شفاعتها وشفاعة جدها وأبيها وامها واخويها والأئمة من وُلد أخيها في الدنيا والآخرة انشاء الله .

الخصيصة الثامنة والعشرون

« في أنها عليها السلام من المقرّبين »

ان مقام القرب المعنوي من الله تبارك وتعالىٰ مقام لا يحظىٰ به الّا من كان ذو حظ عظيم ، وهو لا يتأتىٰ للانسان الّا بعد مقدمات كثيرة ، وامتحانات صعبة ، ولذلك كلما كان الانسان أكثر قرباً من الله تعالىٰ كان بلاؤه أكثر ، وامتحانه أصعب ، حتىٰ اشتهر : « البلاء للولاء » وتداول : « حسنات الأبرار سيئات المقرّبين » ايذاناً بشدّة بلائهم وصعوبة اختبارهم . كما وروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء ، فاذا أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء ، فمن رضي ، فله عند الله الرضا ، ومن سخط ، فله عند الله السخط » وفي حديث آخر قال : « اذا احب الله قوماً او أحب عبداً صبّ عليه البلاء صباً ، فلا يخرج من غم الّا وقع في غم ثم قال صلى الله عليه وآله : وان لأهل البلاء في الدنيا ، درجات في الآخرة ، ما لا تنال بالأعمال ، حتىٰ ان الرجل ليتمنىٰ ان جسده في الدنيا كان يقرض بالمقاريض ، لما يرىٰ من حسن ثواب الله لأهل البلاء » .

[المقرّبون عند الله]

ثم انه لو غضضنا النظر عن الاخبار والروايات ، وطالعنا حياة الأنبياء والأولياء ، وعباد الله الصالحين ، ثم طالعنا حياة الفراعنة والقياصرة ، والاكاسرة والطواغيت ، لرأينا حياة القسم الأول وهم المقرّبون عند الله ، مليئة بالمتاعب والمصاعب ، بينما نرىٰ حياة القسم الآخر وهم المبعدون من رحمة الله ، مشحونة

باللذات والمسرّات ، مما يكشف لنا عن ان البلايا والمصائب تسبّب رفعة درجات الانسان وعلوّ مقامه عند الله تعالىٰ ، كيف لا وقد اختار الله تعالىٰ لخاصة عباده اعلىٰ المقامات وارفع الدرجات عنده ، ولا يكون ذلك الّا عبر بوتقة الصهر بنار البلايا وحرارة المصائب في الدنيا ، بينما اولئك الذين لا حظّ لهم في الآخرة فتح الله تعالىٰ عليهم ابواب الدنيا ، وتركهم يتمتعون بلذائذها كالانعام ، ويرتعون في نعيمها وسرورها كالبهائم ، وذلك يسبّب حرمانهم عن نعيم الآخرة المستمرة ، ولذائذها الباقية ، ومسرّاتها الدائمة ، كما يشير اليه الحديث الشريف : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » والحديث المنيف : « الدنيا حرام علىٰ أهل الآخرة ، والآخرة حرام علىٰ أهل الدنيا » .

ومن هذا المقياس يعرف مدىٰ مقام كل واحد من الأنبياء والأوصياء ، والخواص من عباد الله تبارك وتعالىٰ ، فكل من كان بلاؤه أكبر ومصابه أعظم ، كان مقامه عند الله أكبر ودرجاته أعلىٰ وأرفع ، ونحن اذا تأمّلنا في حياة السيدة زينب عليها السلام ودرسنا ما لاقته من مصائب عظيمة لا تقوم لها السماوات والارض ، ورزايا جليلة تنهدّ منها الجبال هدّاً ، لاتّضح لنا من خلال ذلك امران :

١ ـ كمال اعتقادها بالله واليوم الآخر ، ومدىٰ ثباتها واستقامتها في هذا الطريق .

٢ ـ عظيم مقامها ، ورفيع درجتها ، مما لا يستطيع الانسان دركه وتحديده ، ووصفه وعدّه لأن مصائبها كانت كذلك لا تدرك ولا تحدّ ، ولا توصف ولا تعدّ .

وعليه : فان قلنا وفقاً لهذا المقياس بان السيدة زينب عليها السلام هي كأبيها وامها واخويها صلوات الله عليهم أجمعين أفضل من الأنبياء السابقين لم يكن ذلك منا غلوّاً ، ولا كلاماً شططاً .

« إشارة »

[السيدة زينب عليها السلام الفضلىٰ]

سبق ان تحدثنا عن رواية مشهورة رويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال : « علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل » وفي رواية اخرىٰ مشهورة أيضاً قال صلى الله عليه وآله : « علماء امتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل » ومع هذا الحديث لا يبقىٰ مجال للشك في أفضلية السيدة زينب عليها السلام لانها هي العالمة غير معلمة ، كما صرّح في حقّها ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام مؤيّداً لها مقامها العلمي الشامخ بقوله : « انك يا عمة بحمد الله عالمة غير معلّمة ، وفهمة غير مفهّمة » فمقامها العلمي اذن محرز ومتفوق عليهم ايضاً .

هذا ان كان ملاك الافضلية هو العلم ، وان كان ملاك الأفضلية هو هداية الناس الىٰ الله تعالىٰ ، فهي عليها السلام ايضاً السبّاقة في هذا المجال ، فمن مثلها في هداية الناس ، وهي التي استطاعت بمظلوميّتها واسارتها ان تحفظ نهضة اخيها الامام الحسين عليه السلام الذي سبّب بقاء الاسلام قوياً شامخاً ، محفوظاً من الضياع والاندراس ، ومأموناً من التشويه والتمويه ، وقد اهتدىٰ به الملايين من الناس علىٰ مرّ العصور وتدرّج الزمان ، ومن يوم مظلوميتها ذاك وحتىٰ يوم القيامة ؟؟

الخصيصة التاسعة والعشرون

« في أنها عليها السلام من الصابرين »

ان من الصفات الحميدة والخصال الخيّرة التي لا يستطيع أحد أن يتّصف بها وينال ذروتها غير الأنبياء والأولياء ، ومن حذا حذوهم هو : الصبر : وقد قال علماء الأخلاق في الصبر مقالات كثيرة وعدوّه أساس كل خير ، وسبب كل رفعة ، في الدنيا والآخرة ، وقالوا : انه ما نال انسان مقاماً شامخاً ، ولا بلغ درجة رفيعة في الامور الدنيوية ، ولا في الامور الاخروية ، الّا بالصبر ، وانّ من لا صبر له ، لا مقام له : لافي الدنيا ولا في الآخرة ، ويدل علىٰ هذا المعنىٰ روايات كثيرة مثل : « من لا صبر له ، لا ايمان له » ومثل : « الصبر من الايمان كالرأس من الجسد » ومثل « الصبر هو الايمان » ومثل ما في الحديث القدسي : « يا عيسىٰ تخلّق باخلاقي ومن اخلاقي الصبر » .

هذا وقد قسّم علماء الأخلاق ـ حسب الروايات الشريفة ـ الصبر علىٰ ثلاثة أقسام :

١ ـ الصبر علىٰ الطاعة .

٢ ـ الصبر علىٰ ترك المعصية .

٣ ـ الصبر علىٰ المصيبة .

وقد خصّصت الروايات لكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة أجراً خاصاً ، وذكرت له ثواباً معيّناً كما في الخبر الشريف المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال :

« الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر عند الطاعة ، وصبر عند المعصية :

فمن صبر علىٰ المصيبة حتىٰ يردّها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلاثمائة

درجة ، ما بين الدرجة الىٰ الدرجة كما بين السماء والارض .

ومن صبر علىٰ الطاعة ، كتب الله له ستمائة درجة ، مابين الدرجة الىٰ الدرجة كما بين تخوم الارض الىٰ العرش .

ومن صبر علىٰ المعصية ، كتب الله له تسعمائة درجة ، مابين الدرجة الىٰ الدرجة كما بين تخوم الأرض الىٰ منتهىٰ العرش » .

ومن المعلوم : ان هذا الاجر والثواب ، والدرجة والمقام ، اعدّه الله تعالىٰ لمطلق الصابرين ، وهو لا يتنافىٰ مع عظيم ما اعدّه الله تعالىٰ لبعض عباده الصابرين ، لامتيازات تميّز بها صبرهم عن غيرهم ، وخصوصيات توفرت في صبرهم كماً وكيفاً لم تكن متوفرة في صبر من سواهم ، ولذلك نالوا عليه اجراً خاصاً بهم ، ومقاماً ممتازاً لم يشاركهم فيه غيرهم ، وأعدّ الله لهم ثواباً يربوا علىٰ ذلك الذي اعدّه لجميع الصابرين .

[الممتازون في الصبر]

ومن اولئك الذين امتازوا في صبرهم وعُرفوا به ، واختصوا فيه بمزايا منفردة هو : نبي الله أيوب ، حيث تحدّث الله تعالىٰ عنه في كتابه ، ومدحه بصبره قائلاً : ﴿ **واذكر عبدنا ايوب ..** ﴾ الىٰ أن قال تعالىٰ : ﴿ **... انا وجدناه صبراً نعم العبد انه اواب** ﴾ فان ايوب علىٰ ما مدحه الله تعالىٰ به من الصبر ، نراه لم يبلغ فيه مداه ، ولم يصل منتهاه ، ولم يتربع علىٰ قمة مقام الصبر وذروته ، لانه كما يتحدث عنه القرآن الكريم ، لم يستطع اكمال مسيرته الشائكة ، واتمام رحلته الشاقة ، وانما توقف في الاثناء ، وعجز عن مواصلة سفرته المباركة وقال : « ربّ اني مسّني الضر وانت ارحم الراحمين » بينما نرىٰ تحت هذه القبّة الخضراء ، وعلىٰ ظهر هذه الكرة الغبراء ، انساناً واحداً فقط قيل في حقه كما في زيارة الناحية المقدسة : « ولقد عجبت من صبرك ملائكة السماء » مع ان الملائكة لم يُذكر عنهم شيء من التعجب لأحد قبله

ولا لشخص بعده ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، غير صبر الامام الحسين عليه السلام فانه هو الذي أثار تعجب الملائكة .

واما شريك نهضته الاصلاحية السيدة زينب عليها السلام فانها حيث قد شاركته في كل ما جرىٰ عليه من مصائب ، وشاطرته في مهمته ووظيفته الالهية ، من دون ملل ولا سأم ، ولا تأفّف ولا ضجر ، فهي ايضاً الاخرىٰ التي حظت المقام الاقصىٰ ، ونالت اعلىٰ درجات الصبر ، وتربّعت بعد اخيها الامام الحسين عليه السلام علىٰ سنام مقامه ،كيف لا وقد اصيبت بفقد اخيها ، وشقيقها ، واعزّ الناس عليها ، ومن كانت لا تستطيع الصبر علىٰ فراقه ، ولا تتحمل هجره والابتعاد عنه ، ومن لأجله تركت بيتها ومسقط رأسها ، وهجرت زوجها وأولادها ، وتحملت اتعاب الطريق لتصحبه وتكون معه ، وقدمت ولديها فداءاً بين يديه لتقيه بهما شر اعدائه ، الّا وهو : الامام الحسين عليه السلام ؟ الّا انها مع ذلك كله اصيبت بفقده وهو عزيز عليها ، فصبرت صبراً جميلاً ، واستعانت بالله تعالىٰ عليه ، وان رؤيت عليها السلام تبكي بعده لفراقه ، فان بكاءها لمفارقته لم يكن عن عجز ، ولا عن جزع وفزع ، وانما كان لان البكاء علىٰ الامام الحسين عليه السلام له ثواب كبير واجر عظيم ، ولأن البكاء في فقد الانسان عزيزه علامة الرأفة والرقة ، والعطف والرحمة ، والله يحب ذلك .

[السيدة زينب عليها السلام وأقسام الصبر]

كان هذا نموذجاً من صبر السيدة زينب عليها السلام في المصيبة .

وأما صبرها عليها السلام في الطاعة : فحدّث ولا حرج ، حيث انها عليها السلام قد بلغت فيه القمة وأدركت ذروته ، ولم تترك ولا لحظة من لحظات عمرها تُصرف بلا عبادة ، او يفوتها بلا طاعة ، وقد مرّ في مطاوي هذا الكتاب بعض النماذج من صبرها القويم علىٰ طاعة الله وعبادته .

وأما صبرها عليها السلام في ترك المعصية : فهو غني عن البيان ، لانها هي التي ورثت

من امها الزهراء عليها السلام مقام العصمة واصبحت بعدها صاحبة العصمة الصغرىٰ .

اذن : فلا مانع بعد ذلك كله من ان نخاطبها باعتذار ونقول لها بتواضع : « لقد عجبت من صبركِ ملائكة السماوات » وقد فهم الشاعرُ منها ذلك ايضاً ، فقال عن لسانها :

« سأصبر حتىٰ يعلم الصبر انني   صبرت علىٰ شيء أمرّ من الصبر »

الخصيصة الثلاثون
« في أنها عليها السلام الاخت المواسية »

ان من مكارم الاخلاق ، ومحاسن الخصال ، التي قلّ من يتصف بها لصعوبتها ، فكيف بالوصول الىٰ قمتها وذروتها هي : المواساة ، فان المواساة من داب الأنبياء والأولياء ، وشيمة الأبرار والأحرار من عباد الله ، علماً بأن المواساة هي : اسعاف الآخرين ومُعاونتهم ، وهي قد تكون بالأموال وقد تكون بالافعال .

أمّا المواساة بالأموال : فهو كما لو كان اثنان احدهما له مال ومتاع ، والآخر لا مال له ولا متاع ، فالمواساة هنا هو أن يعطي صاحب المال والمتاع حظاً وافراً من ماله ومتاعه لمن ليس له مال ولا متاع .

واما المواساة بالأفعال : فهو كما لو كان اثنان احدهما قد ابتلي ببلية أو أصيب بمصيبة ، والآخر خِلوٌ من ذلك كله ، فالمواساة هي أن يسعىٰ الذي هو خلو منها ، في انقاذ من هو مبتلىٰ بها ، وتخفيف آلامه عنه .

ثم انه يمكن للانسان في كل من هذين القمسين من المواساة ان ينوي فيه الانفاق ، وقضاء حاجة الاخوان ، والتفريج عن المكروب ، والتنفيس عن المهموم ، وادخال السرور علىٰ المؤمن وغير ذلك من الأمور الأخلاقية والإجتماعية ، وينال بالاضافة الىٰ ثواب المواساة ثواب هذه العناوين ايضاً ، وذلك بدليل : « انما الاعمال بالنيات » وحديث « لكل امريء ما نوىٰ » .

[الإسلام والمواساة]

ثم ان الاسلام اضافة الىٰ العقل المحبّذ للمواساة والداعي اليها ، قد حث علىٰ المواساة ورغّب فيها ، وجعل لمن اتصف بها اجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً ، كيف لا وهي من اقوىٰ العوامل الأخلاقية التي ترصّ صفوف المجتمع ، وترفع نواقصهم ، وتسدّ حاجاتهم ، وتزيدهم اجتماعاً واتحاداً . وتعاضداً وتكاتفاً ، علماً بأن التآلف والتكاتف هو من الأهداف الاصلية للدّين والتديّن ، وكله نتيجة المواساة ومن بركاتها ، ولذلك تواترت الروايات في التحريض عليها وعلىٰ الاتصاف بها ، مثل ما روي عن الامام الصادق عليه السلام في بيان حقوق الاخوان حيث جاء فيه : « ... والحق الخامس : ان لا تشبع ويجوع ، وان لا تروىٰ ويظمأ ، وتلبس ويعرىٰ » ، ومثل مافي اصول الكافي عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً قال : « المسلم اخ المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخونه ، ويحق علىٰ المسلمين الاجتهاد في التواصل ، والتعاقد ، والتعاون ، والتعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم علىٰ بعض ، حتىٰ تكونوا كما امركم الله عز وجل رحماء بينكم متراحمين ، مغتنمين لما غاب عنكم من امرهم ، علىٰ ما مضىٰ عليه معشر الأنصار علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله » ومثل مافي الكافي أيضاً : عن ابي اسماعيل قال : « قلت لابي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، ان الشيعة عندنا كثير ، فقال : فهل يعطف الغني علىٰ الفقير ؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ، ويتواسَون ؟ فقلت : لا ، فقال : ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من يفعل هذا » فكل واحد من هذه الأخبار اعتبر صفة المواساة علامة للمسلم والشيعي ، ووساماً للاسلام والايمان .

[أوّل المواسين]

ثمّ أن أول شخص ابدىٰ المواساة من نفسه في الاسلام هو الامام أمير

المؤمنين عليه السلام ، حيث واسىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ليلة المبيت ، ويوم أحد حيث نالته تسعون جراحة نافذة وعميقة ، حتىٰ قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك : « ان هذه لهي المواساة » ، وواسىٰ باولاده : محمد بن الحنفية وغيره ، اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله الامامين الحسن والحسين عليهما السلام في الجمل وصفين والنهروان حتىٰ قال لولده محمد في توجيه اوامر الهجوم علىٰ الاعداء اليه دون اخويه الامامين : بنيّ انك ابني ، وهؤلاء أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله . وواسىٰ باموال كلها الفقراء والمساكين حتىٰ أنفق اقراص افطاره ، ممّا نزلت فيه عليه السلام قوله تعالىٰ : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾ .

ثم تجلت صفة المواساة هذه من الامام أمير المؤمنين عليه السلام في أبنائه ، فكان اول من اظهر من نفسه المواساة بعد الامام امير المؤمنين عليه السلام وذلك حين توفّرت ظروفها في يوم عاشوراء ، ابنه الوفي ، قمر بني هاشم ابو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام حيث انه كان أول من واسىٰ اخاه الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ، وذلك عندما ملك الشريعة واغترف من الماء غرفة ، فلما ان أدناه من فمه وأحسّ ببرده تذكر عطش أخاه الامام الحسين عليه السلام ، فصب الماء علىٰ الماء ، وخرج عطشاناً بعد أن ملأ القربة ماءاً ، مواساة لأخيه ، وهو يحاول ايصال الماء الىٰ الخيام والىٰ اخيه الامام الحسين عليه السلام وهذا الموقف الكريم من العباس عليه السلام تُلقي منه بالقبول ، وشكره عليه الله ورسوله والأئمة الطاهرون عليهم السلام حيث جاء عنهم في زيارته : « فنعم الأخ المواسي لأخيه » .

[مواساة السيدة زينب عليها السلام]

وكان ثاني من أظهر من نفسه المواساة بعد الامام أمير المؤمنين عليه السلام ابنته الوفيّة عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام فانها واست أخاها الامام الحسن عليه السلام علىٰ كل حال ، وفي كل زمان ومكان ، وفي كل مصيبة ورزية ، من النفي والتبعيد ،

والمطاردة والتشريد ، والجوع والعطش ، وفقد الاخوة والاولاد ، وقاسمته باختيار الاسر بعد ان اختار هو عليه السلام الشهادة ، وواسته حتىٰ في سوق الكوفة حين وقع نظرها الىٰ رأس اخيها عليه السلام يقطر دماً ، فنطحت هي عليها السلام جبينها بمقدم المحمل حتىٰ سال الدم من طرف قناعها وتقاطر علىٰ الأرض . فما اكبر هذه المواساة واعظمها ، وما أجملها وأكرمها ، فنعمت الاخت المواسية .

الخصيصة الواحدة والثلاثون
« في أنها عليها السلام الغيورة علىٰ دين الله »

ان من الملكات الحسنة ، والصفات الخيّرة : صفة الغيرة ، وهي من علائم الايمان ، وصفات الانسان المؤمن ، كما جاء في الحديث الشريف : « المؤمن غيور » وفي الروايات الإسلامية مدح كبير للغيرة ، وثناء عظيم علىٰ الانسان الغيور ، وقد تجلّت هذه الصفة الخيّرة في بني هاشم عموماً ، وفي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة خاصة ، حتىٰ صارت من جبلّتهم وفطرتهم عليهم السلام .

ثم ان للغيرة مراتب ودرجات ، وتحتل الغيرة علىٰ الدين أعلىٰ مراتبها ، وارفع درجاتها ، ثم يأتي من بعدها دور الغيرة علىٰ العِرض والناموس ، ثم من بعدها الغيرة علىٰ الأنفس والأموال ، وفي كلها امتاز الامام الحسين عليه السلام من بين أهل البيت عليهم السلام بميزات خاصة ، وفي ظروف حساسة ومناسبة ، حملته علىٰ تفجير نهضته الاصلاحية التي لاقىٰ من أجل تحقيقها المصاعب والمتاعب الكثيرة ، والآلام والمصائب العظيمة ، واليك امثلة علىٰ كل من ذلك :

[الغيرة علىٰ الدين والعقيدة]

أمّا غيرته عليه السلام بالنسبة الىٰ الدين والعقيدة ، فقد كان عليه السلام كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وابيه أمير المؤمنين عليه السلام يغضب لله وللدين فيما اذا عُصي الله او انتُهك الدين ، وله في ذلك مواقف كثيرة وكبيرة .

منها : عدم تجرّأ أحد من بني امية وبني مروان الذين أبدعوا سب الامام أمير

المؤمنين عليه السلام توهيناً للدين وأهله ، علىٰ شتم أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في مجلس فيه الامام الحسين عليه السلام خوفاً من غيرته عليه السلام علىٰ الدين وأهله .

ومنها : امتناعه عليه السلام من بيعة يزيد والتصريح عن خوفه عَلىٰ الاسلام والخطر الذي يتهدّده من جانب حكومة يزيد ، وذلك غيرة منه عليه السلام علىٰ الإسلام والدين .

ومنها : اتمامُه عليه السلام الحجة علىٰ جيش ابن سعد بموعظتهم وارشادهم ، ثم مناشدتهم في قتله وانهم بم يستحلون دمه.وهو ابن بنت نبيهم وليس علىٰ وجه الأرض ابن بنت نبي ؛ غيره فيهم ولا في غيرهم ، فلما اجابوه : بانهم يقاتلونه بغضاً منهم لأبيه ، بكىٰ عليه السلام بكاءاً عالياً ، غيرة منه علىٰ الدين وأهله ، وعلىٰ ضلال هؤلاء المبغضين لعلي عليه السلام اذ بغضه كفر يُدخل النار ، ثم انشأ عليه السلام يقول :

« أنا ابن علي الطهر من آل هاشم   كفاني بهذا مفخراً حين أفخر »
« وجدّي رسول الله اكرم من مضىٰ   ونحن سراج الله في الخلق نزهر »

[الغيرة علىٰ العرض والناموس]

وأما غيرته عليه السلام بالنسبة الىٰ العرض والناموس ، فهو كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام غيرة الله ، ومعلّم الغيرة ، وفي الروايات ان من قُتل دون أهله وعرضه فهو شهيد ، وللامام الحسين عليه السلام في هذا المجال مواقف كريمة .

منها : انه عليه السلام في ليلة عاشوراء وفي تلك الليلة الرهيبة ، أمر بحفر خندق خلف الخيام . حتىٰ يأمن النساء من مداهمة الاعداء خيامهم ، ويأمنوا هم من مهاجمة العدو من خلف ، وفي الصباح من يوم عاشوراء اضرموا النار في الخندق ، فنفعهم ذلك .

ومنها : انه عليه السلام كان يوصي النساء في يوم عاشوراء بعدم الخروج من الخيام ، وكان اذا خرجت من الخيام امراة ردّها اليها ، حتىٰ انه لما استشهد ولده الاغر شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وخلقاً ومنطقاً ، وودّع اباه بقوله : « ابتاه عليك مني السلام ... »

خافت السيدة زينب عليها السلام علىٰ اخيها الامام الحسين عليه السلام من انه لو وقف علىٰ نعش ولده الأكبر ان يفارق الحياة ، لذلك خرجت من الخيام نحو المعركة وهي تنادي : ووالداه ، واعلياه ، فلما سمع الامام الحسين صوتَ اختها ورآها قد خرجت نحو المعركة ، ترك عليه السلام نعش ولده علي الاكبر ، وأقبل ليردّ اخته العقيلة الىٰ الخيام ، ثم توجّه الىٰ فتيان بني هاشم وقال : احملوا أخاكم الىٰ الفسطاط .

ومنها : انه عليه السلام بعد أن قُتل جميع اصحابه واهل بيته قصده القوم واحتدّ القتال وقد اشتد به العطش ، فحمل من نحو الفرات علىٰ عمرو بن الحجاج وكان في أربعة آلاف ، فكشفهم عن الماء واقتحم الفرس الماء ، فلما ولغ الفرس ليشرب قال الامام الحسين عليه السلام : انت عطشان وانا عطشان ، فلا اشرب حتىٰ تشرب ، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ، ولما مدّ الامام الحسين عليه السلام يده ليشرب ناداه رجل : أتلتذّ بالماء وقد هتكت حرمك ؟ فرمىٰ الماء علىٰ الماء ولم يشرب منه وقصد الخيام . وذلك غيرة منه علىٰ حرمه مع انه عليه السلام كان يعلم بانه خدعة من القوم ، وفيه درس للمسلمين وتعليم لهم .

ومنها : انه عليه السلام لما هوىٰ الىٰ الأرض وقد أعياه نزف الدم ، بقي مطروحاً ملياً ، فأراد القوم ان يعرفوا هل به رمق أم لا ؟ فامتحنوا ذلك عبر معرفتهم بغيرته علىٰ حرمه ، فوجّهوا جماعة منهم نحو مخيّمه ، فلما علم عليه السلام بذلك خطا نحوهم علىٰ ضعفه خطوات وصاح بهم : « يا شيعة آل أبي سفيان ! ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم ، وارجعوا الىٰ احسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون » فناداه شمر : ما تقول يابن فاطمة ؟ فقال عليه السلام : « انا الذي اقاتلكم وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عُتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حياً » فقال الشمر وقد عرفوا ان به رمق : لك ذلك وقصدوه بنفسه .

[الغيرة على الأنفس والاموال]

وأما غيرته عليه السلام بالنسبة الى الأنفس والأموال : فنهضته الاصلاحية وتقديم كل ماكان يملكه حتى نفسه الزكية ، وحتى اسر عمته وحرمه ، في سبيل الله ، ولتحكيم دين الله الذي فيه صون الأنفس وحفظ الأموال خير دليل على ذلك .

[النموذج في الغيرة الكاملة]

ثم ان الذي تلا الامام الحسين في الغيرة وأصبح النموذج المثالي للغيرة الكاملة بعده ، وفي كل المجالات الثلاثة : الدين والعقيدة ، والعِرض والناموس ، والأنفس والأموال ، هي فريدة الدهر ، ووحيدة العصر السيدة زينب عليها السلام ، فان غيرتها هي التي دفعتها لتشاطر اخاها الامام الحسين عليه السلام في نهضته الاصلاحية ، وتشاركه في تحمل المصاعب والمصائب من فقد الاحبة ، ومفارقة الاخوة ، ومسايرة الاعداء ، ومكابدة الاسر والسبي ، ومكالمة الطواغيت من مثل ابن زياد ويزيد ، ومخاصمتهم والاحتجاج عليهم ، وغير ذلك من المصائب التي تتفطّر منها السماوات ، وتنشق بها الارض ، وتخرّ لها الجبال هداً ، وقد تلقت كل ذلك لعظيم غيرتها برحابة صدر ، وطلاقة وجه ، ورضا وتسليم .

« اشارة »

[من كرامات السيدة زينب عليها السلام]

سمعت بعض الثقاة ينقل عن كتاب : « التبر المذاب » وهو كتاب مقتل من كتب مقاتل العامة ، وكذلك سمعت من ثقة آخر ينقل عن كتاب : « مقتل الاقتدائي اليزدي » القضية التالية وقد اتفقا في النقل ، وهي : ان السيدة زينب عليها السلام لما وصل بها موكب الاسر والسبي الى الشام ، وصاروا على أبواب دمشق ، استدعت شمراً وقالت له : لي اليك حاجة ، فقال : وما حاجتك يا ابنة علي ؟ فقالت عليها السلام : حاجتي اليك ان

تدخلنا من باب غير مزدحم ، وتسلك بنا طريقاً قليل النظارة ، فكان جوابه قرعها بسوطه وزجرها بغمد سيفه ، فتأثرت السيدة زينب عليها السلام من جفوته وقسوته ، وحملتها الغيرة علىٰ حرم رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعاء عليه ، فامرت الارض بأخذه ، واذا بالأرض تنفرج وتبتلع شمراً الىٰ ظهره ، وهنا اذا بالسيدة زينب عليها السلام تسمع صوت اخيها الامام الحسين عليه السلام يكلمها من فوق شاهقة القنا ويقول لها : « يا اختاه اصبري واحتسبي في مرضاة الله » عندها أمرت السيدة زينب عليها السلام الأرض بتركه ، فتركته . وهذه القصة وان لم يكن عندي للأسف شيء من المصدرين المذكورين اللذين ذكرا القضية مفصّلاً حتىٰ انقلها منهما مباشرة ، الا انها غير بعيد من مثل السيدة زينب عليها السلام الكبير مقامها عند الله تبارك وتعالىٰ ، والعظيم جاهها عليه ، مضافاً الىٰ ان احد المصدرين هو من مصادر العامة ومقاتلهم ، وهو في ذكر مثل هذه الفضائل مسموع ومقبول .

الخصيصة الثانية والثلاثون

« في أنها عليها السلام الخالصة في المودّة »

ان من اهم العبادات ، وأساس كل الطاعات ، هو : مودة القربىٰ من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحبّتهم ، كما أمر الله تعالىٰ بذلك في كتابه ، واوجبه علىٰ العباد بقوله وهو يخاطب رسوله الحبيب حينما اراد قومه تقديم أجر له علىٰ رسالته : ﴿ **قل لا اسألكم عليه اجراً الّا المودة في القربىٰ** ﴾ فجعل اجر رسالته مودّة أهل بيته عليهم السلام ، وجعلها ايضاً شرطاً لقبول الطاعات فلو ان شخصاً عبد الله بكل العبادات وجمع في صحيفة عمله كل الطاعات ، الا عبادة المودة لاهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومحبتهم ، والاطاعة امر الله في المودة لاهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومحبتهم ، لم يكن ينفعه كل ذلك ، ولكان عاقبة امره الخسران والنار ، كما في الحديث الشريف : « أكبّه الله علىٰ منخره في النار » .

وقد سبق ان قلنا : ان محبّة الامام الحسين عليه السلام ومودته تمتاز بمميّزات خاصة ، ولها من الثواب والاجر مالم يكن في محبة غيره . ولذلك نرىٰ شدّة الحب من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباقي المعصومين عليهم السلام له ، فانه لم يكن لمجرد العُلقة الموجودة بين الآباء وأبنائهم ، أو الأبناء وآبائهم ، وانما هو لاجل المقام الذي اعدّه الله تعالىٰ لمحبّي الامام الحسين عليه السلام وادّخره لأهل مودته .

[اكثر الناس مودة]

ثم ان أكثر الناس محبة للامام الحسين عليه السلام وأكبرهم مودة وعلقة به بعد جده

وابيه وامه وأخيه ، هي اخته الوفية ، السيدة زينب عليها السلام ، فانه لم يأت احد بمثل ما اتت به عليها السلام بعدهم في محبّته ومودته ، حتىٰ كتبوا عنها في ذلك الشيء الكثير العجيب .

منها : ان السيدة زينب عليها السلام منذ ولادتها وفي طول ايام رضاعها ،كانت وبصورة محسوسة في المهد ساكنة هادئة ما دام كان اخوها الامام الحسين عليه السلام عندها ، او بمنظر منها ومسمع ، فاذا غاب شخصه عن عينها ، وحجب صوته عن سمعها ، صرخت وبكت ، فاذا رأته او سمعت صوته سكنت وقرّت ، وفرحت وسُرّت ، وكان ذلك ملحوظاً منها ومشهوداً حتىٰ ان امها فاطمة الزهراء عليها السلام قصت ذلك علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وحكت له شدة العلاقة بين هذه الأخت وأخيها .

ومنها : انها عليها السلام لما صارت في سنٍّ تستطيع أن تقف بين يدي ربها للصلاة ، وتتمكّن من ان تدعو وتقنت ، وتصلّي لربّها ،كانت لا تقيم للصلاة بعد اتمام الاذان ، الّا بعد النظر الىٰ وجه اخيها الامام الحسين عليه السلام ، فاذا نظرت اليه ، وتروّت من ظمأ لقياه ، وتقوّت بجمال محيّاه ، اقامت للصلاة ، واقبلت بقلبها علىٰ المناجاة مع ربها والصلاة بين يديه .

ومنها : انها عليها السلام تركت حرم جدّها ، ومسقط رأسها ، وبيتها وزوجها ـ طبعاً باذنٍ منه ـ وكل علائقها في الحياة ، وصحبت اخاها الامام الحسين عليه السلام في سفره ، مع علمها بعواقب هذه السفره ونتائجها ، فانها عليها السلام بذلك فضلّت علىٰ اثر محبتها لاخيها الامام الحسين عليه السلام ان تهجر الامن والأمان ، والدعة والراحة ، لتقع في الخوف والرعب ، والمتاعب والمصائب ، ولذلك عندما طلب ابن عباس من الامام الحسين عليه السلام ان لا يصحب النساء معه في سفره هذا ، اعترضت عليه ، ونهرته وزجرته عن اقتراحه وطلبه ، وأصرّت علىٰ عدم مفارقتها لأخيها ، وعدم القعود عن مسايرته ومواكبته .

ومنها : انها عليها السلام تحملت من أجل حبّها لأخيها الامام الحسين ما لا يستطيع

احد علىٰ تحمله والصبر عليه ، وذلك دون ان تشتكي او تبدي من نفسها تذمّراً أو انزجاراً .

ومنها : انها عليها السلام لما قُتل علي الاكبر خرجت من الخيام صارخة باكية ، منتدبة منادية : ووالداه وا عليّاه وهي جزعة فزعة مما لم تفعله حتىٰ مع ولديها .

ومنها : غير ذلك مما هو كثير يقصر درك الانسان وعقله من ان يستوعب مقدار حبّ هذه الاخت لاخيها ، او يعرف مقياس مودتها له عليه السلام .

الخصيصة الثالثة والثلاثون

« في أنها عليها السلام صاحبة النيابة الخاصة »

ان من المقامات الرفيعة التي اختصت بها السيدة زينب عليها السلام هو مقام النيابة الخاصة التي نالته من اخيها الامام الحسين عليه السلام وهو مقام يتلو مقام الامامة ويقرب منه ، وقد منحها هذا المقام ـ بامر من الله تعالىٰ ـ اخوها الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ، بل ومن ليلتها ، وذلك حين سمعت اخاها ينعىٰ نفسه ، فلم تطق ان تسمع خبر مفارقته ، وجزعت وفزعت من نعي الامام نفسه ، فأمرها اخوها الامام الحسين عليه السلام بالصبر ومنحها ـ كما قال بعض الاعلام ـ هذا المقام الرفيع لتتقوّىٰ به علىٰ تحمّل الرزايا والبلايا التي ستنهال عليها كالسيل الجارف ، وتنصبّ فوقها كالبرق الخاطف ، وتدمدم بها كالريح القاصف . ولتتحفّظ به علىٰ حياة ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام حتىٰ لا تخلو الأرض من الحجة . ويشهد لها بنيل هذا المقام الرفيع امور تالية :

[ادلة علىٰ ذلك]

١ ـ رواية مأثورة رواها اكمال الدين للصدوق ، وغيبة الشيخ الطوسي ، وبحار العلامة المجلسي عن علي بن احمد بن مهزيار مسنداً عن احمد بن ابراهيم قال : « دخلت علىٰ حكيمة بنت محمد بن علي الرضا ابي الحسن العسكري عليه السلام في سنة اثنتين وثمانين بعد المائة ، فكلمتها من وراء حجاب ، وسألتها عن الأئمة ؟ فسمّت لي من نأتمّ به ، ثمّ قالت : الحجة بن الحسن ، فقلت لها : جعلني الله فداك معاينة او

خبراً ؟ فقالت : خبراً عن ابي محمد عليه السلام كتب به الىٰ امه . فقلت لها : فاين المولود ؟ فقالت : متسور . فقلت : فالىٰ من تفزع الشيعة ؟ فقالت : الىٰ الجدّة ام ابي محمد عليه السلام . فقلت لها : اقتدىٰ بمن في وصيته الىٰ المرأة ؟ فقالت : اقتدىٰ بالحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، ان الحسين بن علي اوصىٰ الىٰ اخته زينب بنت علي بن أبي طالب في الظاهر ، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب الىٰ زينب بنت علي عليه السلام تستّراً علىٰ علي بن الحسين عليه السلام . ثم قالت : انكم قوم اصحاب اخبار ، اما رويتم ان التاسع من ولد الحسين عليه السلام يقسّم ميراثه وهو في الحياة ؟ » .

فان هذا الخبر صريح في ان السيدة زينب عليها السلام قد نالت النيابة الخاصة عن اخيها الامام الحسين عليه السلام وفازت بالعلوم التي اودعها عندها اخوها بأمر من الله تعالىٰ ، حتىٰ تكون هي عليها السلام مصدر نقلها وروايتها ، فيسلم بذلك ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام من كيد الاعداء وشرهم ، ولئلا تخلو الأرض من الحجة ، ولا منافاة بين كون الامام زين العابدين عليه السلام عالماً بكل العلوم وحاوياً عليها وهو كذلك ، مع نقله عن عمته السيدة زينب عليها السلام تقية ، اذا كان حفظ حياته متوقفاً علىٰ ذلك .

٢ ـ تصرفاتها عليها السلام التكوينيّة في القلوب والنفوس ، كما ظهر منها في سوق الكوفة عندما ارادت ان تخطب علىٰ جماهيرها المتجمهرة ، فاشارت اليهم بالسكوت والسكون ، فسكتت وسكنت حتىٰ اجراس الخيل ، وحبست الأنفاس في الصدور . وصاروا يستمعون اليها وكأنّ علىٰ رؤسهم الطير . وكذلك ما ظهر منها عليها السلام في مجلس ابن زياد ، ومجلس يزيد ، حين مخاصمتها لهم ، واحتجاجها عليهم ، فان التكلم مع هؤلاء الطواغيت وفضحهم علىٰ رؤس الاشهاد لم يكن مقدوراً لشخص عادي . فكيف بأسير ؟ أو كيف بامرأة أسيرة ؟ الّا بتصرف تكويني ، وذلك من مثل السيدة زينب عليها السلام ، ومن المعلوم ان التصرف التكيويني لا يكون الّا لمن منحه الله تعالىٰ مقام الرسالة وقد اختتمت بجدّها صلى الله عليه وآله أو الامامة وهي لابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام . أو النيابة الخاصة وقد نالتها السيدة زينب عليها السلام بجدارة وكفائة .

٣ ـ كونها عليها السلام طرفاً لمشورة ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام في الامور كما سبق الاشارة الىٰ بعضها . علماً بان سمة المشاور وذلك لامام المعصوم لا تعطىٰ الّا لمن تأهّل للنيابة الخاصة عن الامام المعصوم .

٤ ـ كونها عليها السلام المخوّلة من طرف اخيها وكذلك ابن اخيها ، لكفالة حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وودائع الامامة ، والمفوّضة ايضاً لانتخاب الأمور واختيارها ، واتخاذ القرارات وحسمها ردحاً من الزمن ، امتدّ ذلك من يوم عاشوراء يوم استشهد فيه الامام الحسين عليه السلام وحتىٰ رجوعها الىٰ حرم جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٥ ـ تحملها عليها السلام من المصائب والرزايا مالم يستطع أحد الصبر عليها ، والقدرة علىٰ تحملها ، الا بروح قدسية ، وملكات عُلويّة ، وتاييدات ربانيّة ، ولا يكون شيء من ذلك في غير النبي والامام الا لمن حاز علىٰ النيابة الخاصة كالسيدة زينب عليها السلام .

[لا تنافي بين الامرين]

ثم انه لا تنافي بين اثبات النيابة الخاصة للسيدة زينب عليها السلام وبين النبوي المشهور: « لا يفلح قوم وليتهم امرأة » وامثاله من الروايات الشريفة في هذا المجال ، وذلك لما يلي :

أولاً : انصراف هذه الروايات الشريفة عن مثل السيدة زينب عليها السلام التي هي صاحبة العصمة الصغرىٰ ، والعالمة غير المعلمة ، والفهمة غير المفهمة ، ويدلّ عليه : انها عليها السلام استطاعت ان تدير شؤون الاسرىٰ بأحسن وجه ، وان تحافظ علىٰ نهضة أخيها من الاندراس والتحريف ، وان توصل صوته ومظلوميته الىٰ كل العالم وجميع الاجيال علىٰ مر الدهور والأزمان ، وهذه امور يعجز عنها الكيّس من الرجال مما يدل علىٰ كفائتها عليها السلام واستثنائيتها .

ثانياً : ان هذه الروايات ظاهرة في القضاء والحكم بين الناس ، ولا تشمل مثل النيابة الخاصة المرتبطة بنشر الاحكام والثقافة الدينية .

ثالثاً : ان حفظ الامام المعصوم الحافظ لاحكام الله ودينه ، من اهم المصالح الالٰهية ، فاذا كان متوقفاً علىٰ نيابة خاصة لمثل السيدة زينب عليها السلام حكم العقل بوجوب ذلك لها ، وكان هذا الجواب ظاهراً من رواية اكمال الدين الآنفة ايضاً ، كما لا يخفىٰ ذلك علىٰ اولي النهىٰ والالباب ، وذوي الهدىٰ والدراية .

الخصيصة الرابعة والثلاثون

« في أنها عليها السلام الحافظة للحدود والحرمات »

ان من خصال الخير وحسن الخلق : حفظ الحدود والحرمات ، فقد جعل الله تعالىٰ لكل شيء حداً ، ولكل امر حرمة ، وخاصة عبده المؤمن ، فان حرمة المؤمن ـ كما في الروايات ـ اعظم من حرمة الكعبة ، وحسن هذه الصفة بديهي وواضح ، وذلك لانه بحفظ الحدود والحرمات ينتظم الاجتماع ، وتستقر الحياة الانسانية الكريمة ، كما ان حكمة تشريع الاحكام من واجبات ومحرمات ، ومستحبات ومكروهات ، هو من أجل ذلك ، فالامر بتجهيز الميت ، وتعيين الديات ، وتقنين الحدود ـ مثلاً ـ هو لحفظ حرمة الاجتماع المؤمن وكذلك صون حرمة الفرد المؤمن ، بلا فرق بين حياته وموته كما جاء في الحديث الشريف : « حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حياً » ولو احتاج حفظ حرمة المؤمن وصون عرضه ، الىٰ بذل مالٍ وجب بذله ، فان خير المال ما بذل في مثل هذه الامور كما في الحديث الشريف : « خير المال ما صين به العرض » وقد يستدعي ذلك الىٰ بذل النفس والتفدية بالروح كما قال الامام الحسين عليه السلام : « الموت اولىٰ من ركوب العار » فانه يستفاد من هذا الكلام : لزوم بذل كل شيء من أجل حفظ حُرمة الانسان المؤمن وكرامته ، وصون عرضه وشرفه ، ناهيك عن حفظ دينه وعقيدته ، فان حفظ الدين والعقيدة رأس كل الامور ، وحفظ الحرمة والكرامة ، والعرض الشرف ، يأتي في المرحلة الثانية ، يعني بعد مرحلة الدين والعقيدة مباشرة .

[النساء المثاليات]

وكم من اناس بلغوا المراتب العالية ، والمقامات الرفيعة ، من أجل الالتزام بهذه الصفات الحسنة ، والتخلّق بهذه الأخلاق الكريمة ألا وهو : حفظ الشرف والحرمة .

مثل مريم العذراء في السابقين ، حيث أحصنت فرجها ، وحافظت علىٰ حرمتها وكرامتها ، فبشرتها الملائكة بمقام الاصطفاء والطهارة كما في القرآن الكريم : « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاك علىٰ نساء العالمين » .

ومثل فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله في هذه الامة ، حيث انها ضحّت بنفسها وجنينها ، وفدّت بروحها وروح عزيزها الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً ، لتحافظ علىٰ حدود الله وحرماته من الانتهاك والتلاعب ، وتصون كرامة بعلها وحرمته ، وتسلب شرعية المتقدمين عليه ، والغاصبين لحقه الذي خصه الله تعالىٰ به . فنالت بسببه درجة الشفاعة ومقام الوساطة عند الله لشيعتها ومحبّيها ، كما في الحديث الشريف : « فحرّم الله شيعتها علىٰ النار » .

ثمّ ورثت السيدة زينب عليها السلام من امها هذه الصفة الحسنة ، وتجلّت فيها هذه الخصلة الحميدة ، وأصبحت هي الاخرىٰ التي ضحّت بكل شيء من أجل الحفاظ علىٰ حدود الله وحرماته ، وصون حرمة اخيها وكرامته ، فلقد حاول بنو امية النيل من كرامة اخيها الامام الحسين عليه السلام ، وانتهاك حرمته ، واتهامه بالخروج عن الدين ، لينالوا بذلك من بني هاشم بصورة عامة ومن رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته بصورة خاصة ، وذلك لأحقادهم البدرية والخيبرية ، ولعداءهم القديم بالنسبة لآل عبد المطّلب ولآل ابي طالب ، وبني هاشم اجمعين ، فوقفت عليها السلام موقفها الشجاع الحاسم ، وتحملت الاسر والسبي ، لتثبت نزاهة اخيها الامام الحسين عليه السلام وطهارته ، وتبطل دعايات بني امية المضلّلة ، وتكشف كذب إشاعاتهم وإعلامهم ، وكذلك فعلت

سلام الله عليها .

« اشارة »

[السيدة زينب عليها السلام من الشافعين]

ثم ان السيدة زينب عليها السلام نالت بسبب جهادها وجهدها في الحفاظ علىٰ حدود الله وحرماته مقاماً عظيماً ، وجاهاً كبيراً عند الله تبارك وتعالىٰ ، بحيث يعجز البيان عن وصفه ، والقلم عن تحريره وتقريره ، لكن لقاعدة : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، نشير الىٰ بعض ما يدل عليه :

١ ـ انها عليها السلام تسببت حفظ حرمات جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصون طهارته وعصمته ، وبقاء شريعته واستمراريتها .

٢ ـ انها عليها السلام بعثت علىٰ حفظ حرمات ذويها : اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصون عصمتهم وطهارتهم ، وبقاء تعاليمهم وسيرتهم .

٣ ـ انها عليها السلام سبّبت حفظ حرمات كل الأنبياء والمرسلين ، وصون نزاهتهم وكرامتهم ، وبقاء تعاليمهم السماوية ، اذ كل تعاليمهم موجودة في شريعة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، وكل معنويّاتهم وعصمتهم مجموعة فيه صلى الله عليه وآله .

٤ ـ انها عليها السلام بعثت علىٰ هداية النفوس ، واسلام الناس ، واحياءهم معنوياً بالعقيدة بالله والايمان باليوم الآخر ، اذ لولا جهادها في حفظ كرامة الدين واهله ، وتزييف بني امية واظهار كفرهم ، لهدم بنو امية الدين وقضَوا علىٰ أهله ، بحيث لم يبق للاسلام اسم ولا لأهله رسم ولا أثر ، وكم ادّخر الله تعالىٰ من الاجر لمن احيىٰ نفساً ؟ فكيف بمن سبّب احياء الملايين بل المليارات من البشر الىٰ يوم القيامة ؟ علماً بان القرآن الكريم يقول : « ومن أحياها فكأنّما احيىٰ الناس جميعاً » .

٥ ـ انها عليها السلام بسبب جهادها في الله اصبحت خير مصداق لقوله تعالىٰ : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾ فان الله تعالىٰ جزاءاً لها هداها الىٰ سُبُله

وهي : سُبُل الجنة وسُبُل الخير ، وصارت بذلك واسطة في ايصال لطف الله تعالىٰ وخيره الىٰ من تشاء ولمن تحب .

« بشارة »
[هل السيدة زينب عليها السلام من أبواب الحوائج ؟]

ثم انه لما حصلت السيدة زينب عليها السلام علىٰ المقام العظيم والجاه الكبير عند الله تعالىٰ ، الا وهو : ان هداها الله سبله ، وصارت واسطة في ايصال لطف الله تعالىٰ وخيره ، واهداء رزقه وجنّته الىٰ من تشاء ولمن تحب ، اصبحت باباً من أبواب الحوائج الىٰ الله تعالىٰ ، وملجأً للناس في مهمّاتهم ، وملاذاً لهم في مشكلاتهم ، فما قصدها احد عن معرفة بها وهو طالب حاجة لدنياه وآخرته الا ورجع فرحاً مسروراً ، مقضيّة حاجته ، مكفية اموره وهمومه ، كيف لا وهي بالاضافة الىٰ مقامها الرفيع عند الله تبارك وتعالىٰ من اهل بيت جبلوا علىٰ السخاء والكرم ، وعرفوا بالجود والعطاء ؟ فهي اذن اهل لان تكون من ابواب الحوائج الىٰ الله تعالىٰ لكرامتها عليه وحقها لديه ، فقد تحملت في سبيله كل أنواع البلاء فصار حقاً علىٰ الله تعالىٰ ان يعطي من توسّل بها اليه ما يريده ، ويكشف عنه ما ابتلي به ، وخاصة اذا توسّل بها عليها السلام في نوع مشكلته بنوع ما ابتليت به هي سلام الله عليها ، فالخائف بخوفها وروعها ، والمهموم بهمّها وغمّها ، والمصاب بمصائبها ورزاياها ، والمضطر بالضطرارها والجائها ، وهكذا ، فانه يكون أقرب للاجابة ، واقضىٰ للحاجة .

« اشارة »
[العظيمات من النّساء]

دلت الروايات والأخبار علىٰ أن أفضل نساء العالم من الاولين والاخرين اربع نسوة :

١ ـ مريم ابنة عمران التي احصنت فرجها ، وصانت نزاهتها وكرامتها ، وحفظت حدود الله وحرماته ، فنزهّها الله تعالىٰ في كتابه وبرَّأها ، وأثبت صدقها وصلاحها .

٢ ـ آسية بنت مزاحم التي حفظت حدود الله وحرماته ، وثبتت علىٰ دينها وعقيدتها ، وصانت آخرتها ومعادها ، وتبرّأت من فرعون وعمله ، ورغبت عن دنياه وسلطانه ، وتوجهت الىٰ الله ربها في خلاصها منه ، ونقلها الىٰ جوار رحمته ، وفسيح جناته ، فاستجاب الله لها وعجل بروحها الىٰ الجنة ، وشكر لها سعيها ومدحها في كتابه .

٣ ـ خديجة بنت خويلد التي تزوجت من سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وآمنت به ، وصدقته بما جاء به من عند الله ، وحفظت حدود الله وحرماته ، فواسته بنفسها ومالها ، وبذلت كل ماكانت تملكه لنصرته صلى الله عليه وآله وتقوية دين الله ، فحظيت بذلك المقام الكبير والجاه العظيم عند الله تعالىٰ ، حيث كان جبرئيل ينزل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسلام عليها من عند الله تبارك وتعالىٰ ، وكذلك نزل عليه صلى الله عليه وآله يسلّيه بها عندما فارقت الحياة ومعه كفن لها جاء به من الجنة ، اكراماً من الله تعالىٰ لها ، واعظاماً بها وبسعيها .

[سيدة نساء العالمين]

٤ ـ الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء عليها السلام التي انزل الله تعالىٰ في حقها سورة الكوثر ، وانزل في مدحها سورة هل اتىٰ ، وغير ذلك ، وقال ابوها رسول الله صلى الله عليه وآله في حقها : « فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين » وقال صلى الله عليه وآله أيضاً : « ان الله يرضىٰ لرضا فاطمة ويغضب لغضبها » وقال صلى الله عليه وآله يوماً لسلمان في حديث طويل : « ... يا سلمان ، ويل لمن يظلمها ، ويظلم بعلها علياً ، وويل لمن يظلم ذريتهما وشيعتهما » وقال الامام الباقر عليه السلام في حقها : « ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة علىٰ

جميع من خلق الله من الجن والانس ، والطير والوحش ، والأنبياء والملائكة » وقال الامام الصادق عليه السلام في حقها : « نحن حجة الله علىٰ الخلق ، وفاطمة حجّة علينا » وقال الامام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه في حقها : « وفي ابنة رسول الله لي اسوة حسنة » كل ذلك لانها لما ارادوا التعدي علىٰ حدود الله وانتهاك حرمات الله وقفت وبكل صلابة تندّد بهم ، وتشجب اعمالهم العدوانية ، وتعلن الحق الصّراح والنهج الواضح . ولما ضربوها كما عن الملل والنحل للشهرستاني ـ ج /١ ص /٧٥٧ ـ : « ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة ، حتىٰ القت الجنين من بطنها ، وكان عمر يصيح : احرقوا دارها بمن فيها . وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين » التجأت الىٰ سلاح البكاء وحاربت به المعتدين قائلة : « فو الله لا اسكت ليلاً ولا نهاراً ، أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله » وما كان أسرع لحوقها به علىٰ أثر الصدمة وسقط الجنين شهيدة مظلومة ، فعوّضها الله تعالىٰ عن ذلك بمقام الشفاعة وشرف الدنيا والآخرة .

[المرأة الثانية في الاولين والآخرين]

ثم ان فاطمة الزهراء عليها السلام ورّثت ابنتها الوفية : السيدة زينب ابنة علي امير المؤمنين عليه السلام ، كل خصالها الخيّرة ، وجميع صفاتها الحميدة ، والتي علىٰ رأسها الحفاظ علىٰ حدود الله تعالىٰ وحرماته ، وصون كرامة رسول الله المصطفىٰ واهل بيته ، وعلّمتها كيف تقف امام المعتدين وتندّد بهم ، وتشجب اعمالهم ، وتحاججهم بكتاب الله ، وتخاصمهم بالعقل والمنطق السليم ، وأوصتها بأن تجود بالبذل والعطاء فيما لو استدعىٰ وقوفها بوجه المعتدين الىٰ الفداء والتضحية ، حتىٰ ولو كان بالنفس ، بل واصعب منه وهوَ السبي والأسر ، لأن السبي والاسر أمرّ من الموت والقتل علىٰ الانسان الغيور .

وكذلك فعلت السيدة زينب عليها السلام فقد عملت بوصية امها كاملاً ، وطبّقتها

حرفياً ، وأقرّت بمواقفها الشجاعة عين أُمها ، وحافظت بقيمة اسرها وسبيها علىٰ حدود الله وحرماته ، وصانت قدسية جدها رسول الله ﷺ وكرامة أهل بيته عليهم السلام من تهم بني امية وافترائاتهم .

وهذا الذي فعلته السيدة زينب عليها السلام لم يفعله غيرها وغير امها عليها السلام من النساء العظيمات ، ولم تقدّم واحدة منهنّ للدين واهله ما قدمته فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها زينب عليها السلام ، كما لم تؤثّر واحدة منهن في بقاء الدين واهله نزيهاً ومباركاً بقدر التأثير العظيم الذي أثرته فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها زينب عليها السلام ، مما يكشف عن ان السيدة زينب عليها السلام هي المرأة الثانية في العالم من الاولين والآخرين بعد امها ، يعني المرأة الاولىٰ هي امها فاطمة الزهراء عليها السلام ، ثم هي ، ثم بقية النساء العظيمات كخديجة الكبرىٰ ، ومريم العذراء ، وذلك لان فاطمة الزهراء عليها السلام اضافة الىٰ تفوّقها في حفظها حدود الله وحرماته ، قد جمعت في نفسها كل خصال الخير ، وجميع صفات الكمال التي تحلت بها النساء العظيمات قبلها ، ثم ورّثتها ابنتها الوفية السيدة زينب عليها السلام ، فصارت السيدة زينب عليها السلام الوارثة لكل الكمالات لمن كان قبلها ، مزدانة بعلوّ نسبها ، وشرف فرعها وأصلها : شجرة خاتم الأنبياء ودوحة سيد الاوصياء ، وثمار أهل البيت عليهم السلام .

« اشارة ثانية »
[السبايا وستر الوجه]

رأيت في بعض تأليفات العالم الجليل ، والثقة النبيل ، والمحدث الخبير ، والفقيه النحرير ، صاحب كتاب : الكبريت الاحمر : انه رأىٰ ذات ليلة في عالم الرؤيا وكأنه في مجلس عزاء وحداد علىٰ الامام الحسين عليه السلام وقد صعد الخطيب علىٰ المنبر وهو يتكلم حول سبي أهل البيت ، وأسر بنات الرسالة والوحي ، حتىٰ قال : ولست أدري هل ان السبايا بعد أن سلبهم الاعداء كل شيء حتّىٰ قناع النساء ، كنّ

مكشّفات الوجه حالة السبي او مستورات الوجوه ؟ واذا بي وكأني أرىٰ السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام وباقي الاسرىٰ حاضرات في المجلس ، فتوجّهت للخطيب وقلت له : ايها الخطيب ان السيدة زينب عليها السلام مع بقية السبايا هاهنّ حاضرات في المجلس ، فاسمح لي في ان أسألهن عن ذلك ، فسألتها عليها السلام او سألت اختها ام كلثوم ، ولا يحضرني الآن ايهما بالتعيين . فأجابتني قائلة : كنا مستورات الوجوه رغم انهم لم يبقوا لنا ثياباً لائقة بنا .

هذا مع ان السيدة زينب عليها السلام قد كابدت لحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في ذريته وبقايا اسرته ، بل وحفظ نسله من الاجتثاث والابادة التي عزم عليها بنو امية ، وتحملت في سبيل ذلك مالم تتحمله جدتها السيدة خديجة الكبرىٰ عليها السلام ولا غيرها من النساء العظيمات .

« اشارة ثالثة »

[السيدة زينب عليها السلام واسمها في القرآن الكريم]

قد يتساءل البعض ويقول : لماذا تعرّض القرآن الكريم لمدح مريم العذراء بالاسم ، وذلك في عدّة آيات من الذكر الحكيم وبصراحة ووضوح ، بينما لم يذكر القرآن الكريم فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بالاسم ولا السيدة زينب عليها السلام باسمها ، حتىٰ توهّم البعض في ان يعدّ مقام العذراء مريم عند الله تعالىٰ لمدحها في كتابه بالاسم الصريح ، فوق مقام فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها زينب عليها السلام ؟

والجواب يكون كما يلي :

١ ـ ان التصريح بالاسم وعدم التصريح به ليس هو مقياس الافضلية ، بل قد يكون عدم التصريح باسم الطرف اولىٰ بالتفضيل ، وذلك لما في الكناية عن الشخص من دلالة علىٰ اكرام الشخص المكنّىٰ عنه واكباره ، بما لم يكن في التصريح باسمه .

٢ ـ ان فاطمة الزهراء عليها السلام وباجماع من المفسّرين عامة وخاصة ـ بل ومن كل المسلمين علىٰ اختلاف فِرقهم وطوائفهم مشمولة لقوله تعالىٰ : ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وهي آية العصمة والطهارة لاهل البيت عليهم السلام ومن المعلوم : انه لا مقام ارفع من مقام العصمة الالهية للشخص ، ولا درجة اعلىٰ من درجة الطهارة الربانية للانسان ، ومع هذه الفضيلة الكبرىٰ لفاطمة الزهراء عليها السلام هل يبقىٰ مجال للتوهّم المذكور ؟ هذا بغضّ النظر عن الآيات والسور التي نزلت في حق فاطمة الزهراء عليها السلام ومدحها ، وما اكثرها في القرآن الكريم ؟

٣ ـ ان عدم تصريح القرآن الكريم باسم فاطمة الزهراء عليها السلام واسم ابنتها عليها السلام ، وكذلك عدم التصريح باسماء بقية أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع التعرض لمدحهم في كثير من الآيات والسور القرآنية ، والتصريح في كثير منها بعصمتهم وطهارتهم ، وامامتهم وولايتهم ، وانهم حجج الله علىٰ خلقه ، وخلفاء الله بعد رسوله في أرضه ، معجزة عظيمة من معجزات القرآن الكريم ، ودليل علىٰ ان القرآن كما قال سبحانه : ﴿ **وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ وعامل كبير لحفظ القرآن من التحريف كما قال تعالىٰ : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾ وذلك لان الوقائع التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تحدّث عنها القرآن الكريم بقوله : ﴿ **وما محمّد الّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم** ﴾ كانت تكفي لتحريف القرآن وتغيير آياته وتبديل سوره التي فيها اسم فاطمة الزهراء عليها السلام واسماء أهل البيت عليهم السلام ، فان هؤلاء المنقلبين علىٰ أهل بيت رسولهم بعد ارتحاله صلى الله عليه وآله ، والذين صادروا الخلافة ، وأخذوا فدكاً ، واسقطوا محسناً ، وقتلوا أمه الزهراء عليها السلام ، وقتلوا سبطي رسولهم الامامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، وسبوا السيدة زينب عليها السلام ، كان لا يصعب عليهم ان يبدلوا الاسماء الصريحة في الآيات التي مدحت أهل البيت عليهم السلام بالاسم ، ويجعلوا مكانها اسماءهم ، كما فعلوا ذلك في تفسير بعض الآيات التي هي في حق أهل البيت عليهم السلام

ومدحهم ، ونسبوها الىٰ أنفسهم ، واذا كان يتم ذلك كان معناه : تحريف القرآن الكريم كما حرّفت الكتب السماوية من قبل .

اذن : فعَدم تصريح القرآن الكريم باسم فاطمة الزهراء عليها السلام واسم ابنتها السيدة زينب عليها السلام ، واسم الأئمة الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام معجزة خالدة من معجزة الرسول صلى الله عليه وآله الخالدة الا وهو القرآن الكريم .

الخصيصة الخامسة والثلاثون

« في أنها عليها السلام المهتمّة بحفظِ الدين »

ان من مكارم الأخلاق ومحاسنها ، ومناقب الانسان وفضائله : الاهتمام بحفظ الدين وتطبيقه في الحياة الفردية والاجتماعية ، وذلك لان الدين هو الذي يتكفل حفظ الحقوق ، واحترام الآخرين وجمع الشمل ، وتوحيد الكلمة ، وهداية الناس الىٰ مافيه خيرهم وصلاحهم ، فالدين هو قوام المجتمع ، ومحور سعادته ، وقاعدة رقية وانطلاقه ، ومجمع شتاته ومتفرقاته ، وعصمة أمره وصلاحه ، ولذلك قالوا : « للديانة سلطنة في القلوب ، وتأثير في النفوس » وقال الامام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية في دعاء يوم الثلاثاء : « اللهم اصلح لي ديني فانّه عصمة امري » فلولا الدين يكون امر الانسان فُرُطاً وحياته مبعثرة منغّصة ، وكما يتنغّص حياة الفرد لو لم يكن متديّناً ، كذلك يتنغّص حياة المجتمع اذا لم يلتزم بالدين ، فالدين عصب المجتمع وعمود فقراته . ولذلك نرىٰ ان عظمة الأنبياء وجلالتهم تكمن في اهتمامهم بالدين الذي أتوا به من عند ربهم ، ومبالغتهم في حفظه وتطبيقه .

وحيث ان للدين ذلك الاثر الكبير الذي عرفته في سعادة الفرد والمجتمع ، حكم العقل اضافة الىٰ حكم الشرع بوجوب الاهتمام بحفظ الدين علىٰ كل احد ، كما وحكم بان كل من كان اهتمامه بذلك اكبر كان اجره وثوابه أعظم ، ودرجته ، ومقامه عند الله ارفع ، وخاصة اذا كان ذلك الدين اكمل من حيث التشريع ، واشمل من حيث الفروع والاصول ، واسخىٰ عطاءاً لما يتطلبه المجتمع الانساني ، علىٰ مرّ العصور والازمان ، ورغم التطور والتقدم العلمي الذي يطرء علىٰ المجتمعات ، ولم

يكن ذلك الدين الجامع والشامل ـ باعتراف الجميع ـ الا الاسلام .

[الدين الاكمل والاجمل]

وعليه : فالدين الاسلامي لماكان لكماله وجماله ، وسعتة وشموله ، واحتوائه علىٰ كل ما يتطلبه المجتمع المتقدم والمتطوّر ، من حيث العلم والعمل ، والسياسة والاقتصاد ، والفرد والمجتمع ، والروح والجسم ، والدنيا والآخرة ، هو أفضل الأديان ، وكان المهتمّ بحفظه ، والساعي لتبليغه وتطبيقه هو الأفضل عند الله ، حكم العقل مضافاً الىٰ الشرع علىٰ كل فرد ان يبذل قصارىٰ جهده ، ومنتهىٰ قدرته في حفظه وتطبيق احكامه وقوانينه ، ولعل هذه هي حكمة تشريع الجهاد ووجوب الدفاع عن الدين في الاسلام . والسيدة زينب عليها السلام قد حازت مضمار السبق في الاهتمام بالدين ، والحفاظ علىٰ احكامه وقوانينه ، والسعي في تبليغه وتطبيقه ، والدفاع عن حرمته ومثاليته ، حتىٰ رضيت ان تقدم لذلك اغلىٰ الاثمان الا وهو رضوخها للسبي والاسر مع انها ربيبة الخِدر والصَون ، ومعلمة الحياء والستر ، فأصبحت بذلك هي الفضلىٰ بعد امها الزهراء عليها السلام بحكم الشرع والعقل ، واصبح لها الحق الكبير علىٰ المجتمعات الانسانية طول التاريخ ، حيث اصبحت المجتمعات البشرية مدينة لدفاع السيدة زينب عليها السلام وجهادها في سبيل حفظ الدين وقيمه ، وقوانينه واحكامه . وتعاليمه وآدابه .

« اشارة »

[استنصار الاسلام واستغاثته]

ثم انه لمّا عُرف مما مضىٰ ما تحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام من اجل حفظ الدين وتبليغه ، وصون احكامه وقوانينه ، يُعرف مدىٰ تأثير الصدمة التي يصاب بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وخصوصاً الامام الحسين عليه السلام واخته

عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام مما يرونه من تخاذل المسلمين اليوم بالنسبة الىٰ دينهم ، حيث اشتغل الجميع بدنياهم وغفلوا عن قرآنهم واسلامهم الّا من عصم الله ، فتجرّأ البعض علىٰ اثر تخاذل الآخرين من تشويه الدين وتمويهه ، وخدش طهارته ونزاهته ، وتضييع احكامه وقوانينه ، وتحليل حرامه وتحريم حلاله ، وبالتالي ضرب الدين باسم الدين من جهة بعض ، وترك الدين باسم الدين من جهة بعض آخر ، واصبح الاسلام بين هؤلاء واولئك غريباً ، كما في الحديث الشريف : « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ » مع ان المسلمين كثيرون يشكّلون ثلث سكان المعمورة ، ويمتلكون اغنىٰ ثروات الأرض ، لكن تخاذلهم عن الدين اوقعهم في هذه النكسة التاريخية ، التي حُرموا علىٰ اثرها شرف ظهور منقذهم الامام المهدي عجّل الله تعالىٰ فرجه ، وبقوا في ظلمات غيبته لا يبصرون ، وفي غياهب الجهل والمرض ، والفقر والخوف يعمهون ، والامام المهدي عليه السلام ينظر اليهم مقروح القلب باكي العين مشرداً في الصحاري والفيافي بلا ناصر ولا معين .

فيا أيها المسلمون انتبهوا من غفلتكم ، وقوموا من رقدتكم ، واسمَعوا بآذان قلوبكم استغاثة الاسلام واستنصاره بكم ، ألا تخافون ان يؤدّي تخاذلكم عنه وعدم استجابتكم له ، الىٰ تضييع دم الامام الحسين عليه السلام ، وتفنيد اتعاب السيدة زينب عليها السلام ، وبالتالي ضياع الاسلام والقرآن ؟

« بشارة »

[هل جزاء الاحسان الّا الاحسان]

ثم ان السيدة زينب عليها السلام كما وقفت نفسها لحفظ الاسلام والذبّ عنه ، ونذرت حياتها لنصرة دين الله وأهل الله ، فكذلك منحها الله تعالىٰ مقام الشفاعة في الآخرة . كما منح امها فاطمة الزهراء عليها السلام ذلك من قبل ، واذن لها في ان تشفع لكل من اهتدىٰ بنورها واتبع اثرها ، جزاءاً لها علىٰ عظيم ما قدمته ، وشكراً لسعيها الكبير في حفظ دين الله تعالىٰ واحكامه .

الخصيصة السادسة والثلاثون

« في أنها عليها السلام القائمة بحفظ المعصومين عليهم السلام »

ان من الواجبات الشرعية والعقلية ، والعبادات الاساسية والمهمّة هو : الحفاظ علىٰ حياة المعصومين وحجج الله تعالىٰ علىٰ الخلق أجمعين ، من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام عليه السلام . والذبّ عنهم ، والتضحية من أجلهم حتىٰ بالنفس ، وهذا هو من مستلزمات أولويتهم عليهم السلام الذي صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالىٰ :﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ وهذا المعنىٰ نفسه أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر من الله تعالىٰ الىٰ علي بن أبيطالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من وُلد علي عليه السلام في يوم الغدير ، وأخذ من المسلمين البيعة له بإمرة المؤمنين وهو صلى الله عليه وآله وسلم يُعلن ذلك عليهم بصراحة ويقول مخاطباً لهم : « ألست أولىٰ بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللهم بلىٰ ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه فهذا علي مولاه » مضافاً الىٰ الحديث الشريف القائل : « لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها » مما يدل علىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الامام عليه السلام هو القلب النابض لهذا العالم ، والمحور الكريم لبني آدم ، والسفير الوجيه لرحمة السماء وبركاته ، ونزول خيره ورزقه علىٰ الأرض وأهلها . ومن المعلوم : ان بحفظهم يُحفظ الدين ، وبحفظ الدين يُحفظ النظام ويكرم الانسان . كما ان بفقدهم تفقد الحياة علىٰ كرة التراب ، لانهم عليهم السلام بالنسبة الىٰ هذا العالم كالروح بالنسبة الىٰ الجسد فاذا فقد الروح تلاشىٰ الجسد وانعدم .

وعليه : فالملتزم بحفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ الامام عليه السلام والقائم به ، يستحق الاجر والثواب من جهات :

١ ـ من جهة حفظ المعصوم نفسه من نبي أو إمام علماً بأنه الرابط الوحيد بين السماء والأرض بسبب سفارته عن الله تبارك وتعالىٰ .

٢ ـ من جهة حفظ الدين وأحكامه وقوانينه الألٰهية العادلة .

٣ ـ من جهة حفظ نظام العالم واستقراره ، وكرامة الانسان واحترامه .

ولذلك نرىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ يباهي الملائكة ـ كما في الحديث الشريف ـ بوَليّه علي بن أبيطالب عليه‌السلام ليلة المبيت علىٰ نومه عليه‌السلام في فراش رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقيه بنفسه ويحفظه بمهجته من أعدائه ، وأنزل آية كريمة في شأنه : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد** ﴾ وأعدّ له من الثواب علىٰ مبيته ـ كما في الحديث الشريف ـ مالو قسّم علىٰ أهل العالم كله ، لاستحق جميعهم دخول الجنّة .

هذا والسيدة زينب عليها‌السلام قد حافظت حسب قدرتها ، وغاية جهدها ، علىٰ حياة امامين همامين : هما : اخوها الامام الحسين عليه‌السلام وابن أخيها الامام زين العابدين عليه‌السلام وذلك في مواقف شجاعة ومعروفة بالنسبة الىٰ كل منهما .

[السيدة زينب عليها‌السلام تحفظ اخاها]

ان السيدة زينب عليها‌السلام وبكل اخلاص حفظت اخاها الامام الحسين عليه‌السلام من ان تفارق روحه الحياة غصّة وحسرة علىٰ ولده الشهيد : علي الاكبر ، الذي كان شبيه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ، وذلك حينما ارتفع صوت علي الاكبر لتوديع ابيه قائلاً : يا ابتاه عليك مني السلام ، فالسيدة زينب عليها‌السلام لمعرفتها بالعلقة الكبيرة ، والمحبة الشديدة ، الموجودة بين الامام الحسين عليه‌السلام وولده علي الاكبر ، علمت انه لو وقف اخوها علىٰ جسد ولده ورآه بتلك الحالة موذّراً علىٰ الأرض ، ومقطعاً بالسيوف ارباً ارباً ، ومغسّلاً بدمائه ، لفارقت روحه الحياة ، ففكرت في حفظ اخيها الامام الحسين عليه‌السلام من هذه الصدمة الكبرىٰ ، فرأت ان افضل طريق لذلك هو :

خروجها من الخيام ، ووصولها الىٰ المعركة ، ووقوفها علىٰ جسد الشهيد علي الأكبر ، وذلك قبل ان يصل اليه اخوها الامام الحسين عليه السلام وبالفعل فقد اوصلت نفسها الىٰ مصرع علي الاكبر قبل أن يصل اخوها اليه ، ووقفت عليه وهي تصرخ وتنادي : ووالداه وا علياه ، فلما وصل الامام الحسين عليه السلام الىٰ مصرع ولده ووقع نظره علىٰ اخته العقيلة السيدة زينب عليها السلام وسمعها تبكي وتنادي : ووالداه واعلياه . هاجت به غيرته علىٰ ناموسه وعرضه ، فاقبل عليها يردّها الىٰ الخيام وترك ولده علي الاكبر ولم يقف عليه ، ثم التفت الىٰ فتيان بني هاشم وقال لهم : احملوا اخاكم علياً الىٰ الفسطاط ، وكان هناك فسطاط أعدّوه لجمع القتلىٰ فيه ، وبهذا الاسلوب استطاعت السيدة زينب عليها السلام وفي هذا الموقف الرهيب حفظ حياة اخيها الامام الحسين عليه السلام وانقاذه من الصدمة التي كانت تودي بحياته عليه السلام لولا تدبيرها عليها السلام .

« اشارة »

[مزايا علي الاكبر ومفاخره]

لا يخفىٰ : ان علقة الامام الحسين عليه السلام بولده علي الأكبر ، وشدة محبته له ، لم تكن مجرّد علقة ابوّة وبنوّه ، وانما كانت لأجل غاية كماله ورفعة أخلاقه ، وجميل خصاله ، بحيث كان كل من يطلع عليه ويتعرف علىٰ كماله وجماله كان يحبّه ، حتىٰ ان الاعداء أحبّوه ، فهذا معاوية بن أبي سفيان علىٰ شدة حقده لبني هاشم وكثرة عداوته لهم يقول معترفاً بفضله مصرّحاً في حقه : بان علي بن الحسين عليه السلام (الأكبر) هو أولىٰ بالخلافة منه ومن ابنه يزيد ، فكيف اذن بوالده عليه السلام وهو أقرب اليه من غيره ، وأعرف بكماله وجماله ؟ ولا بأس ان نشير هنا الىٰ بعض أسباب تلك العلقة والمحبة باختصار :

١ ـ ان محبّته عليه السلام له ، للعلقة التي اودعها الله تعالىٰ الآباء بالنسبة الىٰ أبنائهم ، وكل من النبي والامام هو النموذج الكامل في الحنان والحب الابوي .

٢ ـ ان محبته عليه السلام له ، لتأدّبه بالنسبة الىٰ أبيه ، فقد كان كما ينقل عنه : لا يمشي في النهار بين يدي أبيه ولا الىٰ جانبه قط ، وانما كان يمشي خلفه ، ولكن اذا خرج مع ابيه ليلاً كان يمشي بين يديه ليحفظه من الاذىٰ الذي ربما يوجد في طريقه ، ويدفع عنه المكروه الذي قد يحدث له في الطريق بنفسه ، وهذا غاية التأدب .

٣ ـ ان محبته عليه السلام له ، لانه سميّ أبيه أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وقد قال الامام الحسين عليه السلام معرباً عن شدة حبه لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه لو رزقه الله ألف ولد لسمّاهم جميعاً باسم « علي » وهنا توارد في «علي الأكبر» حب الولد مع حب الوالد ، ولذلك تضاعف حب أبيه الامام الحسين عليه السلام بالنسبة إليه .

٤ ـ ان محبته عليه السلام له ، لانه كان اشبه الناس بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ، وكان كما قال الامام الحسين عليه السلام في حقه : وكنا اذا اشتقنا النظر الىٰ رسول الله نظرنا اليه ، اضافة الىٰ أنه كان ينوب عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء بالنسبة الىٰ دور المشاركة في ابقاء الدين الحنيف كما مر الحديث عنه سابقاً .

٥ ـ ان محبته عليه السلام له ، لانه كان يحمل بين جنبيه ايماناً راسخاً ، وعقيدة مبرمة بالله واليوم الآخر ، وتسليماً ورضاً منه بما قدّره الله تعالىٰ له ، ومما يدل علىٰ ذلك كلامه لابيه عليه السلام في طريق كربلاء ، وذلك حينما غفىٰ الامام الحسين عليه السلام ورأىٰ في المنام هاتفاً يهتف بهم : « القوم يسيرون والمنايا تسير من ورائهم » فانتبه الامام الحسين عليه السلام من غفوته وهو يقول : « انّا لله وإنّا إليه راجعون » وحيث ان الاسترجاع يقال عند المصاب ، ولدىٰ الامور غير الملائمة ، تقدم علي الاكبر نحو أبيه وسأله بتواضع عن سبب الاسترجاع ذلك ، فلما قص عليه الامام الحسين عليه السلام رؤياه ، قال علي الأكبر بتأدب ووقار : أولسنا علىٰ الحق يا ابة ؟ أجابه الامام الحسين عليه السلام بعطف وحنان قائلاً : نعم ياولدي وياقرة عيني . فقال علي الأكبر وبكل اطمئنان وسكينة : اذن يا أبه لا نبالي بالموت ، فاستبشر الامام الحسين عليه السلام ودعا لولده علي الأكبر ، وجزّاه عنه خيراً ، وهذا منتهىٰ الكمال .

«اشارة ثانية»

[الشبه بين الحوارين]

ما اشدّ الشبه بين حوار علي الأكبر مع أبيه الامام الحسين عليه السلام هذا ، وحوار الامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام مع ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان صلى الله عليه وآله علىٰ المنبر يخطب في المسلمين بمناسبة اقتراب حلول شهر رمضان المبارك ويبشرهم بوفوده عليهم بالخير والبركة ، ويبيّن لهم فضل الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة فيه ، فقام علي أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا رسول الله ما أفضل الاعمال في هذا الشهر ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا أبا الحسن أفضل الاعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله ، ثم بكىٰ . فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ما يبكيك ، لا ابكىٰ الله عينيك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ابكي لما يستحل منك في هذا الشهر ،كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث اشقىٰ الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة علىٰ قرنة فخضّب منها لحيتك . قال علي عليه السلام : يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال صلى الله عليه وآله : نعم ، في سلامة من دينك . ثم قال : يا علي من قتلك فقد قتلني ، ومن ابغضك فقد ابغضني ، ومن سبّك فقد سبّني لانك منّي كنفسي ، روحك من روحي ، وطينتك من طينتي ، ان الله خلقني واياك ، واصطفاني واياك ، واختارني للنبوة واختارك للامامة ، ومن انكر امامتك فقد انكر نبوّتي ، يا علي أنت وصيّي ، وأبو ولدي ، وزوج ابنتي ، وخليفتي علىٰ أمتي ، في حياتي وبعد موتي ، امرك أمري ، ونهيك نهيي ، اقسم بالذي بعثني للنبوة ، وجعلني خير البرية ، انك لحجة الله علىٰ خلقه ، وامينه علىٰ سره ، وخليفته علىٰ عباده .

والشاهد هنا هو : الشبه الكبير بين سؤال علي الأكبر من أبيه : أولسنا علىٰ الحق يا أبه ؟ وبين سؤال أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام من ابن عمه : يا رسول الله ! وذلك في سلامة من ديني ؟ مما يدل علىٰ اقتداء الابن بأبيه وجدّه في صلابة الإيمان ورسوخ العقيدة ، والرضا والتسليم لله تبارك وتعالىٰ .

[السيدة زينب عليها السلام تحفظ ابن اخيها]

ثم ان السيدة زينب عليها السلام حافظت وبكل شجاعة واخلاص علىٰ حياة ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام ايضاً ، وذلك مرات عديدة ، وفي مناسبات شتىٰ ، نذكر بايجاز بعضاً منها :

١ ـ انها عليها السلام حفظته من القتل في يوم عاشوراء ، وذلك لما هجم عسكر ابن سعد علىٰ الخيام وفي مقدمته شمر بن ذي الجوشن ، فلما بصر به جرّد سيفه وهمّ بقتله ، فألقت السيدة زينب عليها السلام بنفسها عليه ، وقالت : انه مريض عليل ولا يُقتل حتىٰ اقتل دونه ، فكف عنه .

٢ ـ انها عليها السلام انقذت حياته من الموت وخلّصته من الاحتراق بالنار ، وذلك عندما احرقوا الخيام بعد ظهر يوم عاشوراء ، فانه كما يقول بقول حميد بن مسلم : بأنه رأىٰ امرأة تدخل خيمة وتخرج منها والنار قد اقترب منها وهي لا تبالي ، حتىٰ استطاعت انقاذ ذلك المريض العليل وخلاصه من أن يكون طعمة للنيران .

٣ ـ انها عليها السلام تلاحقته وخلصته من الموت وذلك عندما مرّوا بالاسرىٰ علىٰ اجساد الشهداء ، واشتغل كل واحدة من النساء بقتيلها وشهيدها ، تودّعه وتبثّه آلامها وشجونها ، وبقي الامام زين العابدين عليه السلام وهو علىٰ ناقة بلا وطاء مقيداً بالجامعة فاخذ ينظر الىٰ الاجساد الطاهرة التي غسّلتها دماء الشهادة مبعثرة فوق رمضاء كربلاء ، وقد تركوها بلا دفن ولا مواراة ، فعظم ذلك عليه ، واشتدّ اسفه وحزنه ، حتىٰ صار في حالة كحالة الاحتضار ، فتداركته عمته السيدة زينب عليها السلام واخرجته من تلك الحالة بقولها له : « مالي اراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي واخوتي ، فو الله ان هذا لعهد من الله الىٰ جدّك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق اناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، انهم يجمعون هذه الاعضاء المقطعة ، والجسوم المضرّجة ، فيوارونها ، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر

أبيك سيد الشهداء لا يدرس اثره ، ولا يمحىٰ رسمه علىٰ كرور الليالي والأيام ، وليجتهدنّ ائمة الكفر واشياع الضلال في محوره وتطميسه فلا يزداد الّا علواً ».

٤ ـ انها عليها السلام انقذته من فتك ابن زياد به ، وقتله له ، وذلك عندما أحضر ابن زياد الاسرىٰ في مجلسه واذن اذناً عاماً للناس ، ودار بينه وبين الامام زين العابدين عليه السلام كلاماً ، كبُر علىٰ ابن زياد ان يردّ عليه ، فأمر بضرب عنقه ، فقامت السيدة زينب عليها السلام واعتنقته وهي تقول : حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل ابقيت احداً غير هذا ؟ فان اردت قتله فاقتلني معه ، فكفّ عنه .

« اشارة »

[ما اشدّ الشبه بين الام والبنت ؟]

لقد اشبهت البنت الوفية البارّة : السيدة زينب عليها السلام في حفظها لحياة ابن اخيها الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وانقاذه من الموت ، امها الحنون العطوف : فاطمة الزهراء عليها السلام في حفظها لحياة بعلها وابن عمها الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وانقاذه من القتل ، وذلك عندما اخرجه المعتدون المتقمصون للخلافة وجرّدوا السيف فوق رأسه ليقتلوه او ليبايع ، ومن الواضح : ان الله تبارك وتعالىٰ تقديراً للموقفين : موقف الام وابنتها ، كلما اعطىٰ الام الحنون فاطمة الزهراء عليها السلام من الأجر والثواب ، والجاه والمقام ، اعطىٰ مثله للبنت البارة السيدة زينب عليها السلام أيضاً.

الخصيصة السابعة والثلاثون

« في أنها عليها السلام الآمرة بالمعروف »

ان من الفضائل النفسانية ، والصفات الانسانية : التحلّي بالنصيحة للآخرين عبر الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، علماً بأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان مهمتان من الفرائض الدينية ، والعقلية ايضاً ، وذلك لأن المجتمع البشري علىٰ ما مثّله رسول الله صلى الله عليه وآله كراكبي السفينة ، حيث يريد أحدهم أن يخرق الموضع الذي يخصّه منها ، فان نهاه الآخرون عن عمله وطلبوا منه الكف عن فعله ، وامروه بالمعروف وارادوا منه العمل بصالحه وصالح الآخرين ، سلموا جميعاً ، والا بان قال كل واحد من راكبي السفينة ما يقوله هو : من انه يخرق موضعه منها ، غرق واغرق الجميع ، وهذا خير مثال للحياة الاجتماعية ، والاجتماعات البشرية في الحياة ، فان التزم افراد المجتمع اي مجتمع كان بهذين الفريضتين الدينيتين والعقليتين : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقدم ذلك المجتمع وارتقىٰ . وان تخاذلوا عنهما انحطّ ذلك المجتمع وتقهقر ، وقد أشار القرآن الكريم الىٰ هذا المعنىٰ حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ..** ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ **المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ كما وأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون من أهل بيته عليهم السلام ايضاً فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « والذي نفسي بيده ما أُنفق من نفقة احبّ من قول الخير » وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « وما أعمال البرّ كلها ، والجهاد في سبيل الله ، عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الا كنفثة في بحرٍ لجيٍّ » وقد

اوصىٰ عليه السلام في وصيته الاخيرة، وفي آخر لحظاته من الحياة بهذين الفريضتين، وأكّد علىٰ الالتزام بهما، والعمل علىٰ تطبيقهما، وكذلك فعل باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام بالنسبة الىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وماكل هذا التأكيد من الله ورسوله والأئمة المعصومين من أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم أجمعين بالنسبة الىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الّا لأن بهما تقام الفرائض، وينتظم الامور، ويصلح حال المجتمع.

[أقسام الأمر بالمعروف]

ثم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون علىٰ قسمين: قوليّ، وفعليّ.

أمّا القوليّ: فهو ان يأمر الانسان الآخرين بالمعروف ويرغّبهم في الخير، وينهاهم عن المنكر ويحذّرهم من الشر بلسانه.

وأمّا الفعليّ: فهو ان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر لكن لا بلسانه، بل بفعله وعمله، وذلك بالالتزام بفعل المعروف، والانتهاء عن المنكر عملاً، حتىٰ يتعلّم الآخرون الخير والمعروف فيعملون به، ويبتعدون عن الشر والمنكر فلا يقتربون منه.

والقسم الثاني اشرف من القسم الاوّل، وأعلىٰ درجة، وابلغ تأثيراً في الآخرين، ولذلك روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم» اي: باعمالكم وافعالكم، ولان القسم الأول يكون معرّضاً احياناً لان يأمر الانسان الآخرين بالمعروف ولا يعمل به هو، وينهىٰ عن المنكر ولا ينتهي هو، فيكون مشمولاً لتوبيخ الله تعالىٰ حيث يقول: «اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟».

اضافة الىٰ ان الكلام من مثل هذا لا يكون مؤثراً في القلوب، ولا رادعاً لهم عن النواقص والعيوب. ولذلك علىٰ الخطباء والوعاظ وقبل كل شيء المبالغة في

اصلاح انفسهم اولاً ثم اصلاح الآخرين ، ووعظهم وارشادهم ، حتىٰ يكون كلامهم مؤثراً فيهم ، رادعاً لهم عن المنكر ، ومرغّباً لهم في الخير والمعروف . والّا فليتوقعوا التأثير المعاكس من كلامهم .

[أهم عوامل السقوط]

نعم ان من أهم عوامل سقوط المسلمين اليوم هو تركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومداهنتهم الظالمين ، وتعاونهم مع المعتدين ، واغضائهم علىٰ التلاعب بالدين واحكامه ، وهجر القرآن وقوانينه ، وترك تعاليمه وسننه ، حتىٰ عادت الجاهلية الاولىٰ الىٰ المجتمعات البشرية بكل قيودها واغلالها ، وحلت فيهم بجميع آصارها وأثقالها ، من حدود جغرافية ، ونعرات قومية وطائفية ، وقوانين شرقية وغربية ، من جنسية وهوية ، وجواز سفر ، وتأشيرة دخول وخروج ، وجمارك ومكوس ، وكبت للحريات الاسلامية ومصادرة حرية السفر والتجارة ، والزراعة والعمارة ، وما الىٰ ذلك ، فلا ترىٰ للآية الكريمة : ﴿ **انما هذه امتكم امة واحدة** ﴾ و ﴿ **انما المؤمنون اخوة** ﴾ ولا للحديث الشريف : « الناس مسلّطون علىٰ أنفسهم وأموالهم » و « من احيىٰ أرضاً فهي له » وامثال ذلك في المسلمين عين ولا أثر وبكلمة واحدة : حلّ بالمسلمين اليوم جاهلية ولكنها جاهلية متطوّرة ، تمتلك بدل السيف والرمح ، والخيل والبغال ، قنابل وصواريخ ، وطائرات ودبّابات ، وراحت تفتك بالناس ، وليس هناك اليوم ـ ومع الاسف الشديد ـ من يهبّ للاصلاح ، ويقوم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قام الامام الحسين عليه السلام وشاركته اخته العقيلة زينب عليها السلام في مهمته التي أعلن عنها بصراحة قائلاً : « .. واني لم اخرج اشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله وسلم اريد أن آمر بالمعروف ، وانهىٰ عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبيطالب عليه السلام .. » .

[لولا إحياء الامر بالمعروف ؟]

نعم لولم يقم الامام الحسين عليه السلام للاصلاح في امة جدّه صلى الله عليه وآله لعمّت جاهلية بني امية الامة الاسلامية ، بل العالم كله ، كما انه لو لم تشاركه السيدة زينب عليها السلام في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم تواصل مسيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد شهادته عليه السلام ، وفي الظروف المناسبة والحساسة : في سوق الكوفة وعلىٰ الجماهير المتجمهرة من أهلها ، وفي مجلس ابن زياد حاكم الكوفة المتجبّر ، وفي دمشق الشام وعلىٰ رؤس الأشهاد ، وفي مجلس الطاغية يزيد حين اخذ يترنّم بأبيات ابن الزبعري الصريحة في الكفر ، يعبّر بها عن سكرته التي خامرته من ظفره بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل رجالهم ، وسبي نسائهم ، واجتثاثهم وابادتهم ، ويصرّ عبرها بجاهليته ويفتخر بانتقامه لأشياخه ببدر ، وهو ينكت ثنايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام بمخصرته ويقول :

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فابتدرته السيدة زينب عليها السلام تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر بخطبتها الحاسمة وهي تقول في جُملة منها : « أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك واماءك ، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا ، قد هتكت ستورهن .. منحنياً علىٰ ثنايا ابي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك .. ؟ » وذلك بكل بسالة وشجاعة ومع مثل يزيد .

وعليه : فانه لولا مواصلة السيدة زينب عليها السلام مسيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نهض من أجل احيائها الامام الحسين عليه السلام لم يبق من الاسلام والقرآن وذكر الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عين ولا أثر ، ولطبّق العالم ظلام الجاهلية الجهلاء ، وابادها الطواغيت من امثال يزيد وابن زياد .

الخصيصة الثامنة والثلاثون
« في أنها عليها السلام أحيت اسم كربلاء وأبقت آثارها »

لقد شرّف الله تعالىٰ فاطر الأرض والسماوات ، أرض كربلاء علىٰ باقي الأرضين ، وذلک لان في كربلاء حيي الدين ، وقام علىٰ قدم وساق ، واستطاع ان يواصل مسيرته التقدمية ، لينفذ في أعماق القلوب وينوّرها ، وفي غور التاريخ والأجيال ويسعدها .

ولذلك لما افتخرت أرض الكعبة ام القرىٰ وتباهت علىٰ سائر الأرضين ، لانها مركز بيت الله ، ومحل أمان عباد الله ، خوطبت من عند ذي الجلال والاكرام : ان اسكتي ولا تفتخري ولا تتباهي ، فان هناك ارضاً اشرف منك وهي أرض كربلاء . والسرّ في كون كربلاء المقدسة اشرف من الكعبة وأفضل منها واضح ، لانه لولا واقعة كربلاء ، واستشهاد الامام الحسين عليه السلام فيها ، واراقة دمه الشريف ودماء أهل بيته وأصحابه علىٰ أرضها ، ومواراة جثمانه الطاهر والشهداء السعداء معه في تربتها ، وما اصابهم من ظلم وجور ، وهتك وفتك فيها ، مما كشف عن نفاق بني امية وكفرهم ، وعدائهم للاسلام والقرآن ، وحقدهم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ، لما بقي هناك علىٰ الأرض موحّد يعرف الله ويعبده ، حتىٰ يتوجّه في عبادته الىٰ الكعبة ويصلّي اليها .

[كربلاء المقدسة وامتيازاتها]

وعليه : فان ارض كربلاء لما صارت مركزاً لاحياء الدين ، وقاعدة لانطلاقه الىٰ

القلوب ، ومقراً لتحركه نحو الأجيال والتاريخ اختصّت بميزات تالية :

١ ـ انها تأهلت لان تحتضن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة ، الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وأصحابه المنتجين .

٢ ـ انها اصبحت مقراً لارتفاع الدرجات ، ومحلاً لارتقاء المقامات ، حتىٰ انه لم يكن هناك نبي ولا وصي نبي ، الّا وأُمر بزيارة كربلاء ليكتسب عبرها جاهاً عند الله تعالىٰ وقرباً اليه ، ولم يستثن من ذلك حتىٰ جدّه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله حيث زار كربلاء ليلة المعراج ، وحتىٰ أبيه أمير المؤمنين عليه السلام حيث زارها في طريقه الىٰ صفين .

٣ ـ انها حظيت بالسعادة وصارت قطعة من أرض الجنة . وبذلك صارت مأمناً لمن دفن فيها من محبّي محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حيث يحشرون منها الىٰ الجنة بغير حساب .

٤ ـ انها أصبحت مثوىً للأئمة المعصومين عليهم السلام حيث كان يُفرش في القبر أولاً وقبل الدفن شيء من تراب كربلاء .

٥ ـ انها تكون في الآخرة أفضل درجات الجنة .

٦ ـ انها اصبحت موطناً لاستجابة الدعاء .

٧ ـ انها أضحت حرزاً يدفع عن حامل شيء من ترابها البلاء والأخطار .

٨ ـ انها تضمّنت في تربتها شفاء الامراض . وذهاب العاهات .

٩ ـ انها احتوت في تربتها علىٰ ما يمنع من عذاب القبر .

١٠ ـ انها اصبحت مطافاً للملائكة المقربين وأهل السماوات .

١١ ـ انها اضحت مزاراً للأنبياء والأولياء ، فلو أن الكعبة تُقصد في العام مرة ، فكربلاء تقصد طول أيام السنة مرّات وخاصة ليالي الجمعة ، وفي المناسبات .

١٢ ـ انها صارت معهداً تخرّج الابرار والصلحاء ، والأخيار والأتقياء ، ومدرسة تربّي الاحرار والأبطال ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والصارخين بوجه الظلم والاستبداد ، والمنقذين شعوبهم من الطواغيت واذناب الاستعمار .

[الفضل الكبير للسيدة زينب عليها السلام]

هذا وللسيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام الفضل الكبير - كما لاخيها الامام الحسين عليه السلام - في إحياء اسم كربلاء . فانها عليها السلام اشترت باسارتها وسببها حياة كربلاء ، بل واستمرار حياة كربلاء ، وكذا دوام إسمها رمزاً للتضحية والفداء ، وبقاء عنوانها حيّاً يتفاعل مع النفوس والأرواح ، ويتجاوب مع القلوب والعواطف ، ويسخّر الهمم والأفكار ، وينير الدروب والمسالك ، ويخيف الطواغيت والجبارين ، ويرعب المنافقين والمدسوسين ، وذلك علىٰ مدىٰ العصور والأزمان ، وكرور الليالي والأيام ، حتىٰ قال قائلهم : اقتلوا كربلاء ، وحتىٰ خطّط مخطّطهم لابادة كربلاء ، ونفّذ منفّذهم مخطّطاتها ، ولكن هيهات ، فان اخلاص السيدة زينب عليها السلام وكذلك اخيها الامام الحسين عليه السلام في احياء كربلاء وابقاء حياتها ، دفعت في كربلاء روحاً قوية لا تضعف ابداً ، ونفساً طريّة لا تذبل الىٰ يوم القيامة ، رغم كيد الاعداء لتضعيفها ، ومكر الماكرين لاخمادها وابادتها ، وذلك كما صرحت به السيدة زينب عليها السلام لابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام في يوم عاشوراء ، وفي ساعة حرجة ، كانت المؤشرات كلها ، والعلامات الظاهرية بأجمعها ، تشير الىٰ موت كربلاء وموت اسمها ، وموت النهضة التي قامت فيها ، وموت اصحاب النهضة الذين استشهدوا من اجلها ، حتىٰ ارتد الناس علىٰ اثرها ، ورجعوا القهقرىٰ علىٰ اعقابهم ، كما ارتد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وانقلبوا علىٰ اعقابهم . ففي تلك الساعة الحرجة ، واللحظات العصيبة ، والأيام العجاف ، تقول السيدة زينب عليها السلام وهي تسلي ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام ، وذلك بكامل ايمانها ويقينها : « ينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء ، لا يدرس أثره ، ولا يمحى رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن ائمة الكفر ، واشياع الضلال في محوه وتطميسه ، فلا يزداد الّا علوّاً » .

« اشارة »

[السيدة زينب عليها السلام مصباح هدى]

ثم ان السيدة زينب عليها السلام حيث تحملت هي مثل ما تحمله اخوها الامام الحسين عليه السلام من مصائب ومصاعب ، لاحياء كربلاء ، وهداية الناس ، والاصلاح في امة رسول الله صلى الله عليه وآله صارت هي أيضاً كأخيها الامام الحسين عليه السلام مصباح هدىٰ وسفينة نجاة ، تهدي الناس باذن الله تعالىٰ الىٰ الحق ، والىٰ صراط مستقيم ، ثم تنجيهم بشفاعتها يوم القيامة من مخاوف المحشر ، وتأخذ بأيديهم الىٰ جنات النعيم ، حيث الدرجات الرفيعة ، والمقامات العالية ، والفوز الدائم ، والسعادة الأبدية ، ولذلك نرىٰ ـ كما في الحديث الشريف ـ ابن عباس حبر الامة عندما كان يروي حديث ورود فاطمة الزهراء عليها السلام الىٰ المحشر بتلك العظمة والجلال ، ودخولها الجنة بتلك الحفاوة والتكريم ، ويذكر منح الله تعالىٰ الجنة لذريّتها وولدها ، ومن يودّهم لها ، ويحفظهم فيها ، وذلك اكراماً لها عليها السلام . وقولها حينئذ : الحمد لله الذي اذهب عنّي الحزن واقرّ عيني ، كان ابن عباس بعد ذكر هذا الحديث يتلو قوله تعالىٰ : ﴿ والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريّتهم ﴾ كناية عن : ان السيدة زينب عليها السلام واختها السيدة ام كلثوم يصحبن امهما في المحشر وبذلك الجاه والجلال ، ويدخلن معها الجنة بتلك الحفاوة والتكريم ، رزقنا الله تعالىٰ شفاعتهما ولا حرمنا من ذلك آمين رب العالمين .

واليك الحديث المروي عن ابن عباس بنصه قال : « اذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ : يا معشر الخلائق غضّوا ابصاركم حتىٰ تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فتكون أول من تُكسىٰ ، ويستقبلها من الفردوس اثنتا عشرة الف حوراء ، لم يستقبلوا أحداً قبلها ، ولا أحداً بعدها ، علىٰ نجائب من ياقوت ، اجنحتها وأزمّتها اللؤلؤ ، عليها رحائل من درّ علىٰ كل رحالة منها نمرقة من سندس ، وركائبها زبرجد ، فيجوزون بها الصراط ،

حتىٰ ينتهون بها الىٰ الفردوس ، فيتباشر بها أهل الجنان ، وفي بطنان الفردوس قصور بيض ، وقصور صفر من لؤلؤ ، وان في القصور البيض ، لسبعين الف دار ، منازل محمد وآل محمد ، فتجلس علىٰ كرسي من نور ، ويجلسون حولها ، ويبعث اليها ملك لم يبعث الىٰ أحد قبلها ، ولا يبعث الىٰ أحد بعدها ، فيقول : ان ربكِ يقرئك السلام ويقول : سليني اعطك ، فتقول : قد أتمّ عليّ نعمته ، وهنّأني كرامته ، واباحني وُلدي وذريتي ومن يودّهم ، فيعطيها الله ذريّتها وولدها ، ومن يودّهم لها ، ويحفظهم فيها . فتقول : الحمد لله الذي اذهب عني الحزن واقرّ عيني . قال : .. كان ابن عباس اذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية : ﴿ **والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بايمان ألحقنا بهم ذريّتهم** ﴾ .

الخصيصة التاسعة والثلاثون

« في أنها عليها السلام لاقت ما لاقاه الأنبياء والمرسلون »

لقد اشبهت محنة السيدة زينب عليها السلام في أداء مهمتها محنة الأنبياء والأولياء ولتوضيح ذلك لا بأس بأن نشير هنا الىٰ حالات الشبه بينها وبينهم فيما تحملته عليها السلام من المحن والبلايا ، والمتاعب والمصائب ، مما يدل علىٰ كبير استعدادها ، وعظيم مقامها ومنزلتها عند الله تعالىٰ . وقد مضىٰ سابقاً ذكر بعضها ، ومرت الاشارة آنفاً الىٰ قسم منها ، غير انا نعيد ذكرها هنا لنقيس محنتها مع ما شابهها من محنة الأنبياء من قبلها ، وذلك كما يلي :

[مع الأنبياء السابقين]

لقد ابتلي آدم عليه السلام ابو البشر بفراق الجنة ، وابتليت السيدة زينب عليها السلام بفراق حرم جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أفضل روضات الجنّة .

وابتلي آدم عليه السلام بفراق حواء ، وابتليت هي عليها السلام بفراق زوجها واسرتها ، وكل واحد منهم من تفتخر حوّاء بخدمتهم .

وابتلي آدم عليه السلام بمصيبة ولده هابيل ، وابتليت هي عليها السلام بمصيبة أشرف الخلق جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم بمصيبة امّها ، ثم أبيها ، ثم اخوتها ، ثم ولديها : عوناً ومحمداً .

ولقد ابتلي نوح عليه السلام شيخ المرسلين بقوم معاندين ، وابتليت هي عليها السلام ببني أمية شرار خلق الله أجمعين .

ولقد ابتلي ابراهيم عليه السلام خليل الله بنار نمرود وهو فارغ البال لم يكن معه نساء ولا أطفال . وابتليت هي عليها السلام بنيران بني أمية يوم عاشوراء وهي مشغولة البال علىٰ العيال والأطفال ، وعلىٰ العليل المريض الذي كان لا يستطيع بنفسه الفرار من النار .

وابتلي ابراهيم عليه السلام بتقديم ابنه اسماعيل الذبيح عليه السلام قرباناً ثم أُبدل بكبش كبير ، وقال تعالىٰ عنه : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ بينما ابتليت هي عليها السلام بتقديم القرابين ، وعلىٰ رأسهم القربان العظيم الامام الحسين عليه السلام الذي اشير اليه في القرآن الكريم بقوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ كما واشارت اليه هي عليها السلام حين رفعت جثمانه الطاهر وهو مضرّج بالدماء نحو السماء قائلة : « اللهم تقبل منّا هذا القربان » .

وابتلي يعقوب عليه السلام اسرائيل الله بهجران ولده يوسف وهو يعلم بحياته ومع ذلك بكىٰ علىٰ فراقه حتىٰ ابيضّت عيناه من الحزن وهو كظيم ، بينما ابتليت السيدة زينب عليها السلام بهجران أهل بيتها الذين لم يكن لهم علىٰ وجه الأرض شبيه ولا مثيل ، ورأتهم بام عينيها موذّرين ، مضرّجين بدمائهم ، ومع ذلك صبرت علىٰ فراقهم .

وابتلي يوسف الصدّيق عليه السلام بسجن عزيز مصر ، وابتليت هي عليها السلام بسجن شر خلق الله يزيد في خرابة الشام ، وابن زياد في سجن الكوفة .

وابتلي موسىٰ عليه السلام كليم الله بفرعون زمانه ثم دعا عليه فاغرقه الله وجنوده في اليم ، بينما ابتليت السيدة زينب عليها السلام بفرعون زمانها يزيد بن معاوية وهو من تعجّب معاصروه لشرّه وكفره كيف لا تمطر السماء عليهم بالحجارة ؟ وكيف لا تنخسف بهم الأرض ؟ ومع ذلك صبرت عليها السلام علىٰ أذاه وضرّه .

وابتلي سليمان عليه السلام حشمت الله بصدمة عفريت من عفاريت الجن ، وابتليت السيدة زينب عليها السلام بصدمة شياطين الانس من أمثال شمر بن ذي الجوشن .

وابتلي عيسىٰ عليه السلام روح الله بمطاردة بني اسرائيل ولما ان قبضوا عليه عرج الله تعالىٰ به الىٰ سمائه ، بينما ابتليت السيدة زينب عليها السلام بمطاردة بني امية وهم الشجرة الملعونة في القرآن ، ولما ان قبضوا عليهم ، قتلوا رجالها واخذوها مسبية الىٰ الكوفة

ومنها الىٰ الشام .

وابتلي يحيىٰ عليه السلام نبي الله بطاغية زمانه ، حيث امر بقتله وباحضار رأسه في مجلسه ، لكن كان وحده ولم يكن معه نسوة سبايا ، ولا أطفال أسرىٰ ، بينما ابتليت السيدة زينب عليها السلام بطاغية زمانها ، فانه بعد أن أمر بقتل رجالها وحُماتها ، أمر باحضار الرؤس مع نسوته واطفاله ، واخذ ينكت الرأس الشريف بخيزرانه امام اطفاله وأهل بيته .

وابتلي سائر الأنبياء السابقين أيضاً ببلايا ومصائب ، لكن زادت عليهم جميعاً السيدة زينب عليها السلام فيما جرىٰ عليها من مصائب وبلايا .

[مع أهل البيت عليهم السلام]

ولقد ابتلي جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ببلايا ومحن ، واذىٰ قومه بما لا سابقة له لأحد من الأنبياء والمرسلين ، حتىٰ قال صلى الله عليه وآله : ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت .

نعم واسته حبيبة حبيبته السيدة زينب عليها السلام في كل منها ، فمثلاً : انه صلى الله عليه وآله يوم اُحد كسر المشركون بالحجر جبهته وخضب الدم وجهه ، وكذلك السيدة زينب عليها السلام لما رأت رأس أخيها فوق رأس رمح طويل وهو يقطر دماً نطحت جبينها بمقدّم المحمل وسال الدم منه حتىٰ خضّب وجهها .

ورسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد كسروا رباعيته ، والسيدة زينب عليها السلام عصر يوم عاشوراء لما هجموا علىٰ الخيام ونهبوا ما فيها ، سلبوا قرطها فخرموا اذنها .

ورسول الله صلى الله عليه وآله كان المشركون في مكة يلقون علىٰ رأسه الرماد ، والسيدة زينب عليها السلام ألقىٰ علىٰ رأسها أهل الشام الرماد وجمر النار .

ورسول الله صلى الله عليه وآله نسبوه الىٰ ما لا يليق به فبرّأه الله منه ودافع عنه ، والسيدة زينب عليها السلام خاطبها عدوّ الله بقوله : كذبتِ يا عدوة الله .

ولقد ابتلي ابوها أمير المؤمنين عليه السلام ببلايا ومحن منها : انه عليه السلام قادوه بحبل في

عنقه نحو المسجد ، وكذلك السيدة زينب عليها السلام قادوها اسيرة مكبّلة بالحبال الىٰ مجلس الطاغية يزيد ، وابن زياد .

ولقد ابتليت امها فاطمة الزهراء عليها السلام بمصائب ورزايا بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها : انهم لطموا وجهها ، وسوّدوا متنها بضرب السياط وغمد السيوف ، واحرقوا عليها دارها وفيها بَعلها أمير المؤمنين عليه السلام وأطفالها الامامين : الحسن والحسين عليهما السلام . والسيدة زينب عليها السلام بعد أخيها الامام الحسين عليه السلام لطموا وجهها ، وسوّدوا متنها بالسياط وكعب الرماح ، واحرقوا عليها خيامها وفيها ابن اخيها العليل المريض الامام زين العابدين عليه السلام وعدة من النساء والاطفال .

ولقد ابتلي اخوها الامام الحسن عليه السلام المجتبىٰ بشرار بني امية وأذاهم ، كمعاوية وأمثاله ، وابتليت السيدة زينب عليها السلام بشرار بني امية أيضاً واذاهم ، كيزيد وابن زياد .

وأما ما ابتلي به الامام الحسين عليه السلام الذي هو أعظم البلاء ، واشد الرزايا والمحن ، حتىٰ قيل : « انه لا يوم كيومك يا أبا عبد الله » فان السيدة زينب عليها السلام كانت شريكة له في كل ذلك ، وزادت عليه محنة وبلاءاً ، ألا وهو محنة الاسر ، وبلاء السبي ، فصارت علىٰ اثر ذلك الوجيهة عند الله ، والشفيعة لديه في قضاء حوائج من يتوسّل بها في الدنيا ، ودخول الجنة لمن التجأ اليها في الآخرة .

الخصيصة الاربعون
« في أنها عليها السلام بطلة كربلاء »

ان لكل حدث تاريخي هامّ ، ولكل واقعة وقضية تاريخية مهمة ابطال ، تتمحور تلك القضية والواقعة حولهم ، وتدور علىٰ رحاهم ، وانّ حادث كربلاء ، وواقعة الطف ، وقضية عاشوراء ، لمن اهم الحوادث والوقائع والقضايا ، التي اتفقت في التاريخ الماضي والمعاصر ، والتي تتفق في المستقبل ، فلابدّ ان يكون لها ابطال يشكّلون المحور لها ، ويكونون القطب منها ، ويحتلون النقطة المركزية فيها ، فمن هم اذن ابطال هذا الحدث المهم ، وصناديد هذه الواقعة المهمة ، وشجعان هذه القضية العظيمة ؟

لا شك ان الامام الحسين عليه السلام هو ـ ان صحّ التعبير ـ بطل قضية كربلاء ، فهو الذي كان كبير بني هاشم وسيّد أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد شهادة أخيه الامام الحسن المحتبىٰ عليه السلام ، ولذلك قصده بنو اميّة بالذات ، وارادوا منه البيعة بشكل خاص ، لكنّ الامام الحسين عليه السلام رأىٰ ان البيعة مع يزيد ، يعني البيعة علىٰ الفسق والفجور ، والخمر والشطرنج ، وبالتالي علىٰ ابادة الاسلام وموته ، كما قال عليه السلام : « انّا أهل بيت النبوة .. ويزيد رجل فاسق شار الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله .. » وكما قال عليه السلام ايضاً : « وعلىٰ الاسلام السلام ، اذ بليت الامة براعٍ مثل يزيد .. » ولذلك بدأ عليه السلام نهضته الاصلاحية من حرم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج بها الىٰ حرم الله مكة المكرمة ، ثم سار بها نحو العراق ، وفجّرها في كربلاء حيث رأىٰ عليه السلام انه لا طريق لتبديد ظلم بني امية وظلامهم ، ولا سبيل لانقاذ

الاسلام واحكام القرآن من تشويههم وتمويههم ، الّا بالشهادة ، فقدم نفسه الطاهرة وكل من معه من الأبرار في سبيل الله تعالىٰ برضا وتسليم ، وجود وسخاء .

[دور النساء في قضيّة كربلاء المفجعة]

كان هذا بالنسبة الىٰ الرجال في قضية كربلاء ، وحيث ان قضية كربلاء لم تنفرد بالرجال ، وانما شاركت فيها النساء من آل بيت رسول الله ﷺ . بل دار القسم الأكبر ، والجانب الأهم من قضية كربلاء العظيمة ـ وهو : حفظ واقعة كربلاء وبقاء أهدافها وثمارها ، واستمراريتها ودوامها ـ علىٰ اكتاف النساء ، اذ لولا النساء في قضية كربلاء لأباد بنو امية كربلاء ، ومَحَوا من التاريخ اسمَها ، وأنسوا واقعتها الأليمة ، واهدافها السامية ، وثمارها الطرية ، ولأماتوا ذكرها ، وذكر الاسلام والقرآن ، ولكن النساء من آل الرسول ﷺ هنّ اللّاتي اشترين باسرهن وسبيهنّ العزيز علىٰ رسول الله ﷺ ، وبمواقفهن المشرفة ، بقاء كربلاء وبقاء اسم الامام الحسين عليه السلام وبقاء اهدافه من نهضته الاصلاحية ، والتي هي في الحقيقة ـ يعني اصطحاب الامام الحسين عليه السلام النسوة معه الىٰ كربلاء ـ معجزة الامام الحسين عليه السلام والدليل علىٰ ان امامته من عند الله تبارك وتعالىٰ ، والا لبطل دم الامام الحسين عليه السلام وذهب أثره ، ومع هذا الدور الكبير للنساء ، فمن هو يا ترىٰ من بين النساء ـ ان صح التعبير ـ بطلة قضية كربلاء ؟ فانّا لو راجعنا التاريخ وتصفحناه ، واطّلعنا علىٰ المواقف البطولية للنساء والمراجل العظيمة لكل منهن لاجبنا بكل قوة وصراحة : ان بطلة كربلاء من النساء هي عقيلة بني هاشم السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام . اذن : فالسيدة زينب عليها السلام هي وبكل جدارة وكفاءة : بطلة كربلاء .

خاتمة

[رجاء واعتذار]

ثم انه لما تمّ الفراغ من ذكر بعض ما تيسّر لنا من فضائل السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام ومناقبها ، وذلك طبقاً لما لا يدرك كله لا يترك كله ، لنكون علىٰ معرفة أكبر بهذه السيدة العظيمة التي أحرزت بعد امها فاطمة الزهراء عليها السلام المقام الأول في الكمالات الروحية ، والفضائل النفسانية ، والصفات الحسنة ، والخصال الخيّره ، حتىٰ صارت ثاني امرأة من بين نساء العالمين من الأولين والآخرين ، واصبحت خير قدوة للمسلمين رجالاً من حيث الغيرة علىٰ الدين واهله ، والحفاظ علىٰ المقدسات والمكارم ، ونساءاً من حيث الستر والعفاف ، والقيام بالوظائف بجدارة وكفاءة . علماً بانا لم نستطع ان نؤدّي معشار ما يجب علينا اداؤه تجاه عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام ، كما لم نستطع ان نؤدّي ما يلزمنا بيانه تجاه القراء الكرام ، غير انا نرجو من السيدة زينب عليها السلام العفو وقبول العذر . ومن القراء الكرام التغاضي وتكميل النواقص انشاء الله تعالىٰ .

وعليه : فانه بعد الفراغ من ذلك ، نذكر هنا للتيمّن والتبرك ، والتعلم من بحر علمها وثقافتها ، والتفقه بمحيط فقهها وفهمها ، خطبتين للسيدة زينب عليها السلام خطبت احداهما في سوق الكوفة ، وثانيتهما في مجلس يزيد ، علماً بان هناك اختلافاً في النسخ ، لكن حيث ان الاختلاف الموجود فيها لم يكن مخلاً بالمعنىٰ لم نُشر اليه ، ولنبدأ أولاً بخطبتها عليها السلام في سوق الكوفة .

[خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة]

لقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام للناس خبث ابن زياد ولؤمه في خطبتها بعد أن اومأت الىٰ ذلك الجمع المتراكم فهدأوا حتىٰ كأنَّ علىٰ رؤوسهم الطير وليس في وسع العدد الكثير ان يسكن ذلك اللغط او يرد تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدي الذي جلل عقيلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فيقول الراوي : لما اومأت زينب ابنة علي عليه السلام إلىٰ الناس فسكنت الانفاس والاجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية فقالت صلوات الله عليها :

الحمد لله والصلاة علىٰ أبي محمد وآله الطيبين الأخيار ، اما بعد يا أهل الكوفة ، يأهل الختل والغدر ، أتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف[1] والعجب والكذب والشنف[2] وملق الاماء[3] ، وغمز الاعداء[4] ، او كمرعىً علىٰ دمنة[5] او كقصة علىٰ ملحودة[6] ألا بئس ما قدمت لكم

---

١ ـ الصلف بفتحتين الّذي يتمدح بما ليس عنده . والنطف القذف بالفجور .

٢ ـ الشنف المبغض بغير حق .

٣ ـ الملق التذلل .

٤ ـ الغمز الطعن بالشر .

٥ ـ الغرض التعريف بان الدمنة وان زها ظاهرها بالنبت الا انه لا يفيد الحيوان قوة لانها مجمع الاوساخ والكثافات السامة القاتلة فنتاج الدمنة لا يكون طيباً وأهل الكوفة وان زها ظاهرهم بالاسلام الا ان الصدور انطوت علىٰ قلوب مظلمة لا يصدر منها الّا بما يقوم به أهل الجاهلية والالحاد .

٦ ـ في رواية اللهوف وابن نما (فضة) بالفاء الموحدة والضاد المعجمة ولم يتضح المراد منه بعد عدم الترجيح علىٰ الذهب وغيره ، نعم رواية ابن شهر اشوب في المناقب (قصة) بالقاف المثناة والصاد المهملة وهي الجص تتناسب مع الملحودة التي هي القبر ولم ينكر اهل اللغة هذا المعنىٰ ففي الصحاح للجوهري قصص داره اي جصصها وفي تاج العروس ج ٤ ص٤٢٣ تقصيص الدار تجصيصها وكذلك قبر مقصص ومنه الحديث نهىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة وفيه ص٤٢٢ قال القصة هي الجص بلغة الحجاز أو الحجارة من الجص وعن ابن دريد ان ابا سعيد السيرافي يقول بكسر

انفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب انتم خالدون .

أتبكون وتنتحبون ، اي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها ابداً ، وأنّىٰ ترحضون ، قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة . ومِدرَهِ حجتكم ، ومنار محجتكم ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم . وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون .

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، وتبت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ورسوله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة .

ويلكم يا أهل الكوفة ، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم ؟ وأي كريمة له ابرزتم ؟ وأي دم له سفكتم ؟ وأي حرمة له انتهكتم ؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد

القاف وعند غيره بفتحها وفي الفائق للزمخشري ج٢ ص١٧٣ روىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهىٰ عن تطيين القبور وتقصيصها اي تجصيصها فان القصة هي الجصة وفي غريب الحديث لابي عبيد ج١ ص٢٧٧ حيدر اباد التقصيص الجص يقال قصصت القبور والبيوت اذا جصصتها وفي (لحن العوام) ص١٤٥ للزبيدي تقصيص القبور تبييضها بالجص وفي نيل الاوطار للشوكاني ج٤ ص٧٣ القصة بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة هي الجص وفي مسند احمد ج٢ ص١٣٧ عن عبد الله بن عمر ان عثمان بنى جدار مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجارة المنقوشة والقصة وفي تاريخ المدينة للمسعودي ج٢ صفحة ١٠٥ كان قبر حمزة مبنياً بالقصة أي مجصص لا خشب عليه وفي البحار ج١٨ ص٣٧٤ باب الدفن عن معاني الاخبار قال : تقصيص القبور تجصيصها لان الجص يقال له القصة وفي النهاية لابن الاثير مادة قصص في حديث زينب يا قصة على ملحودة شبهت اجسامهم بالقبور المتخذة من الجص وانفسهم بجيف الموتى التي تشتمل عليها القبور ، والذي أراه ان النكتة في هذه الاستعارة ان القصة بلغة الحجاز الجص والملحودة القبر لكونه ذا لحد فكأن القبر يتزين ظاهره ببياض الجص ولكن داخله جيفة قذرة وأهل الكوفة وان تزين ظاهرهم بالاسلام الا ان قلوبهم كجيف الموتىٰ بسبب قيامهم باعمال الجاهلية الوخيمة العاقبة من الغدر وعدم الثبات علىٰ المبادي الصحيحة وقد انفردت (متممة الدعوة الحسينية) بهذه النكات البديعة التي لم يسبقها مهرة البلغاء اليها لانها ارتضعت در (الصديقة الكبرىٰ) التي اخرست الفصحاء بخطابها المرتجل يوم أجمع القوم علىٰ غصبها حقها مع ما اكتنفها من فوادح تبلبل فكر البليغ فعرفت الحاضرين ومن يأت من الأجيال عظيم الجناية وخسران الرضوان الأكبر كما ان سيد الأوصياء نفسه عرف اولئك المتجمهرين علىٰ غصب حقه المجعول له من الله سبحانه يوم الغدير ويوم المنزلة ويوم الاعلان بالثقلين في خطبته المعروفة بالوسيلة التي خطبها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبعة أيام وقد فرغ من جميع القرآن كما نص عليه الكليني في روضة الكافي .

السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدّاً !

ولقد أتيتم بها خرقاء . شوهاء . كطلاع الأرض[١] وملء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة اخزىٰ وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل ، فانه لا يحفزه البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، وان ربكم لبالمرصاد[٢] .

فقال لها الامام السجاد عليه السلام اسكتي يا عمة فانت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة[٣] .

فقطعت « العقيلة » الكلام وادهشت ذلك الجمع المغمور بالتمويهات والمطامع واحدث كلامها ايقاظاً في الأفئدة ولفتة في البصائر واخذت خطبتها من القلوب مأخذاً عظيماً وعرفوا عظيم الجناية فلا يدرون ما يصنعون !!

فعن الوصي بلاغة خصت بها ... اعيت برونقها البلغ الاخطبا
ما استرسلت إلا وتحسب انها ... تستل من غرر الخطابة مقضباً
او انها اليزني في يد باسل ... اخلىٰ به ظهراً واوهى منكبا
او انها تقتاد منها فيلقاً ... وتسوق من زمر الحقايق موكبا
او ان في غاب الامامة لبوة ... لزئيرها عنت الوجوه تهيبا
او انها البحر الخضم تلاطمت ... امواجه علماً حجى بأساً إبا
أو أنَّ من غضب الإله صواعقاً ... لم تلف عنها آل حرب مهربا

١ ـ في تهذيب اللغة ج٣ ص ١٧١ ومقاييس اللغة ج٣ ص٤١٩ والمغرب للمطرزي ج٢ ص١٧ والفايق ج١ ص١٢٥ والنهاية واللسان وتاج العروس كلهم مادة (طلع) وذكر في اللسان حدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : رأىٰ رجلاً به بذاذة تعلو عنه العين فقال : هذا خير من طلاع الارض ذهباً ان طلاع الأرض ملؤها حتىٰ يسيل وفي حديث عمر بن الخطاب عند موته لو ان لي طلاع الارض ذهباً لافتديت به من هول المطلع وهو يملؤها حتىٰ يطلع عنها ويسيل وفي الفايق عن الحسن البصري قال لئن اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهباً وهو ملؤها .

٢ ـ رتبنا الخطبة من امالي الشيخ الطوسي وامالي ابنه واللهوف وابن نما وابن شهر اشوب واحتجاج الطبرسي .

٣ ـ احتجاج الطبرسي ص١٦٦ ط النجف .

او أن حــيدرة عــلىٰ صـهواتـها يـفني كـراديس الضـلال ثـباً ثبا
او انـــه ضـــمته ذروة مـــنبر فأنـــار نـــهجاً للشـــريعة الحـبا
او ان فـــي اللأوى عـقيلة هـاشم قد فرقت شمل العمى ايدي سبا[١]

[خطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام]

قال ابن نما وابن طاووس[٢] لما سمعت زينب بنت علي عليهما السلام[٣] يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى[٤].

لیت اشـياخي بـبدر شـهدوا جزع الخزرج من وقع الاسـل
لأهـــلوا واســـتهلوا فـرحاً ثـم قـالوا يـا يـزيد لا تشـل
قد قتلنا القـرم مـن سـاداتـهم وعـــدلناه بـــبدر فـــاعتدل
لعـبت هـاشم بـالملك فـلا خـبر جـاء ولا وحـي نـزل
لست من خندف ان لم انتقم من بني احـمد مـا كـان فـعل

قالت :

الحمد لله رب العالمين ، وصلىٰ الله علىٰ رسوله وآله أجمعين ، صدق الله

---

١ ـ من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي في العقيلة زينب عليها السلام .
٢ ـ ذكرت هذه الخطبة في «بلاغات النساء» صفحة ٢١ ط النجف ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٦٤ .
٣ ـ عرفها الخوارزمي في مقتل الحسين أن امها فاطمة : بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
٤ ـ هذه الأبيات نسبها السيد ابن طاووس في اللهوف ص١٠٢ صيدا الىٰ ابن الزبعري وليست كلها له فان الخوارزمي في مقتل الحسين ج٢ ص٦٦ وابن ابي الحديد في شرح النهج ج٣ ص٣٨٣ مصر اول وابن هشام في السيرة في واقعة احد ذكروا ستة عشر بيتاً وليس فيهما مما ذكره ابن طاووس الا الاول والثالث وكان عجز الثالث في روايتهم (وعدلنا ميل بدر فاعتدل) وفي رواية ابي علي القالي في الامالي ج١ ص١٤٢ والبكري في شرحه ج١ ص٣٨٧ « واقمنا ميل بدر فاعتدل » وفي رسالة الجاحظ في بني امية ضمن مجموعة رسائله ابن الزبعري قال ليت اشياخي الىٰ آخر ثلاثة أبيات كما في اللهوف مع تغيير يسير .

وذكرها البيروني في الآثار الباقية ص٣٣١ طبعة الاوفست عدا البيت الرابع .

سبحانه حيث يقول : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأىٰ أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون** ﴾ . اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارىٰ ان بنا علىٰ الله هوانا ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والامور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً ، انسيت قول الله تعالىٰ : ﴿ **ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين** ﴾ .

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وابديت وجوههن ، تحدو بهن الاعداء من بلد إلىٰ بلد ، ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجىٰ مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً علىٰ ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، باراقتك دماء ذرية محمد صلىٰ الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا .

فو الله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن علىٰ رسول الله

صلىٰ الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد صلىٰ الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وايكم شر مكاناً ، واضعف جنداً .

ولئن جرَّت علي الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك واستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرىٰ ، والصدور حرىٰ .

ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الايدي تنطف من دمائنا ، والافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها امهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما ، لتجدنا وشيكاً مغرما ، حين لا تجد إلّا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، والىٰ الله المشتكىٰ وعليه المعول .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فو الله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وايامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله علىٰ الظالمين .

والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأونا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة ، انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

فقال يزيد :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح علىٰ النوائح

ومن جهل يزيد وغيه وضلاله قوله بملء فمه غير متأثم ولا مستعظم يخاطب من حضر عنده من رؤس أهل الشام : اتدرون من اين اتىٰ ابن فاطمة وما الحامل له

علىٰ ما فعل والذي اوقعه فيما وقع ؟ قالوا : لا ، قال : يزعم ان اباه خير من أبي وامه فاطمة بنت رسول الله خير من امي وجده خير من جدي وانه خير مني واحق بهذا الأمر مني فأما قوله ابوه خير من أبي فقد حاج ابي اباه الىٰ الله عز وجل وعلم الناس ايهما حكم له ، واما قوله امه خير من امي فلعمري ان فاطمة بنت رسول الله خير من امي ، واما قوله جده خير من جدي فلعمري ما احد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرىٰ ان لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً ، ولكنه انما اتي من قلة فقهه ولم يقرأ : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتـذل مـن تشاء** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **والله يؤتي ملكه من يشاء** ﴾[1] ولا يخفىٰ علىٰ الاريب مافي كلام يزيد واستدلاله هذا بالآيات الكريمة : من مغالطة ، وعدم فهم منه وفقهٍ بمراد الآيات الكريمة ، ولا عجب فانه دأب الطغاة المستبدين .

---

١ ـ تاريخ الطبري ج٦ صفحة ٢٦٦ والبداية لابن كثير ج٨ صفحة ١٩٥ .

المحتويات